السبت 17 تشرين الثاني 2018
العدد 3618 السنة الثالثة عشرة
samedi 17 Novembre 2018 no3618 13ème année

32 صفحة
1000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

• **ميلان كونديرا**
مصالحة مع الماضي؟

• مستكشف إنكليزي في بلاد الشام:
طوائف ومذاهب وإقطاع

وليّ العهد باقٍ ما بَقي الملك: إعادة هيكلة في «قصر ابن سلمان» [16]

قلق إسرائيلي من بوتين: يتطلّع إلى تقييدنا في لبنان؟ [3]

الحريري «لا يمانع» تنازل عون! [2]

بحرُه بَرُّه... ذلّ ومجارير

[7 ـ 6]

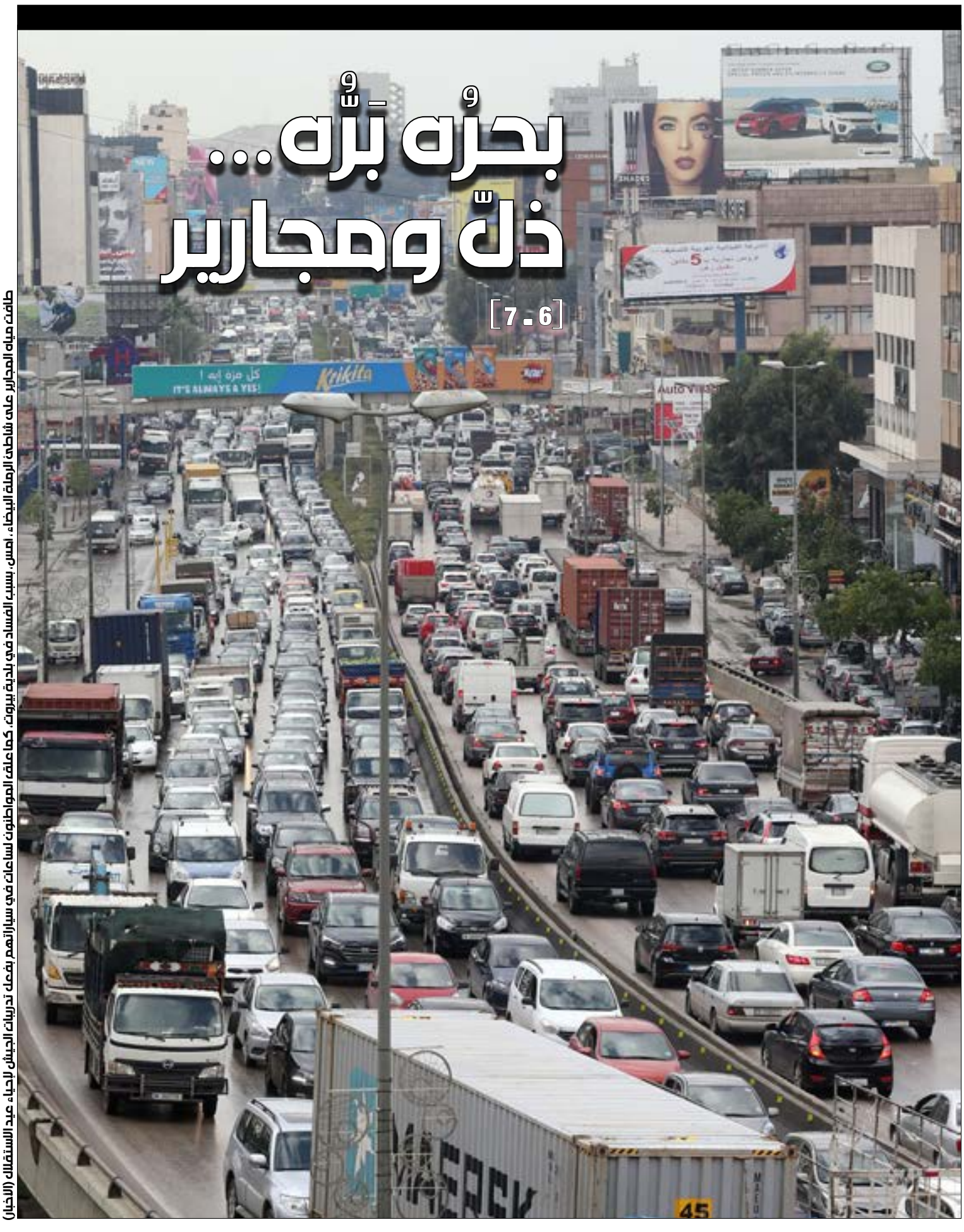

طافت مياه المجارير على شاطئ الرملة البيضاء، أمس، بسبب الفساد في بلدية بيروت. كما علق المواطنون لساعات في سياراتهم بفعل تدريبات الجيش لإحياء عيد الاستقلال (الأخبار)

رياضة

ملك قلوب الأنصاريين
رفيق عيتاني يتذكر

8

04
تقرير
عثمان يؤجّل توقيف ضبّاط... لحين تأليف الحكومة

14
فلسطين
قائد «القسام»:
سنهزّ تك أبيب في المرة المقبلة

15
تقرير
نتنياهو يكافح للبقاء:
الابتزاز أو انتخابات مبكرة

23
ميديا
إضراب مفتوح للعاملين
«الحياة»: موت بطيء بلا قرار

ابراهيم الأمين

كي لا يكون جبران معرقلاً لتأليف الحكومة

من يتريث اليوم في حل مشكلة الحكومة؟ ظاهرياً، يركن الرئيس المكلف سعد الحريري إلى موقف حزب الله الداعم لتمثيل نواب اللقاء التشاوري، ليقول إن الحزب معرقل لتأليف الحكومة. وفي خطابه الأخير، لم يقفل الحريري الباب أمام حلول. صحيح أنه أعلن رفضه تمثيل خصومه من السنة بقوله إنه أبلغ من يهمه الأمر بهذا الموقف منذ البداية، لكنه عاد ولفت إلى أنه ما كان يقدر على رفض الأمر لو تشكلت كتلة اللقاء التشاوري مباشرة بعد الانتخابات النيابية. وهو بهذه الخطوة أعاد فتح الباب أمام صيغة ما لتمثيل هذه المجموعة.

> **جبران باشا، اترك الأمر للرئيس، وليفعل الأنسب للعهد اليوم، وليس بعد الأعياد!**

لكن الحريري، الذي يعرف أنه لا مجال بعد اليوم للتفاوض مع حزب الله نيابة عن النواب الستة، قبل بأن تكون الكرة في ملعب من تطوّع للعلاج. وهو هنا يقصد الرئيس ميشال عون، خصوصاً أن الحريري اعتبر أن عون مستهدف هو أيضاً بموقف حزب الله. عملياً، قال حزب الله كلمته، ورمى بالكرة عند عون والحريري وعند النواب الحلفاء، ومن ثم تبعه الحريري بأن قال كلمته حاصراً الكرة في ملعب رئيس الجمهورية، بينما أخرج الآخرون، من الرئيس نبيه بري إلى النائب وليد جنبلاط إلى «القوات اللبنانية» ثعالبهم، مبتسمين للإشكال القائم بين خصومهم في الجبهة المقابلة، أي عون والحريري.

بالتالي، فإن الموقف الآن من الملف الحكومي، رهن الرئيس عون وحده، لماذا؟

الرئيس عون تبنى تقدير الحريري بأنه لن تكون هناك مشكلة إذا تمت معالجة عقدتي جنبلاط وسمير جعجع. وهو تماهى مع الحريري باعتبار مطلب تمثيل سنة 8 آذار غير واقعي وفي غير محله. ولذلك، وضع الرئيس عون نفسه في موقع الحاجز بين القوى المطالبة بتمثيل النواب الستة، وبين الرئيس الحريري.

وعندما شعر بالمسؤولية عن المساعدة في الحل، كلف وزير الخارجية جبران باسيل إجراء الاتصالات لأجل إيجاد مخرج.

الواضح، أو ما هو غير معلن، أن الرئيس عون كان مستعداً لأن يبادر إلى حل من خلال التخلي عن المقعد السني الذي صار من حصته، ومنحه إلى النائب فيصل كرامي. لكن الواضح، أو ما هو غير معلن، أن الوزير باسيل رفض الأمر. أو لنقل أن باسيل طلب من رئيس الجمهورية التريث في هذه الخطوة، وإفساح المجال أمامه، عسى أن يخرج بحل مختلف. وباسيل هنا، يفكر بطريقة مختلفة قاصداً تحقيق تجنب التخلي عن المقعد السني.

بناء عليه، انطلق باسيل في مسعاه، من زاوية أن المعني بالتنازل هو رئيس الحكومة المكلف، أو سنّة 8 آذار. أي أنه اعتمد قاعدة تقوم على واحد من خيارين، إما أن يتخلى الحريري عن مقعد وزاري سني لمصلحة هؤلاء، أو أن يقبل النواب الستة بإهمال مطلبهم على وعد بتحقيقه في مرحلة أخرى. وانطلق ساعياً إلى إيجاد مخرج على هذا الأساس. فوصل إلى صيغة تقول بأنه في حال أقنع النواب الستة بأنّ عليهم التنازل من خلال تسمية شخصية قريبة منهم، فهو سيقنع الحريري بالتخلي عن وعده للرئيس نجيب ميقاتي، وبالتالي، أن يقنع الحريري بأن يقبل بأن تشغل شخصية مقبولة من النواب الستة المقعد الذي قال الحريري إنه اتفق مع ميقاتي على اسم مستقل لشغله. وذهب باسيل يبحث عن اسم يكون مقبولاً من الجميع في نفس الوقت: أن يعتبره النواب الستة ممثلاً لهم، وأن يقبل به الحريري على اعتباره غير مستفز له، وأن لا يراه الرئيس ميقاتي بعيداً عنه، وأن يكون محل ترحيب من الرئيس عون ومن حزب الله. و تصرف باسيل هنا، على قاعدة أن «التنازلات الجماعية» تحقق هذا الهدف، علماً أن ما يضمره، أو يهجس به، هو أن لا تشمل التنازلات الرئيس عون والتيار الوطني الحر، وأن يحتفظا بتسمية وزير سني من حصتهما وبالطريقة التي تناسبهما.

في اللقاءات المتنوعة التي عقدها باسيل، سمع أجوبة حاسمة تقول الآتي:

- إن الحريري لن يقبل أبداً بالتنازل عن مقعد سني من حصته، وهو متمسك حتى اللحظة بعدم ورود اسم أحد النواب الستة في التشكيلة الحكومية.

- إن اللقاء التشاوري ليس جمعية خيرية، ولن يقبل بالاحتيال على تمثيله من خلال تسمية مرشح من خارج اللقاء. ولا يهتم اللقاء هنا مِن حصة مَن سيكون المقعد.

- إن حزب الله وبري يقفان إلى جانب اللقاء التشاوري، وإن جنبلاط وجعجع ليس بمقدورهما القيام بشيء. وبالتالي، فإن باسيل يعرف بعد هذه الجولة أن الحل الفعلي والسريع والعادل، يقوم على قاعدة أن:

- يتم إلزام الرئيس المكلف بأن تمثيل النواب الستة أمر عادل ومنصف ولا بد منه. وأن يتم تظهير الأمر على أنه تنازل «مؤلم» من الحريري لمصلحة البلاد.

- يتم اختيار وزير من النواب الستة، أو مَن يمثلهم بوضوح، بما لا يشكل استفزازاً أو تحدياً للآخرين، وتكون الخطوة بمثابة تنازل.

- أن يقبل الرئيس عون بأن يتنازل عن المقعد السني في حصته، لأجل معالجة مشكلة تشكيل «حكومة العهد الأولى»، ربطاً بما كان قد قاله قبل الانتخابات، من أن الحكومة الأولى هي الحكومة التي تشكل بعد الانتخابات.

ولذلك، من الأفضل أن يقتنع باسيل بأن التريث ليس سوى تضييع للوقت، لأن أفضل الممكن هو هذا المخرج، وما عداه سيجعله شريكاً إضافياً في عملية التعطيل. ومن جانب آخر، فإن باسيل، الذي يدافع بأسنانه وأظفاره عن التمثيل الحقيقي والمباشر للمسيحيين في الدولة، ويقاتل من دون هوادة في سبيل ما يسميه «استعادة الحقوق»، لا يحق له أن يقرر كيف يكون تمثيل الآخرين... هذا أقل ما يفعله من عانى من مصادرة الآخرين لتمثيل مَن يمثل لأكثر من 15 سنة! جبران باشا، اترك الأمر للرئيس، وليفعل الأنسب للعهد اليوم، وليس بعد الأعياد!

المشهد السياسي

الحريري لا يمانع تمثيل السنّة المستقلّين من حصة عون

على وقع الأزمة الاقتصادية والمالية، لا يزال تأليف الحكومة متوقّفاً عند رفض الرئيس سعد الحريري تمثيل النواب الستّة من خارج تيار المستقبل بمقعد وزاري، مقابل إصرار حزب الله على دعم حلفائه في الحصول على التمثيل الذي يعكس نتائج الانتخابات النيابية

لم يحمل يوم أمس أي تطوّر لافت على صعيد حل عقدة تمثيل النواب السنة من خارج تيار المستقبل في الحكومة المنتظرة، إلا أن اللقاءات بين القوى استمرت واستمر معها البحث في مخارج الأزمة. وفيما بات الرئيس المكلّف سعد الحريري يعلن أمام زوّاره أنه لا مانع لديه من تمثيل هؤلاء من حصّة رئيس الجمهورية ميشال عون، التقى الحريري النائب السابق وليد جنبلاط مساءً، بعدما كان قد استقبل وزير المال علي حسن خليل في مكتبه ظهراً، وناقشا الوضع المالي للدولة. وجاء لقاء الحريري وخليل لبحث الأزمة الناشبة بسبب رفض مصرف لبنان الاكتتاب بسندات الخزينة (أي تسليف الدولة أموالاً بالليرة)، فيما تحجم المصارف عن الخطوة ذاتها، على اعتبار أن مصلحتها تكمن في الاكتتاب بشهادات الإيداع التي يصدرها المصرف المركزي بفائدة 10,5%، بينما لا يتجاوز سعر الفائدة على سندات الخزينة عتبة الـ 7%. وهذا الرفض يفتح الباب على احتمال حصول أزمة في تمويل الدولة بسبب عجز الموازنة الكبير. لكن مصادر وزارة المال تؤكد أن الخطر ليس داهماً لأن هناك أموالاً متوفرة في حساب الخزينة، وهذه الأموال قريبة من المعدل المعتاد، أي نحو 2500 مليار ليرة. ويريد مصرف لبنان رفع الفائدة على سندات الخزينة، ما يعني تأمين أرباح إضافية للمصارف، وزيادة عجز الموازنة وحجم الدين العام وخدمته (راجع «الأخبار»، ملحق «رأس المال»، الاثنين 22 تشرين الأول 2018).

من جهته، التقى الرئيس ميشال عون أمس نائب رئيس البنك الدولي لمنطقة الشرق الأوسط فريد بلحاج والمدير الإقليمي ساروج كومار، وتناول البحث «التعاون القائم بين لبنان والبنك الدولي»، فأكد بلحاج «دعم البنك الدولي للبنان والجهود التي يبذلها رئيس الجمهورية لتحقيق الإصلاح على مختلف المستويات، ولا سيما في الملف المالي». غير أنه نُقل عن بلحاج وكومار ليلاً، قولهما إن «الإصلاحات في لبنان تفقد الزخم، وتعهدات المانحين في خطر».

وفي ما خصّ تأليف الحكومة، فإن الكلام الذي نقل عن الحريري، لناحية عدم ممانعته تمثيل النواب السنة من حصة عون «لأن رئيس الجمهورية حر بتسمية وزرائه»، يفتح باباً للحل ويضع الكرة في ملعب رئيس الجمهورية، الذي يملك وحده مفاتيح الوصول إلى تسوية، في ظلّ تمسّك كلّ من الحريري وحزب الله بموقفه.

وبالتوازي، كرّر نائب الأمين العام لحزب الله الشيخ نعيم قاسم موقف الحزب، مؤكّداً أنه «قدمنا كل التسهيلات لتشكيل الحكومة، ومن اليوم الأول ذكرنا مطالبنا ولم تكن معقدة وقبل رئيس الحكومة بهذه المطالب الخاصة في تمثيل الحزب بثلاثة وزراء، ثم بعد ذلك جرى نقاش في البلد حول الحصص،

> **المصرف المركزي لا يزال يرفض الاكتتاب بسندات الخزينة**

وعمل رئيس الوزراء المكلف ليل نهار لخمسة أشهر من أجل أن يرضي الأطراف الذين يريدون حصصاً ومكاسب أكبر». وأضاف قاسم إن «القرار اليوم بيد رئيس الوزراء المكلف، لأن المشكلة منه والحل معه، هو الذي يستطيع أن يحسم بأن ينسجم مع القاعدة التي وضعها بأن يمثل كل فريق بحسب نجاحه في الانتخابات النيابية، فيمثل المستقلين السنة في اللقاء التشاوري بوزير واحد وتنحل المشكلة، ليس لدينا ما نقدمه أكثر من ذلك». كلام قاسم استدعى ردّاً من الأمين العام لتيار المستقبل أحمد الحريري، الذي أكّد أن «المشكلة عند حزب الله والحل عند الرئيس المكلف وفقاً لصلاحياته والقواعد الدستورية»، قائلاً إنه «بعد 6 أشهر من جهود الرئيس الحريري، الحكومة جاهزة منذ أسبوعين ولا ينقصها إلا أسماء وزراء حزب الله الثلاثة، فإن قدم أسماء وزرائه الثلاثة اليوم تتشكل اليوم، وإن بعد أسبوع تتشكل بعد أسبوع، وهو يتحمل المسؤولية الكاملة في الانتظار».

بدوره، كشف النائب وليد سكرية بعد اجتماع «اللقاء التشاوري للنواب السنة المستقلين»، أن «الوزير جبران باسيل لم يتواصل معنا حتى الآن، ولم يعرض علينا خطة». وأضاف سكرية باسم اللقاء، إن «تعددية التمثيل التي أقر الرئيس المكلف بها أخيراً داخل المكون السني لا يجوز الالتفاف عليها بتسويات في غير محلها أو بتمثيل مكوّنات من خارج أعضاء اللقاء لا تمتلك ما لدى اللقاء عددياً وتمثيلياً على امتداد الوطن». واعتبر أنه «إذا كان الرئيس المكلف حريصاً على التعددية في تمثيل المكون السني، فيقتضي أن يكون للنواب العشرة السنّة من خارج تيار المستقبل وزيران على الأقل؛ من ضمنهم وزير اللقاء التشاوري الذي يضم ستة نواب سنّة، ووزير للنواب الأربعة الآخرين».

(الأخبار)

(هيثم الموسوي)

تقرير

قلق إسرائيلي من بوتين: يتطلّع إلى تقييدنا في لبنان؟

يحيى دبوق

واضحٌ تَعَقّد ساحات المواجهة الثلاث في وجه إسرائيل: سوريا ولبنان وقطاع غزة. الواضح أيضاً، تداخل هذه الساحات وتشعبها، في ظل التصاقها الكلي وتبادل تأثيراتها، وأكثر بكثير مما كانت عليه في الماضي.

قبل أيام، أنهى العدوّ تصعيده العسكري في غزة وبادر إلى قبول التهدئة، رغم إدراكه المسبق أن الصورة العامة التي سترسم في وعي جمهوره ولدى الفلسطينيين،

> **قد يعمد الروس إلى توسيع المظلة الدفاعية المنصوبة شمال غرب سوريا باتجاه لبنان**

وكذلك في سوريا ولبنان، أن تل أبيب تتحسب للمواجهات وتتردد أمامها.

إنهاء التصعيد جاء رغم هذه النتيجة السيئة، التي تلقي بظلال ثقيلة جداً على موقف تل أبيب وردعها تجاه الساحتين السورية واللبنانية، الأمر الذي يستدعي التأمل في ما بات عليه هذا الموقف فعلياً، مع كثير من التساؤلات: إن تراجع الجيش الإسرائيلي أمام غزة المحاصرة، مع تواضع قدراتها قياساً بما لدى حزب الله، فكيف بها إن نشبت المواجهة مع لبنان؟ ما حدث في غزة وتداعياته جزء من مركبات المشهد الشمالي مع سوريا ولبنان، ولعله الأخير في سلّم التأثيرات وإن كان كاشفاً للخشية الإسرائيلية من تبعات القتال العسكري المباشر. مع ذلك، دائرة المواجهة الكلية مع أعدائها في الشمال باتت أوسع وهي بشكل أو بآخر تشمل الجانب الروسي في هذه المرحلة، الذي يقيد إسرائيل ويقلص هامش مناوراتها في سوريا، وفيما يبدو أنه أيضاً تطلّع إلى انسحاب هذا القيد باتجاه الساحة اللبنانية نفسها، ما من شأنه زيادة التعقيد أمام إسرائيل، بما لا يمكن التعايش معه إلا قسراً، حتى وإن عمدت في المقابل إلى محاولة صده ومقاومته.

قبل أيام، أكد رئيس حكومة العدو بنيامين نتنياهو أن «الأزمة مع روسيا أكثر تعقيداً مما اعتقدنا ابتداءً»، فيما أكد الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، علناً، أن لا نية للقاء نتنياهو في المدى المنظور. إشارتان دالتان على استمرار الأزمة التي نشبت بين الطرفين إثر سقوط الطائرة العسكرية الروسية قبالة السواحل السورية في أيلول الماضي، على خلفية غارة جوية إسرائيلية على مواقع في اللاذقية وطرطوس. ولا يبدو أن التسوية ستتحقق في المدى المنظور. لكن المعطى الذي من شأنه زيادة منسوب القلق، ويتعلق بالساحة اللبنانية أيضاً، ورد أمس في صحيفة «هآرتس».

تحت عنوان «اهتمام بوتين بلبنان يحد أكثر من حرية عمل الجيش الإسرائيلي شمالاً»، أشارت الصحيفة إلى أن «المشكلة الرئيسية التي تواجهها إسرائيل في الشمال، هي باختصار الخطر الواقعي جداً في إغلاق نافذة الفرصة التشغيلية للجيش الإسرائيلي، وسواء كان الروس غاضبين جراء إسقاط طائرة التجسس الروسية منذ أكثر من شهرين، أو عمدوا إلى استغلال الحادثة لإملاء قواعد استراتيجية جديدة في الشمال، فإن النتيجة من ناحية إسرائيل هي ذاتها: قيود على حرية العمل شمالاً».

الأكثر مدعاة للقلق في إسرائيل، تنقل الصحيفة، هو إظهار بوتين اهتماماً متزايداً بما يجري في لبنان، ما يعني في سيناريوات سيئة، إمكان أن يعمد إلى توسيع المظلة الدفاعية الروسية المنصوبة في شمال غرب سوريا باتجاه الساحة اللبنانية، ما يعني زيادة تعقيد حسابات إسرائيل إزاء هذه الساحة.

بالطبع، في حديث الصحيفة قدر من المبالغة. إلا أنها مبالغة لا تغير كثيراً من الواقع كما هو. نعم الموقف الروسي، على فرض انسحاب دفاعاته باتجاه لبنان، يعدّ تعزيزاً إضافياً للتموضع الدفاعي القائم وشبه المشبع مقابل إسرائيل، الذي ثبتت فاعلية ردعه بإقرار إسرائيل نفسها، وحال دون شن هجمات طوال السنوات الطويلة الماضية. مع ذلك، القلق الإسرائيلي من المستجد الروسي، على فرض استمرار تباينه طويلاً مع الموقف الإسرائيلي، معطى يستاهل التأمل وانتظار ما قد يعقبه.

رغم تجمع المعطيات المانعة المذكورة أعلاه، تبدي إسرائيل إصراراً على مواجهة تعاظم قدرة أعدائها في سوريا ولبنان، بعد انتكاسة الطائرة الروسية. إصرار يثير في ظل إصرار مقابل، أسئلة إزاء خيارات العدو وإمكاناته الفعلية، وإن كان سيعتمد أياً منها: فهل تكرر إسرائيل استهداف الساحة السورية، رغم أن أي ضربات فيها تؤدي تلقائياً إلى استفزاز موسكو أكثر، وربما دفعها إلى التموضع أكثر ولمدة أطول إلى جانب شركائها في سوريا؟

في هذه النقطة تحديداً، يجب العودة إلى الخلفيات. موقف تل أبيب واعتداءاتها في سوريا، لجأت إليها في سنوات الحرب السورية كخيار بديل بعد تعذر (وخطورة) شن هجمات في لبنان. هذا الخيار (البديل) راهنت عليه إسرائيل طويلاً لمنع ما أمكن من تعاظم القدرة النوعية لحزب الله في لبنان، عبر منع وصولها إليه.

لكن في مرحلة ما بعد التقييد الروسي، يبرز الآتي: هل تعود تل أبيب إلى الخيار الأصيل وتوجه ضربات في الساحة اللبنانية، بعد تعذر البديل؟ يعترض الردَّ بالإيجاب، أن الأثمان التي منعت في الأساس الهجمات السابقة، باتت أعظم وأكثر نأثيراً وإيذاءً من ذي قبل. هذه هي المعضلة الإسرائيلية، في أن كل خيار مُجدٍ متاح، هو تهديد قبل أن يكون فرصة.

تأكيد الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله، كان حاسماً في حتمية الرد على الهجمات إن جازفت تل أبيب في لبنان. معطى سيكون حاضراً، وهو كذلك، على طاولة القرار في تل أبيب. لكن ما لم يَرِد في حتمية الرد، يمكن تقديره وربما ترجيحه، في أنه لن يكون رداً بالضرورة تناسبياً. الكرة كانت، وهي الآن لا تزال في ملعب إسرائيل.

اهتمام بوتين بلبنان يحدّ أكثر من حرية عمل الجيش الإسرائيلي شمالاً (أ ف ب)

في الواجهة

الموارنة السياسية: تاريخ من العداوات ... لا المصالحات

لا جدال في ان المصالحة بين تيار المردة والقوات اللبنانية اكثر من مهمة. اكثر من ضرورية. اكثر من حتمية وان متاخرة. اكثر من صفح يقابله اعتراف بين حزبيين مارونيين. لكن ايضا - ربما اكثر - بين شخصين لم يكن احدهما يعرف الاخر في ذلك اليوم

نقولا ناصيف

ليس في تاريخ الموارنة السياسية التقليدية مصالحات بمقدار العداوات. فيها من التحالفات والتقلبات ما فيها من التواطؤ عقوداً طويلة. لم تكن دموية، ولولا الحرب ربما لم تصر في صلب العدوات.

لا يروي تاريخ الموارنة السياسية ان اميل اده وبشارة الخوري تصالحا

ايهما بين فرنجيه وجعجع يحتاج اكثر الى «مصالحة بكركي»؟

ثم من بعدهما ابناؤهما، وكميل شمعون وحميد فرنجيه تصالحا بعد عامي 1952 و1957، وشمعون وفؤاد شهاب تصالحا، وريمون اده وشهاب تصالحا بين عامي 1959 و1973، وبيار الجميّل واده تصالحا في عقدي الستينات والسبعينات، واده وسليمان فرنجيه الجد بعد عام 1971. معظم هؤلاء حمل الخصومة معه الى الموت حتى، كأنه لم يتشفّ ابداً. عندما يأتي احدهما على ذكر الآخر يواصل تصفية الحساب كأنه لم يمت بعد.

يروي تاريخ الموارنة السياسية ان فرنجيه الجد لم يقبل باستقبال مسؤول في القوات اللبنانية هو الياس حبيقة عام 1985 الا لأن بشير الجمّيل اغتيل قبل ثلاث سنوات وابنته مايا اغتيلت قبل اربع سنوات، مستجيباً رغبة دمشق بعدما اضحى حبيقة في الخيار السوري. لم يستقبل كذلك رئيس حزب الكتائب جورج سعادة عام 1986 الا لأن مؤسس الحزب بيار الجميّل توفي قبل سنتين. لم يتصالح بشير الجميّل وداني شمعون ابداً بعد 7 تموز 1980.

بالتأكيد، على نحو مماثل، لم يتصالح حبيقة وسمير جعجع بعد عام 1986، بل غالبا في انتقام غير مسبوق وصلت اصابعه الى رجلة ولم يكتفِ بساحة نزاعاتهما في المنطقة المسيحية حينذاك، بما في ذلك وقوف الثاني وراء القضبان فتشبّثا بالعداء والتشفّي، الى ان تربص الاغتيال بالاول. ليس سرّاً - لمن يتذكر - انهما اقسما على الانجيل امام المدبر الرسولي المطران ابراهيم الحلو بان لا يقتتلا في خلافهما على الاتفاق الثلاثي عام 1985. لكنهما فعلا.

يذكر كثيرون ما بين عامي 1991 و2000 اقام في فرنسا، ومنذ عام 1996 في باريس بالذات، ثلاثة زعماء مسيحيين متشابهين في الاقامة الجبرية، هم امين الجميّل وميشال عون وريمون اده. لم يجتمعوا مرة طوال هذه السنوات ما لم تكن ثمة مصافحة في كنيسة سيدة لبنان هناك. لم يشأ احدهم مصالحة الآخر او الاجتماع به رغم مقاطعتهم انتخابات 1992.

بعد عودة عون من فرنسا عام 2005 ذهب الى جعجع في السجن للتضامن معه، وبينهما ذلك الكمّ الهائل المكلف من الاقتتال. لكن من دون ان يتصالحا طوال السنوات الـ11 التالية. بعد اطلاق جعجع كان امين الجميّل في مقدم مهنئيه باستعادته حريته عام 2005 في المطار، في طريقه الى الخارج، من غير ان ينسى ان جعجع وراء تهديده وارغامه على المنفى الاختياري في باريس على اثر انتهاء ولايته الرئاسية عام 1988. مع ذلك لم يفكرا في المصالحة المشهودة.

كل رئيس جديد للجمهورية يصبح فور انتخابه خصماً لدوداً لسلفه، ويرفع في وجهه جدار العداوة.

«مصالحة بكركي» بين شخصين لم يعرف احدهما الآخر قبل اربعة عقود (هيثم الموسوي)

قبلاً كانت القاعدة التي توارثها الشيخ بشارة وشمعون وشهاب، ثم انتقلت عدواها بعد الحرب الى الياس هراوي خلفاً لامين الجميّل، وامين لحود خلفاً لهراوي، وميشال سليمان خلفاً للحود، وعون خلفاً لسليمان. ذلك ايضاً في صلب اعراف الموارنة الجدد بعد القدامى.

لا تقل «مصالحة بكركي» بين تيار المردة والقوات اللبنانية (14 تشرين الثاني) اهمية عن «مصالحة معراب» بين التيار الوطني الحر والقوات اللبنانية (18 كانون الثاني 2016). في كلتيهما اقترن العداء بشخصين اكثر منه بحزبين. لكن بفارق جوهري ان المصالحة الاولى نظّمت اتفاقاً سياسياً بُنيت عليه مرحلة سياسية لاحقة عامودها الفقري انتخاب عون رئيساً للجمهورية، مستندة بدورها الى «اعلان النيات» بينهما (2 حزيران 2015 في الرابية)، فيما المصالحة الثانية بين شخصين فحسب، بلا وثيقة سياسية. كلاهما لم يعرف الآخر قبل اربعة عقود عندما ارتكبت مجزرة اهدن. احدهما طفل في حضن جده، والآخر مقاتل مسؤول عن فصيل بشري في القوات ثمة منافسة على رئاسة الجمهورية، شان كل العداوات المارونية، السابقة واللاحقة، غير المطلخة التي دارت من حولها.

ليس الامر كذلك في مسار اقتتال عون وجعجع ما بين عامي 1989 و1990. عرف احدهما الآخر تماماً. منذ عام 1988 كانا على طرفي نقيض الى ان انفجر نزاعهما الدموي السنة التالية. لا وجود للتبار الوطني الحر آنذاك، بل الجيش بقيادة عون في واجهة الصدام، ما جرجر الى الامس القريب ذيولاً لم تنته بين المؤسسة العسكرية وحزب القوات اللبنانية. هكذا الاقتتال الماروني التاريخي بين اشخاص لا يقربون المصالحة.

لوهلة عنت «مصالحة معراب» تقاطع مصالح سياسية بين صانعيها، فيما «مصالحة بكركي» لم تشأ ان تقول سوى انها تطوي ماضياً من الاقتتال والثأر المضمر. مع ذلك ثمة سؤال ضروري ينجم عن توقيت المصالحة الحالية يقفز فوق «النكاية»، شان ما عُدت «مصالحة معراب» نكاية بترشيح الرئيس سعد الحريري فرنجيه لرئاسة الجمهورية، فاستدعت للفور المصالحة تلك، لا تخلو «مصالحة بكركي» من - للمصادفة - في توقيت قد يكون بريئاً عند احد الفريقين، او متعمّداً عند الفريق الآخر هو تشرين الثاني. في 5 من هذا الشهر 2015 رشح الحريري فرنجيه متجاهلاً جعجع حليفه المرشح للرئاسة منذ اكثر من سنة. في 14 تشرين الثاني 2018 يتصالح فرنجيه وجعجع بدلالة الرد على خصم مشترك، لكن مختلف عن 2015: بين فرنجيه وجبران باسيل قطيعة كاملة، وبين جعجع وباسيل نصف قطيعة. بين رئيس الجمهورية وفرنجيه انقطاع كامل، وبينه وجعجع شبه انقطاع.

ثمة سؤال آخر ضروري: ايهما بين فرنجيه وجعجع يحتاج اكثر الى «مصالحة بكركي»؟

المستمدة الإمرة آنذاك من حزب الكتائب.

لعل المفارقة المهمة انهما ورثا قميصاً ملطخاً بالدم وُضع في الخزانة، من غير ان يكونا معنيين بما حدث. اصل المشكلة بين طوني فرنجيه وبشير الجميّل تقاسم النفوذ في الشمال المسيحي بين العائلة والحزب، من دون ان تكون

مقال

الاقتصاد المنهار والعقوبات:
لبنان يدفن رأسه في الرمل

هيام القصيفي

قبل أسبوع من احتفال لبنان بالعيد الـ75 لاستقلاله، تكاد الصورة الحقيقية تكون بعيدة كل البعد عن كل الخطب والكلمات التي ستقال بعد أيام في هذه المناسبة. والأمر لا يتعلق فقط بعدم تشكيل الحكومة، وقد اعتاد لبنان إما الفراغ الرئاسي وإما حكومات تصريف الأعمال، بل بالانهيار المقنع الذي يعيشه لبنان من دون إعلان حالة طوارئ فيه. فالمنحى الذي يقبل عليه الوضع الداخلي نتيجة أمرين يتكرر ذكرهما منذ أيام على لسان المسؤولين اللبنانيين، العقوبات الأميركية والمحاذير من تفاقم الوضع الاقتصادي، لم يعد كلاماً على الورق، بل بات حقيقة تنذر كل يوم إضافي بالأسوأ، بحسب بعض الخبراء الذين يرصدون تداعيات هذه الأزمة.

فالمراوحة الحكومية أعطت المجال لمزيد من القراءات لملف العقوبات الأميركية وما سينال منها لبنان، وتلمس مدى قدرته على مواجهة أزمته الاقتصادية التي تشتد سوءاً باعتراف المسؤولين أنفسهم. علماً أن المعنيين السياسيين بمتابعة هذه الملفات، يلتقون عند خلاصة وحيدة هي أن لبنان لا يتعامل مع ما يجري بجدية تتناسب مع خطورة الوضعين. لأن تدهور الوضع الاقتصادي الداخلي لا يقل خطراً، عن انعكاسات العقوبات الأميركية ومفاعيلها وتشعباتها الإقليمية والدولية. فبعيداً من لغة الأرقام التي يعنى بها الاقتصاديون، ثمة واقع معيشي واجتماعي بدأ يتلمسه أصحاب المصالح الاقتصادية، في شكل واضح، في ظل معطيات متداولة عن إقفال مؤسسات تجارية كبرى وصغرى وعن تراجع نسب المبيعات والحركة التجارية في شكل دراماتيكي لم يشهده لبنان منذ سنوات. وعلى رغم أن هذه الفترة هي عادة فترة التحضير لأعياد الميلاد ورأس السنة، فإن الحركة التجارية تكاد تكون لا تذكر قياساً إلى السنوات السابقة باعتراف أصحاب الشأن. ومشكلة أزمة من هذا النوع في ظل تدهور سياسي موازٍ نتيجة الاحتقان السائد، كفيل بتوليد أزمات أمنية موازية بخطورتها. وكان يمكن أن يتم التعامل مع هذا الوضع الذي تحدث عنه الرؤساء والوزراء والنواب على كافة مستوياتهم، كفترة ركود يمكن الخروج منها، على رغم سلسلة أزمات مالية ضربت القطاعات التربوية والعقارية والتجارية، لو لم يكن لبنان يتعرض لهزة حقيقية نتيجة العقوبات التي تتدرج تصاعدياً.

فمع تفاعل العقوبات، والكلام الأميركي عن مسار طويل فيها، كما قال وزير الخزانة الأميركي ستيفن منوشين بوضوح عن إضافة أسماء تدريجاً إلى اللائحة الأصلية في المستقبل، من دون أي سقف زمني، فإن لبنان، وعلى رغم إجراءات وزارة المال والمصارف، لن يكون بمنأى عن ضغوط متشعبة. وهو أيضاً لن يكون على موعد ثابت مع رزمة قرارات واضحة معروفة الشكل والأهداف، بل على تدرج في إصدار تحذيرات حول احتمالات ربط مصارفه بإيران وحزب الله ومؤسساته وشخصيات فيه، كذلك الأمر عن خطوات تصعيدية تتلاءم مع متطلبات المرحلة أميركياً واتجاهات الإدارة فيها. وقد بات الكلام يتوسع تارة عن خفض مساعدات الجيش وتارة عن تقييد حركة المصارف ومراقبة أعمال شركات قد تكون طرفاً ثالثاً تتعامل مع لبنان وإيران على السواء. لذا بات السؤال الأكثر تداولاً في الوسط السياسي ما الأفضل للبنان أن يواجه عاصفة العقوبات الأميركية في ظل حكومة أو من دونها. والجواب الأكثر تداولاً أيضاً، أن أي حكومة مهما كانت بنيتها قوية وعناصر الاشتباك الداخلي معدومة فيها، لا يمكن أن تتحمل هزات وضغوطاً أميركية عليها، نتيجة هذه العقوبات. فكيف بحكومة تضم كافة التناقضات السياسية والخصوم والحلفاء، على طاولة واحدة. لذا فإن أهون الشرور يكون بمعالجة الملفات بالمفرق، فيترك لكل جهة معنية بأي من التفاصيل التي يتطلبها تنفيذ القرارات الأميركية، أن تجد الحلول لترتيب أوضاعها، من دون غطاء جهة رسمية عليا تظلل هذه المعالجة أو تعترض عليها.

وفي حين توجهت الأنظار في الأيام الأخيرة نحو العراق، كإحدى الدول الأكثر تضرراً بفعل العقوبات، وتفاقم الاهتمام الدولي به عبر تحذيرات أممية بضرورة تحييده وعدم زيادة مشكلاته بفعل العقوبات، فإن العراق سبق أن خرج من أزمته وتمكن من تشكيل حكومته لمواكبة أزمات المنطقة وترتيب أوضاعه الداخلية بأفضل تسويات ممكنة. وهو بدأ يستثمر في خطوات تساهم في استثنائه من العقوبات من أجل تخفيف الضغط عليه وحجم الخسائر التي سيعانيها بفعلها. إلا أن لبنان ذهب في الاتجاه المعاكس، وهو يدفن رأسه في الرمل خشية العاصفة الدولية والداخلية: لم ينجح في تشكيل حكومة، بل فاقم مشكلاتها التي تعترض تشكيلها، ويتغاضى مسؤولوه يومياً عن معالجة حقيقية للوضع الاقتصادي بعيداً من مهاترات الكهرباء، وتقاسم الحصص كما حصل في مجلس النواب، فيما حكومة تصريف الأعمال تتصرف وكأنها حكومة أصيلة، في توزيع المغانم واستقبالات الموفدين الدوليين وتنظيم الاحتفالات. أما مشكلته الأكبر فهي تراجع الاهتمام الدولي بما يتعرض له حالياً، قياساً إلى العراق مثلاً. فالمجتمع الدولي لم يعد يتعامل مع لبنان كأولوية، وجل ما يحصل لا يتعدى رسائل الدعم الأوروبي أو التحذير الأميركي من مغبة السماح لحزب الله بالتوسع داخل السلطة التنفيذية. ما عدا ذلك، متروك للبنانيين تقرير مصيرهم، فإما أن يفهموا الرسائل التي توجه إليهم أو يدبروا شؤونهم بأنفسهم.

تقرير

عثمان يؤجّل توقيف ضبّاط... لحين تأليف الحكومة!

رضوان مرتضى

لم يُعط المدير العام لقوى الأمن الداخلي، اللواء عماد عثمان، الإذن للقضاء، لملاحقة خمسة ضبّاط يُشتبه في تورّطهم في ملفات فساد وتقاضي رشى، بناءً على إفادات مدنيين موقوفين. القصة بدأت لدى استخبارات الجيش، بعد توقيف عدد من المشتبه فيهم الذين كشفوا عن علاقة تربطهم بامر إحدى مفارز الاستقصاء في قوى الأمن. المشتبه فيهم الموقوفون مشتبه في تورطهم في ملفات نصب واحتيال عبر تزوير عقارات باسماء غير مالكيها لبيعها والاحتيال على عدد من المواطنين. وجرّاء ورود اسم أحد ضباط قوى الأمن في التحقيق، أحالت مديرية المخابرات ملخّصاً عن التحقيق إلى المديرية العامة لقوى الأمن الداخلي. بدأ فرع المعلومات تحقيقاته للتثبّت من القضية، واستمع إلى الموقوفين المدنيين: حسام ح. وراجي ا. ومحمد س. وعصام ض. علماً بأنّ المشتبه فيه الخامس وليد ا. متوارٍ عن الأنظار. ثم استدعى العقيد ع. غ. للاستماع إلى إفادته قبل أن يُترك قيد التحقيق. وقد تبيّن من الاستجوابات وبعض الأدلة وجود علاقة متينة بين الضابط المستدعى وأحد الموقوفين. وعلمت «الأخبار» أنّ التحقيقات التي تشرف عليها النيابة العامة في جبل لبنان تنقسم إلى جزءين. الأوّل يتعلّق بملف قبض الرشى المرتبط باثنين من «أباطرة الدعارة» في لبنان إيلي وجوزيف ب. وهو الملف نفسه الذي تدخّل فيه زعيم الحزب التقدمي الاشتراكي وليد جنبلاط لحماية العقيد و. م. المحسوب عليه. أما الملف الثاني، فيرتبط بملف «الزئبق الأحمر» والنصب والاحتيال الذي بدأ التحقيق فيه لدى مديرية المخابرات. توسّعت التحقيقات لدى فرع المعلومات لتطاول خمسة ضباط (3 عقداء ورائد ونقيب)، إلا أنّ المدير العام لقوى الأمن لم يُعط الإذن للنيابة العامة لملاحقتهم. وفي هذا السياق، يؤكد مسؤولون قضائيون، نقلاً عن عثمان، أنّه سوف يُعطي إذن الملاحقة بعد تأليف الحكومة، علماً بأنّ مصادر قضائية مقابلة علّقت بأنّ تأخر اللواء عثمان في إعطاء إذن الملاحقة يعني أنه يسمح بـ«ملاحقة الراشي وترك المرتشي».

اهتمام بوتين بلبنان يحدّ أكثر من حرية عمل الجيش الإسرائيلي شمالاً

وعلمت «الأخبار» أنّ ملف التحقيق مع الموقوفين المدنيين بقي لمدة عشرين يوماً في النيابة العامة، فيما القانون يسمح بأربعة أيام، إلا أنّ مصادر قضائية عزت الأسباب إلى حجم التحقيقات الجارية في المديرية. كذلك كشفت المعلومات عن علقّت بأنّ تأخر اللواء عثمان في الاشتباه في تورط اثنين من عناصر التحرّي في هذا الملف، هما: أياد م. وطارق ح.

إزاء ذلك، ادّعت المدّعي العام في جبل لبنان القاضية غادة عون على الموقوفين المدنيين وأحالت ملف التحقيق إلى قاضي التحقيق الأول في جبل لبنان القاضي نقولا منصور. كذلك ادّعت على أحد قادة الدرك السابقين بشبهة الفساد لورود اسمه خلال التحقيقات مع الموقوفين. غير أنّ هذه الخطوة استوقفت مصادر أمنية وأثارت استياء الضابط المدعى عليه لكونه لم يُصر إلى استدعائه للاستماع إلى إفادته. غير أنّ مصادر قضائية أكّدت أنّ حقّ الادعاء متاح للنيابة العامة لمجرّد الشبهة وذلك لا يعني أنّ المدعى عليه متورّط. أي أنّ النيابة العامة لها صلاحية الادعاء لمجرّد الشبهة ليُحال الملف إلى قاضي التحقيق للتثبت من انطباق الشبهات. وفي هذا الملف، هناك ادعاء بالرشوة واستغلال السلطة، علماً بأنّ عدداً من الضباط المشتبه فيهم تبيّن أنّهم تلاعبوا بالتحقيقات العدلية التي كانت تجرى بإشرافهم مقابل منفعة مادية. كذلك ورد اسم أحد قادة الشرطة القضائية السابقين، وعلمت «الأخبار» أنّ النائب العام ادّعت على أحد الضباط التقاعدين.

تجدر الإشارة إلى أنّ قاضي التحقيق الأول في جبل لبنان حدّد يوم 23 من الشهر الجاري موعداً للاستماع إلى المدعى عليهم في هذا الملف.

تقرير

بيضون يطعن أمام «الشورى»: وزير الطاقة يخالف القانون

قدم المدير العام للاستثمار والصيانة في وزارة الطاقة غسان بيضون طعناً أمام مجلس شورى الدولة، بقرار وزير الطاقة إعطائه إجازة إدارية لمدة ستين يوماً تنتهي بتاريخ انتهاء خدمات بيضون وإحالته على التقاعد.

وقد تضمنت المراجعة التي يطلب فيها بيضون إبطال ووقف تنفيذ القرار الذي بُرره وزير الطاقة بأنه «على الموظف أن يستفيد من إجازاته المستحقة والمتراكمة قبل إحالته على التقاعد»، مجموعة من المعطيات التي يستحق كل منها تحقيقاً مستقلاً.

في الوقائع التي يسردها المستدعي، يتطرق إلى تقديمه مطالعات عدة تتعلق بتنفيذ أشغال كهربائية عاجلة، كان أخطرها انحرافات وتجاوزات ومخالفات ارتكبت في إطار تلزيم وتنفيذ معامل الإنتاج في كل من موقع دير عمار ومحطتي الذوق والجية، وكان من نتائجها ورود عدة طلبات لحضور المستدعي إلى النيابة العامة المالية لكي يدلي بإفادته بصفة شاهد بموضوع هدر مال عام، من دون أن تحظى هذه الطلبات بموافقة وزير الطاقة. كما أشار إلى أنه نتجت من هذه الانحرافات خلافات مع المتعهدين وإقامة دعويي تحكيم ضد الدولة اللبنانية، الأولى من متعهد دير عمار والثانية من متعهد معملي الذوق والجية (كان المستدعي يعمل على تحضير المطالعات القانونية في شأنها عند صدور قرار الوزير، ولم يُطلب منه إجراء التسلّم والتسليم في شأنها كما جرت العادة عند إحالة الموظفين على التقاعد). كما يتطرق بيضون إلى سعي الوزير إلى خرق استقلالية مؤسسة كهرباء لبنان والتصرف بشؤونها الداخلية بحرية والتحكم بمسار التلزيمات والتوظيف المقنّع الذي يجري فيها خلافاً للقانون.

يضيف بيضون: لأن المستدعي بات يشكّل عقبة تعيق سيطرة الوزير على شؤون المؤسسة وتلزيماتها، فلم يترك الأخير وسيلة إلا واستخدمها لعرقلة عمل المستدعي وإحراجه. وأشار إلى أن مواقف الوزير شهدت تصعيداً وتطويراً متواصلاً في محاولة لمصادرة صلاحياته والحؤول دون ممارستها، مستخدماً مراسلات إدارية لا ترقى إلى مستوى النصوص القانونية التي تحدد صلاحيات المدير العام. وقال إن الوزير أقدم على إبلاغ المؤسسة صوراً عن إحالات داخلية موجهة منه إلى المستدعي وصار يبقي المعاملات المرفوعة لديه إلى ما بعد انقضاء مهلة التصديق القانونية، بحيث تتوافر شروط التصديق الحكمي. وقد بلغ تصعيد الوزير ذروته، بحسب بيضون، بتوجيهه كتاباً إلى المؤسسة طلب فيه صرف النظر عن أي كتاب يردها من المدير العام للاستثمار من دون أن يكون مقترناً بتوقيع الوزير، بما فيه الكتب المتعلقة بطلب معلومات أو مستندات لازمة لاستكمال درس المعاملات.

بيضون: المستدعي يشكل عقبة تعيق سيطرة الوزير على شؤون المؤسسة وتلزيماتها!

في القانون، يعتبر بيضون أن القرار المطعون به يستوجب الإبطال لأنه يتعدى على حقوق المستدعي. كما يوضح أن قانون الموظفين يعتبر الإجازة حقاً للموظف وليست واجباً مفروضاً عليه. ولهذا فإن للموظف أن يطلب الاستفادة من الإجازة الإدارية السنوية وله أن يتخلى عن طلبها فيُحرم منها. ويعتبر أن ما يعزز فرضية أن الإجازة هي حق وليس موجباً أن المشرع قرر إسقاط الحق بطلب هذه الإجازة إذا تراكمت لأكثر من ثلاث سنوات.

كذلك يعتبر بيضون أن القرار مخالف أيضاً لما استقر عليه مجلس الشورى من اجتهاد، معدداً عدداً من الاجتهادات الصادرة في قضايا مشابهة.

(الأخبار)

BLACK FRIDAY

بيار أبي صعب

نشرت الإعلامية رابعة الزيات، أمس، على تويتر الصورة الشهيرة التي تمثّل «يوم الحشر» في بيروت أمس الجمعة: على «جسر اللوزيّة»، وخلفه وأمامه، وتحته وحوله، آلاف السيارات المتجمدة في مكانها... مع تعليق ظريف: «بلاك فرايداي». أمس، كان «الجمعة الأسود» في بيروت بأكثر من معنى. المعنى الأول يشير إلى اختراع استهلاكي أميركي، انتقلت عدواه إلى لبنان أخيراً، ويقضي بكسر الأسعار بطريقة خرافية في هذا اليوم من الموسم. طبعاً، رابعة لعبت على المعنى، أخذَتِ الشعار بحرفيته، استعارته من حفلة التنزيلات العملاقة، لتطلقه على اليوم الكابوسي الذي انهال على البيروتيين.

حتى الخير لم يعد يناسبنا نحن اللبنانيين. «يوم الجمعة الأسود» سببه خيرات السماء التي حوّلت كورنيش الرملة البيضاء إلى نهر هادر، بسبب مجرور يختصر كل الدولة اللبنانيّة وعصاباتها ومؤسساتها. «هُجّر» المجرور ـ برغبة مستثمر لا يردّ له طلب ـ من مكانه قرب المنتجع الفخم إلى مكان أبعد ليس فيه إلا شاطئ للفقراء... من دون تفكير بالعواقب التقنيّة، بالحد الأدنى، أي البنى التحتية وتصريف مياه الأمطار. أما حول وسط بيروت، حيث التقطت صورة «يوم الحشر»، فأقفلت كل الدروب المؤدية إلى هذا القلب الحيوي للمدينة. لماذا؟ لأن الجيش اللبناني كان يجري تمارينه استعداداً للاستعراض العتيد في يوم «عيد الاستقلال». استقلال مبارك يا جماعة! ومثل أسياد مجرور الرملة البيضاء، فإن أسياد القرار «الرؤيوي» ـ أيّاً كانوا! ـ غير معنيين بالعواقب. ولا بالناس ومصالحهم، ولا بحياة المدينة. لم ينتبه «الجيش» إلى الكابوس الذي سينتج من إجراءاته، عشيّة عطلة نهاية الأسبوع، تحت المطر الغزير... يحيا الاستعراض!

طبعاً، ليس الجيش كلّه. ليس «جيشنا المفدّى» كقيمة وطنية عليا، ذاك الذي نريده ونحلمه حصناً منيعاً بوجه العدو الوحيد الأوحد المهدد وجود لبنان وكيانه (عرفتم من؟). إنما المؤسسة التي بدت أمس مثل سائر المؤسسات في مملكة الطوائف: غير فعالة، وغير معنية بالشعب! في لبنان منتج الخمس نجوم أهم من البيئة، وأهم من السياسات العمرانية والصحّية، وحقوق «الناس اللي تحت» وحياتهم. وفي لبنان أيضاً الاستعراض العسكري أهم من حياة الناس. في ذكرى استقلال فولكلوري، في ظل دولة متهاوية، ومؤسسات متصدّعة، وبنى تحتيّة متآكلة، ومستوى معيشي منهار، واقتصاد مهدّد، وغد مرصّع بالكوارث الآتية... في لبنان الطالع من أوبريت رحبانيّة، «الكرنفال» أهم من حياتنا. تتخيّلون قليلاً عبثيّة المشهد؟ يعدّون لاحتفال باستقلال افتراضي، في دولة كرتون، في بلد فارط، ليس فيه حكومة... بلد يضم «قرطة عالم مجموعين» بلا ماء ولا هواء ولا كهرباء ولا مدارس ولا كرامة ولا صحّة ولا طرقات سالكة ولا حقوق ولا مستقبل ولا مستشفيات ولا أمل... لكنّ إدارة هذه الشركة المساهمة المشرفة على الإفلاس، متمسّكة بالواجهة البرّاقة، فخورة بالأسطورة، مصرّة على الاحتفال. لا بد من الاحتفال... في بلد الأوبريت ليس ما هو أهمّ من الاستعراض.

نادراً ما نقع على بلد مثل لبنان، حكامه ومسؤولوه حريصون على تعذيب الناس، وتخريب حياتهم. يبدو هذا هدفاً استراتيجيّاً. حتى في أبشع الديكتاتوريّات التي عرفها التاريخ، تحرص الطغمة الحاكمة على الترويح عن العباد، والتفسيح عن الرعايا، بالتوازي مع سياسات القمع والاستغلال والبطش. إلا في لبنان، يريدون كل شيء، أخذوا كل شيء، حتى فكرة الوطن القوي ودولة القانون العادلة، والاستقلال الحقيقي. وتركوا لنا أن نختار بين الغرق في السيول والمجارير في غياب أي خشبة خلاص، أو الاختناق والانسحاق في الزحام من دون أي إمكانيّة للفرار. قيادة الجيش عادت فاعتذرت من المواطنين. سلوك حضاري! يا أخي الاعتذار مقبول... إنما بشرط! أن يصار إلى التخلّص من العقليات والآليات التي أدّت الى ارتكاب هذا الخطأ الذي ليس نتيجة مصادفة. وإلا سيتكرر مشهد احتقار الشعب، كل يوم في أماكن أخرى، وبأشكال مختلفة، مع مؤسسات غير الجيش. ليس الجيش وحده: إنّها فلسفة حكم، ونظام سياسي. إنّها سياسة طبقة حاكمة متواطئة علينا. دولتنا هي التي تسرقنا وتسحقنا وتذلّنا. أين يذهب اللبنانيون بكل هذا الإحباط، وكل هذا القرف؟ كيف يعودون كل يوم إلى بيوتهم، كيف يلتحقون بطوائفهم، ويستأنفون ثغاءهم؟ هل حقاً بقي لنا من خلاص في «لبنان قطعة سما» إلا الطوفان؟ أو ربّما الزلزال. الزلزال أطرف. علماء الزلازل يقولون إن موعده قريب على كل حال. دعه يأتي في عيد الاستقلال الـ 75، فنقفل الدائرة، وتكتمل «الفرجة»!

على الغلاف

ثلاثي عاشور ـ البلدية ـ المحافظ يحاصر بيروت بالمجارير

طافت شوارع الرملة البيضاء، أمس بالبراز، إثر فيضان المجارير التي تكسرت على جانب الطريق وهطلت كالشلالات على الجهة المقابلة. والسبب؟ إغلاق رجل الأعمال وسام عاشور «الريغار» الرئيسي على الكورنيش بالباطون، قبيل افتتاح منتجعه المتعدي على أملاك بيروت البحرية. جرى ذلك برعاية محافظ بيروت ومجلس الإنماء والإعمار، وعلى مرأى من الشرطة، وبغضّ طرف من البلدية... غير أن إخفاء الفضيحة لم يدم أمام غزارة الأمطار، فتاهب المذنبون جميعهم، لأطلمة، واقصى طموحاتهم إعادة المجرور إلى المسبح الشعبي!

رلى إبراهيم

تريد بلدية بيروت بمجلسها ومحافظها، أن تتمسك العاصمة بـ«هويتها وأناقتها». عاصمة، ترتدي زينة بمليوني دولار وتنظّم مهرجانات وماراثونات بملايين الدولارات. ومن أجل هذا الهدف «السامي»، لم يتوان رئيس بلدية بيروت جمال عيتاني عن ضرب يده على الطاولة، كما ينقل بعض الحاضرين لجلسة إقرار مليوني الزينة، عند اقتراح أحد الأعضاء أن «يستعاض عن الزينة بمساعدات مدرسية للأولاد المحتاجين». ضرب الرئيس الطاولة بيده قائلاً: «بيروت لازم تتزين». طبعاً الزينة يومها كانت أهم من أي مشكلة ثانوية، كشبكات الصرف الصحي التي تنتهي في البحر! لذلك لم يحسب المجلس البلدي ولا المحافظ زياد شبيب، أن الصورة التي ستسبق الصورة المِلادية هي تلك التي تفيض فيها ينابيع «البراز» على طول كورنيش الرملة البيضاء. قد يعتقد البعض أن في الأمر مبالغة، ولكن ما حصل يوم أمس، هو طوفان المجارير وخروجها من «الريغارات» على شكل نافورة، لينتشر البراز بعدها على كامل الكورنيش ويأخذ أحياناً شكل شلالات... من القذارة!

قد يقول البعض أيضاً، إن ما سبق أمر أكثر من طبيعي ويتكرر كل عام عند هطول الأمطار. ولكن ما لا يعرفه كثيرون، أن سبب انسداد «الريغارات» هو فِعل رجل الأعمال وسام عاشور، صاحب بناء الـ«إيدن باي» الذائع الصيت، والذي بات اليوم منتجعاً على شاطئ الرملة البيضاء. فعاشور، وقبيل افتتاح منتجعه في أواخر حزيران الماضي، حرص على أن يكون منظر الفندق من جميع الجهات متكاملاً وجميلاً. فقام عمال من قبله، بغطاء من شرطة بيروت والبلدية والمحافظ ومجلس الإنماء والإعمار، برمي 2 طن من الباطون في ريغار الرملة البيضاء الأساسي، وذلك حتى يخفي منظر المجرور المحاذي لـ«تحفته» المنصوبة على الشاطئ.

وخلال جلسة دعا إليها شبيب وممثل عن مجلس الإنماء والإعمار (المسؤول عن شبكة المجارير ضمن نطاق بيروت) واتحاد بلديات الضاحية ممثلاً ببلدية الغبيري، اتخذ أمر تحويل المجرور الشهير إلى منطقة السان سيمون. وقضت الخطة بأن يحول المجرور إلى محطة السان سيمون، حيث يسكن الفقراء الذين لا يصل صدى صوتهم الى أي كان، على أن يتم ضخ القذارة مجدداً الى محطة الغدير. لكن أسقط الحاضرون من بالهم، أن محطة السان سيمون لا تعمل، وبالتالي لا يمكنها استيعاب المجارير التي تصل إليها، ولا قدرة لها على الضخ الى محطة أخرى. وعندما فاضت رائحة المجارير في حي السان سيمون المنكوب، وارتفعت الاحتجاجات، طلب رئيس بلدية الغبيري إعادة الوضع الى ما كان عليه قبيل افتتاح مبنى الـ«ايدن باي». إلّا أن عاشور رفض طلب بلدية الغبيري، فأذعنت بلدية بيروت للرفض، وتمّ تحويل المجرور إلى قرب «الفرنان كافيه». هكذا، سخّر محافظ بيروت وبلديتها ومجلس الإنماء والإعمار قدراتهم لإرضاء أحد رجال الأعمال الأثرياء على حساب آلاف اللبنانيين الذين علقوا أمس داخل سياراتهم نتيجة التحضير لعيد الاستقلال... وفيضان البراز على الكورنيش!

أما شبيب، الذي أمن الغطاء سابقاً لعاشور كي يتمكن من إغلاق المجرور، فقرر يوم أمس التمادي بهذه «المسرحية»، وأصدر بياناً أعلن فيه تكليف «دائرة المراقبة في مصلحة الهندسة في بلدية بيروت» إجراء تحقيق فني وهندسي في أسباب فيضان مياه المجارير في الرملة البيضاء. فتح شبيب تحقيقاً مع نفسه؟ ليس ذلك بغريب عنه، فمنذ نحو شهرين، طلب محافظ بيروت فتح تحقيق لمعرفة الجهة التي أتاحت للمديرية العامة للأمن العام الحفر في أرض تابعة لحرج بيروت، فيما كان هو نفسه من أعطى موافقته لإشغال جزء من هذا العقار في عام 2015. وسبق لمصلحة الهندسة في البلدية أن أصدرت تقريراً يوصي بهدم مبنى عاشور المخالف للقانون من دون أن يعيره المحافظ أي أهمية. فعاشور تمكن من بناء منشآته عبر رخصة حصل عليها من شبيب، ليفتتح منتجعه لاحقاً على مرأى من «رجالات الدولة» من دون الاستحصال على رخصة إسكن وسياحة. وها هو الآن يكتد الدولة اللبنانية مصاريف بغنى عنها لإعادة فتح الريغار وتغيير «القساطل» والحفر من جديد.

> تم تحويل مجرور الرملة إلى محطة السان سيمون، التي لا تعمل، فعمّت الروائح الكريهة الحيّ المنكوب

«الأخبار» اتصلت بشبيب ورئيس بلدية بيروت جمال عيتاني، من دون أن تتلقى رداً من أي منهما، فيما حمّل الناشط البيئي المتابع لقضايا الملك العام، رجا نجيم، في حديث الى «الأخبار» مسؤولية ما يحصل من واقع المخالفات على شاطئ الرملة البيضاء وإقفال الريغار بالباطون لمحافظ بيروت وعيتاني، قائلاً: «كلامي بمثابة إخبار للتفتيش والنيابة العامة لمحاسبة الرجلين».

ولم يبقَ بيان شبيب وحيداً، إذ لاقته البلدية سريعاً في منتصف الطريق عبر جلسة استثنائية دعا إليها عيتاني وموضوعها الرئيسي مناقشة موضوع فيضان المجارير في بيروت، إلّا أن أحداً لا يعرف لماذا حملت الجلسة صفة «الاستثناء»، ما دام الأمر نفسه حصل عند أول هطول للأمطار منذ نحو شهر، من دون أن يتاهب أي من الخائفين على صورة العاصمة ومن دون أن يعالجوا أمر الريغار. المهم، انعقدت الجلسة، وتقرر على أثرها الموافقة على طلب الإدارة «إجراء تحقيق مفصل بخصوص طوفان المجارير وخطوط تصريف الأمطار في مدينة بيروت وخاصة في جادة الرئيس رفيق الحريري الناتج من تسكير المجرور الرئيسي، الذي تصب فيه الأمطار أيضاً بعدما تبين أنه سُدّ بالباطون». كذلك أوصى القرار بأن «يتم التحقق من هوية الأشخاص الذين قاموا بهذه الأعمال والشركاء والمقصرين للادعاء عليهم أمام المحاكم الجزائية». أحد أعضاء البلدية، في اتصال مع «الأخبار»، حمّل محافظ بيروت مسؤولية ما جرى، مؤكّداً أن شبيب هو من منح عاشور الضوء الأخضر للتمادي في تعدياته. وأضاف إن «الرئيس سعد الحريري أوصى البلدية بكسر الريغار وإزالة كل من يظهره التحقيق مسؤولاً الى القضاء». يحصل ذلك في ظل صمت التفتيش المركزي، الذي كان قد تلقى إخباراً من المحامي وديع عقل بكل ما يخصّ إنشاءات الـ«ايدن باي»، من دون أن يحرك ساكناً.

حفريات قرب مدخل الـ«إيدن باي» لفتح «الريغار» المقفل (هروات بوحيدر)

تقرير

الداخلية تشدّد الرقابة على الجمعيات: ضبط التفلّت أم مصادرة حريات؟

تعميم تشديد الرقابة على الجمعيات غير الحكومية، الصادر عن وزارة الداخلية والبلديات، أثار جدلاً في أوساط الناشطين والحقوقيين المعنيين بملف عمل الجمعيات، مع الإقرار بضرورة ضبط «التفلّت الجمعياتي». إلا أن التعميم حمل نفساً صارماً يثير الخشية على الحريات

بارود لـ«الأخبار»: التعميم يعبّر عن حسن نية وخطوة في سبيل ضبط بعض الجمعيات المتفلتة (هروات بوحيدر)

زينب أسماعيل

مطلع الأسبوع الجاري، أصدر وزير الداخلية والبلديات في حكومة تصريف الأعمال نهاد المشنوق تعميماً (رقم 24/م/2018) يقضي بتشديد رقابة الوزارة على عمل الجمعيات غير الحكومية. التعميم استند إلى المادة السابعة من قانون الجمعيات (8/3/1909) التي تشترط على كل جمعية وجود هيئة إدارية لإعداد سجّلات تتعلّق بهوية أعضاء الجمعية وتاريخ دخولهم، وتدوين مُقرّرات الهيئة الإدارية ومخابراتها وتبليغاتها وتسجيل ما يعود للجمعية من واردات ومُفردات المُصارفات ونوعها ومقدارها، على أن تُبرز هذه السجلات إلى «الحكومة العدلية والمُلكية» (مُصطلح مُقتبس من قانون 1909 ويعني وزارة العدل) في أي وقت تطلبها.

كما استند التعميم إلى المادة السابعة من مشروع القانون المنفذ بالمرسوم رقم 10830 تاريخ 2/10/1962، المتعلّقة بوجوب تقديم كل جمعية، الى وزارة الداخلية، لائحة تتضمن أسماء أعضائها ونسخة من موازنتها السنوية وحسابها القطعي السابق، والمادة 21 من المرسوم رقم 4082 تاريخ 14/10/2000 (تنظيم وزارة الداخلية والبلديات) المتعلّقة بتولي دائرة الشؤون السياسية والأحزاب والجمعيات مراقبة الجمعيات والأحزاب والأندية الخاصة والتأكّد من أن نشاطاتها لا تخالف الغاية التي أنشئت من أجلها.

ورغم أن التعميم أكّد حرص الوزارة على «توفير المناخ الديمقراطي والقانوني للجمعيات»، إلّا أنه لم يخلُ من «نَفَس» صارم يوحي بنية «تطويقية». فقد ورد فيه، مثلاً، أنّ كل جمعية تمتنع عن إبلاغ الحكومة بما هو مطلوب منها تُعدّ بمثابة «جمعية سرّية» و«غير قانونية، للدولة حق حلّها ومصادرة أموالها وملاحقة بعض أعضائها».

بعض الجمعيات رأت في التعميم انتهاكاً لـ «أهم الحقوق المحمية في لبنان»، والتي تتمثّل بالحق في حرية إبداء الرأي وحرية الإجتماع وحرية تأليف الجمعيات، مُشيرة إلى أنّ المادة 13 من الدستور نصّت صراحة على أنّ حرية تأليف الجمعيات مكفولة ضمن دائرة القانون. كما أن مجلس شورى الدولة اعتبر، في قرار صدر عام 2003، أن حرية الإجتماع وتأليف الجمعيات كفلها الدستور، «ولا يجوز وضع قيود على تأسيسها وإجازة حلها الا بنص قانوني، ولا يجوز اخضاعها لجهة صحة تكوينها لأي تدخل مسبق من جانب الادارة ولا حتى من جانب القضاء». إضافة الى أن المادة 22 من العهد الدولي الخاص للحقوق المدنية والسياسية تنص على أنه «لا يجوز أن يوضع من القيود على ممارسة هذا الحق إلا تلك التي ينص عليها القانون وتشكل تدابير ضرورية (...)». وكل هذه المواد القانونية والدستورية تسمو على تعميم وزاري.

«الأخبار» حاولت الوقوف على رأي الوزارة حول خلفيات التعميم وأسبابه، إلّا أن الموظف المعني بالملف رفض التجاوب واكتفى بطلب قراءة التعميم.

> كل جمعية لا تلتزم التعميم تُعدّ «جمعية سرّية» يمكن حلّها ومصادرة أموالها وملاحقة أعضائها

وفيما يبدو ضرورياً وضع ما يُشبه حدوداً عريضة لمراقبة عمل الجمعيات التي تتلقى تمويلاً من الخارج للوقوف على أهدافها ومدى تعارضها مع المصلحة الوطنية، خصوصاً بعد الانفلاش التي شهدته جمعيات ما يسمى بالـ «NGO»، الا أن هناك خشية من أن يتحوّل التعميم وسيلة للمسّ بحريّة الجمعيات وتطويق أدائها وإخضاعها.

وزير الداخلية السابق زياد بارود قال لـ «الأخبار» إنّ التعميم «يعبّر عن حسن نية وخطوة في سبيل ضبط بعض الجمعيات المتفلّتة»، لكنه لفت الى أنه «لا يمكن تخطي الدستور (المادة 13) والقانون الصادر سنة 1909». فهذا الأخير، على رغم «عثمانيته»، إلا أنه «ليبرالي حامٍ للحريات. وتالياً، يجب تجنّب أي نص تنظيمي قد يبدو متعرضاً لأي نوع من الحريات ولو بشكل قليل، خوفاً من بلوغ وقت تمسّ فيه الحريات بشكل غير مقصود». المطلوب، وفقاً لبارود، هو ملاحقة «جمعيات الأشرار» المشكوك بأمرها، من دون التأثير على الجمعيات الفاعلة، وإعادة طرح مشروع تنظيم مالية الجمعيات الذي اقترحته الوزارة عام 2010، بشكل تبقى فيه الجمعيات وحرياتها محمية، ومضبوطة في الوقت نفسه.

وجوه

ملكٌ قلوب الأنصاريين والبيارتة رفيق عيتاني يتذكر

تعانق صور نجوم نادي الأنصار زجاج واجهة محل حلاقةٍ صغيرٍ في شارع السبيك في الطريق الجديدة. صورٌ وصفحات جرائد قديمة تحاكي بطولات النادي على مدار الأعوام الماضية. يحفظ هذا المحل ذاكرة بيروت وأهلها. يتجذّر مكانه منذ 62 عاماً. صار معلماً من معالم المنطقة، ومقصداً لمحبّي النادي، لا بل لمحبّي كرة القدم. الاستدلال على المحل ليس بالأمر الصعب: اسأل عن «الملّك» رفيق عيتاني

يلتحم الأنصار منذ الخمسينيات (عدنان الحاج علي)

بتول يزبك

بابتسامةٍ معهودةٍ يعلوها شاربان مفتولان، يلاقي «أبو محمد» زبائنه كل يوم. يتقنون بعمله المتقن منذ كان شاباً، قبل أن تغزر التجاعيد ملامح وجهه. يحافظ على تقاليد الحلاقة القديمة وعلى عدّته الأولى. يلبس مريوله الأبيض، تزيّنه ربطة عنق رفيعةٍ مخططة. تبرز عروق كفّيه كلّما مرّر موسى الحلاقة على ذقن الزبون. يتفنّن بذلك. يكرّر العملية ثانيةً وسط صمتٍ لافت. الصور المعلّقة على الجدران وحدها تتكلم. داخل إطار خشبيٍّ عتيق، يقف بقميص «أنصاريٍّ» أخضر، متسلّماً درعاً تكريميّاً من إدارة النادي. تلتصق بها صورة أخرى من على مدرجات الملعب البلدي، وثالثة لفريق الدرجة الأولى في الفترة الذهبية في الخمسينيّات. الكلام في غير الرياضة ممنوع داخل المحل. صار المحل أشبه باستديو تحليليّ لمباريات كرة القدم المحلية والعالمية. يواظب عيتاني على متابعتها كلّها، حتّى كرة القدم النسائية. يحفظ مواقيت النشرات الإخبارية الرياضية على مختلف قنوات التلفزيون عن ظهر قلب. لا يغفل عن أي منها. يحرص على متابعتها بانتظام، وعلى تقييم أداء اللاعبين بعد المباريات. يختلف مع زبونه حول توقيت النشرة على قناة المنار، ويجيبه بلكنته البيروتيّة المحببة: «8 ونص المسا، سالني إلي».

السؤال عن عُمر «أبو محمد» يعيد عقارب الزّمن في رأسه طويلاً إلى الوراء. يسحب من جيبه «تذكرة القيد» القديمة. يحافظ عليها كإرثٍ وطنيٍّ لن يتكرر. صورةُ شابٍ بالأبيض والأسود تتربع على الصفحة الأولى، فيما محت الأعوام الواحدة والثمانون معالم السطور التي كُتبت بخطّ اليد في الصفحة الثانية. يتذكّر الشهر والسنة التي ولد فيهما بشكلٍ جيّد: «آذار 1937»، يقول بصوتٍ جهوري، لكنّه يفشل في إصابة اليوم الصحيح. لا يشيخ عيتاني برغم تقدّمه في السنّ. ينبض شباباً على مدرجات ملاعب كرة القدم. يرتبط اسمه ارتباطاً وثيقاً بنادي الأنصار. فهو شهد على نشأته منذ أن كان النادي في الدرجة الثانية عام 1951، وحين كان عدنان الشرقي لا يزال لاعباً ومدرباً للفريق.

ابن منطقة رأس بيروت الذي انتقل للعيش في الطريق الجديدة في عمر الثامنة، تأثر بظاهرة نشوء الأنصار على أرض الملعب البلدي. كان يسترق النظر إلى تدريباته من خلف سور الملعب، قبل أن يدخله مشجّعاً رسميّاً. صار عيتاني ملتصقاً بالنادي، وبالجمهور الأخضر، وإلى أن لُقّب بالـ«عميد». وبعكس المتوقّع، فإنّ عيتاني اختار تشجيع فريق الأنصار، برغم أنّ أخواله الثلاثة كانوا يلعبون ضمن صفوف فريق النجمة. يوسف يموت المقلب بالـ«سدّ العالي» واحد منهم، وأخواه حسن وصلاح. لم يتأثر بهم، بل كان يتابعهم على ملعب النجمة من بعيد فقط. اختار ميوله الرياضيّة بعيداً عن روابط العائلة. الفوتبول بالنسبة له أسلوب حياة. شغف عيتاني بالأنصار لا يقتصر على تشجيع الفريق الأول فحسب، بل ينسحب على متابعته لكل فئات النادي: الأشبال والناشئون والشباب. يلحق بهم من مكان إلى آخر، ولا يفوّت أي مباراة. يضحّي بعمله في الحلاقة من أجل حبّه للنادي. يغلق محلّه في منتصف النّهار ويتوجّه إلى الملعب لا وقت للعمل. الوقت كلّه لـ«الطابة» فقط. صارت العلاقة بين عيتاني ونادي الأنصار أشبه بعلاقة الأب بابنه. لا ينفصل الأول عن الثّاني مهما كانت الظروف والأحوال. «يوم الأحد أؤمّن كل متطلبات الحجّة وبقلها بخاطرك، بتعرف لوين رايح»، يقول عيتاني، ويضيف: «ذهبتُ نهار الجمعة الماضي إلى جونية لمشاهدة مباراة الراسينغ والأنصار، وكذلك إلى البقاع نهار السبت». حبّ الأنصار يمتد على مساحة الوطن. عاد أبو محمد من المباراتين فائزاً، محمّلاً بالحلوى كما في كلّ مرّة، وهو «شرط» داب على تنفيذه منذ زواجه. «أحضرتُ قريشة من البقاع، وعندما تكون المباراة في بيروت، أشتري الحلو العربي من محلات صفصوف الشهيرة في الطريق الجديدة». بات ينتظره العاملون في المحلّ بعد كلّ فوز. وقته ثابت، وطلبته معروف. أمّا «التزريك» من قبل أحد العمال «النجماويين» فيكون سيّد الموقف عند أي خسارة.

> شهد على نشأة الأنصار منذ 1951 حين كان النادي في الدرجة الثانية

لا يحزن «ملك الأنصار» لخسارة فريقه. يتقبل الربح والخسارة والتعادل برحابة صدر. يحاول أولاده استفزازه، لكنّ «الحجة» تقابلهم بالجواب ذاته دائماً: «الحاج ما بيزعل». شغف الفوتبول لا يقتصر على ربّ العائلة، فلعيتاني صفصوف الشهيرة في الطريق الجديدة بين الفريقين الأكثر تنافساً في لبنان: «الصبيان مع النجمة والبنات يشجّعن الأنصار». اعتاد ولدا عيتاني عبد ومروى مرافقة والدهما إلى المباريات، خصوصاً إلى «الديربي» المنتظر في كل عام، بعدما تسلم من النادي «بوسطة» لنقل الجماهير «الأنصاريّة» من العاصمة بيروت إلى مختلف المناطق. الجماهير التي يتحدّث عنها عيتاني، قلّت حماستها في السنوات الأخيرة، فصار الجمهور «النبيذي» هو الجمهور الأكبر في لبنان. يعترف عيتاني بذلك، محاولاً إخفاء حزنه، لكن سرعان ما تفضحه الدّموع اللّامعة في عينيه المتعبتين. يبدي عيتاني أسفه لما وصلت إليه حال المدرجات، بعدما غرقت صفوف الجماهير بالشباب والكلام غير اللّائق تجاه الفريق المنافس، ونخرت السياسة عمودها الفقري، فاسمة الملعب إلى مدرجين طائفيين. يبقى زمن التشجيع الجميل أسير وجدان المشجّع العتيق.

رغم كل شيء ذاكرة عيتاني لا تزال صاحية. تخلّد محطّات أساسية من عمر النادي مرتّبةً إياها بدقةٍ زمنيّة. هدف التأهل إلى الدرجة الأولى الذي أحرزه الوزير خالد قباني حينها في مباراتهم ضد فريق الهومنتمن أحد هذه المحطّات. كان ذلك بعد فوز الأنصار في أوّل مباراة له ضمن التصفيات المؤهّلة للدرجة الأولى، وانسحاب فريقي الحكمة والرياضة والأدب. تتشابك الأحداث والتواريخ في ذهنه. يحاول استرجاعها كلّها من دون أن يغفل عن أي منها. يحفظ أسماء المدربين وإداريي النادي في تلك الفترة، كما يحفظ خطواتهم وأبرز أعمالهم. يشير عيتاني إلى أنّ رخصة نادي الأنصار لم تكن في بيروت بل في جبل لبنان، قبل أن ينقلها فؤاد رستم إلى بيروت. شكّلت هذه الخطوة حينها محوراً أساسيّاً لتعلّق عيتاني بالنادي.

> دخل النادي موسوعة غينيس فكان أبو محمد أول الحاصلين على نسخة في 1999

يكمل حديثه بالقول إنّ نادي الأنصار تكوّن بمساعداتٍ عينيّةٍ من رستم ورئيس النادي في الدرجة الثانية سعيد روند. «كانت الليرة والنص ليرة تحكي، وهيك نشأ النادي». يبدو التأثر في صوته واضحاً خلال سرده لتاريخ نادٍ بيروتيٍّ عريق. ترتسم على وجهه المتعب ملامح الفخر بالانتماء إلى الأنصار. عندما انتقل النادي إلى الدرجة الأولى، سلّم روند «الأمانة» إلى سليم دياب، موصياً إياه: «أوعى تتصرف فيها لمين ما كان». الأمانة هذه ليست أمانة إدارة النادي فقط. «هي أمانة بيروت»، يعلّق عيتاني.

فوق المرآة الكبيرة في محلّه، تتربع صورة لفريقين بقميص أنصاريٍّ موحّد. نسأل عن شكل الصورة وتاريخها، فتحضر الإجابة فوراً على لسانه، وكأنّها جهّزت مسبقاً. يسرد عيتاني بالتفاصيل: «بعد صعود النادي إلى الدرجة الأولى، بدأ المدرب عدنان الشرقي بمساعدة أبو طالب البرجاوي، بتشكيل فريق رديف لنادي الأنصار، عبر تهيئة وتدريب اللاعبين من فئة الأشبال والناشئين، إلى جانب الفريق الأول». يشير بإصبعه إلى زاوية الصورة: «هذا هو ديفيد، أفضل اللاعبين الذين لعبوا في صفوف الأنصار». لاعبون آخرون وجد فيهم عيتاني نخبة كرة القدم اللبنانية. أمثال جمال طه، وبيتر بروسبر، وعمر ادلبي، وأبو سعيد (محمد) مسلماني. يختصر موقفه تجاههم بالقول: «هودي ما بيجي متلن». كان جيلاً ذهبياً.

أكثر من نصف عقدٍ مرّ على الفترة الذهبية للنادي، ولا يزال عيتاني متمسّكاً بولائه التامّ له. رافقه في نجاحاته العالمية، فكان أوّل من حصل على نسخةٍ من كتاب غينيس للأرقام القياسية عام 1999، التي تُوثّق إنجازات النادي بتحقيقه أكبر عدد بطولات رياضية متتالية بين عامي 1988 و1999. وكذلك لم يتخلَّ عن حبّه للفريق عند تراجع أداؤه بعد التغيير المتكرر في المدربين، مؤكداً أنّه «خطأ كبير». لكن كيف يقيّم عيتاني أداء النادي اليوم؟ يطلق تنهيدة عميقة قبل الإجابة، وكأنّه يستعرض في رأسه شريط أحداث متسلسلاً. «النادي منيح». يصمت قليلاً. يقلّب الصور الأرشيفية بين يديه، ويكررها ثانيةً: «منيح». يبدو راضياً عن عمل المدرب الحاليّ عبدالله أبو زمع «فلديه تكتيك جيّد»، على حدّ وصفه.

تحفظ مدرجات ملاعب كرة القدم اللبنانية دعسات عيتاني. يستقبله الجميع بفرحٍ كلّما وطئت قدماه أرضية الملعب. يقابله لاعبو النادي بالسلام الحار والتأهيل. يترك في قلوبهم أثراً جميلاً بعد كلّ لقاء. كيف لا وهو المعروف بالعبارة الأشهر على المدرجات «يا ملّك». هكذا يخاطب اللاّعب المتصدّر في المباراة، ملقياً عليه اندفاعة الفوز. للملك عبارةٌ أخرى أكثر تأثيراً: «خلّيك عليه». يرتجف المهاجم ويرتبك أمام كلماته، محاولاً عدم إضاعة الفرصة. عباراته هذه سُجّلت في تاريخ النادي حتى صار من الصّعب الفصل بينهما. داخل خزانةٍ خشبيةٍ قديمة، يخبّئ عيتاني صوراً وصفحات جرائد أرشيفيّة، تحكي كلّ واحدةٍ منها قصّةً من عمره، ومن عمر النادي. هنا «مانشيت» صحيفة بهّت لونها: «ملك نادي الأنصار... والحاج رفيق». وهنا أيضاً صورة لعيتاني يرفع كأس الفوز مع فريق الناشئين بعد إحرازهم البطولة. صورةٌ ملوّنة يطغى عليها لون النادي الأخضر، فيما بقي الشيب الأبيض في رأس الرّجل الأكثر وضوحاً في الصورة، ودليلاً على رحلة وفاءٍ صادقة، ربما، لن تتكرر في تاريخ كرة القدم اللبنانية.

مطرب أصيل

لم يلعب عيتاني كرة القدم بقدر حبّه ومتابعته لها. تعلّم رياضة رفع الأثقال الحديدية عندما كان في السابعة من عمره في نادي الصيّاد في بيروت. اهتمامات عيتاني لا تقتصر على الرياضة فقط، فهو متعدد المواهب. ظهر كل يوم، يصدح صوته في أرجاء منطقة الطريق الجديدة، رافعاً الأذان من على مأذنة جامع الحمد. يواظب على هذه الخدمة منذ 50 عاماً. لكنّه أيضاً عُرف بحبّه للطرب الأصيل قبل تلك الفترة، فتقدّم إلى برنامج المواهب «الفنّ هوايتي» على تلفزيون لبنان عام 1962، وحاز على المرتبة الأولى في مجموعة الغناء الطربية للراحل عبد الوهاب.

67 عاماً من الوفاء

التشكيك بنزاهة البطولات التي أحرزها نادي الأنصار على مدى الأعوام الماضية مرفوضٌ بالمطلق بالنّسبة لعيتاني. لا يتوان أبداً عن اتهام نادي النجمة بإذاعة الإشاعات بأنّ رفيق علامة كان يساعد النادي في التلاعب بنقاط وترتيب الفرق. يتهكّم على الجميع بالقول أنّ «علامة هو من كان يسجّل الأهداف بقدمه!». يبدو الأمر مضحكاً بالنّسبة له، فهو يثق بمهارات اللاعبين وبقدراتهم في تحقيق «الانتصارات». ولو لم يكن كذلك لما بقي وفيّاً للنادي منذ 67 إلى اليوم. يسأل عيتاني المشكّكين: «هل نسيتم أنّ المنتخب اللّبناني كان يختار 9 لاعبين من أصل 11 لاعباً لتشكيلته من نادي الأنصار؟».

دوري الأمم الأوروبية

ساندرو تونالي من بريشيا إلى «سان سيرو»

هذا هو بيرلو الجديد!

حسن رمضان

من المنزل الذي خرج منه صانع الألعاب الإيطالي واللاعب السابق لكل من الفرق الإيطالية الثلاثة الأكبر، أندريا بيرلو، بطل العالم في 2006، يُخرج لنا اليوم نادي بريشيا موهبة إيطالية جديدة. ساندرو تونالي. ليس بيرلو فقط، روبرتو باجيو مرّ من هنا، وكذلك بيب غواردیولا. اليوم، ومع تسلّم المدرب الإيطالي روبيرتو مانشيني زمام الأمور في المنتخب، أصبح الجميع يرى وجوهاً إيطالية جديدة وصغيرة في السن، تستدعى للقاءات مهمّة ومصيرية ضمن بطولة «دوري الأمم الأوروبية». البداية كانت مع نيكولو باريلا، لاعب كالياري الشاب، الذي مثّل منتخب بلاده في مناسبات عدّة في المباريات الأخيرة لـ«أتزوري». اختلافات عديدة شهدتها التشكيلة المستدعاة من قبل مدرب السيتي السابق، لعلّ المفاجأة الأبرز فيها، استدعاء نجم فريق بريشيا من الدرجة الثانية، ساندرو تونالي. ضجّت الصحافة الأوروبية بخبر استدعاء هذا الشاب الموهوب، ومن بينها الصحيفة الأبرز إيطالياً، «لاغازيتا ديللو سبورت» والتي تحدّثت عن اللاعب بأنه الموهبة الإيطالية الجديدة التي لم يكن هناك مثيل لها منذ سنين. هو بيرلو الجديد، هكذا لقّبته أغلبية المواقع والصحف الإيطالية، واعدين أنفسهم بمشاهدة بيرلو من جديد، اللاعب الذي يعتبر من بين أفضل ما أنجبته لعبة كرة القدم في مركز خط الوسط على مدار التاريخ. ولم لا؟ بل ربّما تونالي يصير أفضل من بيرلو. ولكن الكلام مبكر جداً عن مثل هذه المقارنات. لننتظر.

تونالو نفسه، تحدّث عن عدم رغبته بسماع المقارنات مع بيرلو وقال: «بيرلو لاعب استثنائي، وإنه لشيء جميل أن أقارَن به، إلّا أنني ما زلت بعيداً جداً، وأعتبر جينارو غاتوزو (مدرب ميلان الحالي)، مصدر الإلهام بالنسبة لي». ربّما يحاول تونالي بتصريحه هذا، إبعاد عدسات الكاميرات عنه، لأن المقارنة مع بيرلو هو عبء كبير، من الصعب أن يحمله أي لاعب على كتفيه. لديه تسريحة الشعر ذاتها، إضافة إلى طريقة اللعب أو «الستايل» أيضاً، يشغل تونالي ابن مدينة لودي في مقاطعة لومبارديا شمال إيطاليا، مركز «ريجيستا»،

> **يقال إن غواردیولا سياتي إلى الملعب لمشاهدة الموهبة الجديدة**

الجميع ببيرلو عندما كان يشغله. كان ابن 17 ربيعاً، عندما شارك لأول مرّة مع فريقه بريشيا، لعب 17 مباراة الموسم الماضي، ما بين

يفضل تونالي ان يشبّه بغاتوزو لا ببيرلو (أرشيف)

والتي تعني بالإيطالية المركز الذي يتقدّم المدافعين كلاعب ارتكاز، وصانع العاب في الوقت عينه. باختصار، المركز الذي «أغرم» أوروبية، لعل أبرزها يوفنتوس، ميلان، روما، تشيلسي والسيتي، فرق كبيرة يحلم بأن يكون لاعباً لها إبن مواليد سنة 2000، طموح من المتوقّع أن يتحوّل إلى حقيقة، بسبب الشغف والإصرار وقبل كل ذلك، بسبب الموهبة.

وفي حديثنا عن «سان سيرو»، وعن مدينة ميلانو «اللومباردية»، يستقبل المنتخب الإيطالي اليوم، وفي مباراة تعتبر مصيرية بالنسبة له، منتخب البرتغال. هي المباراة الرابعة للمنتخب ضمن بطولة دوري الأمم الأوروبية، ويمتلك أبناء المدرب مانشيني في رصيدهم أربع نقاط من ثلاث مباريات (تعادل أمام بولندا، خسارة أمام البرتغال في الذهاب، فوز أمام بولندا). يبدو بأن مدرب المنتخب الإيطالي روبيرتو مانشيني، وضع تشيكلة إيطالية «شابة» لمواجهة تشيكلة برتغالية «شابة» بدورها هي أيضاً. استدعى المدرب مانشيني كلاً من نيكولو باريلا، ساندرو تونالي، لورينزو بيليغريني، ثلاثة لاعبين في خط الوسط الإيطالي، لم يبلغ أكبر لاعب فيهم الـ22 من عمره. اعتماد واضح من قبل «مانشيو» على شباب إيطاليا، الأمر عينه بالنسبة لحامي اسم فدريكو، كبيرًا وبيرناردسكي، فالثقة التي أعطاها المدرب لهذا الثنائي لم تكن موجودة مع المدرب السابق فنتورا. من جهته سيعتمد المدرب سانتوس بدوره على مهاجمه المخالق أندريه سيلفا، وعلى صانع ألعاب فريقه ولاعب السيتي المميز برناردو سيلفا. على الورق، مباراة لا يمكن توقع نتيجتها، إلّا أن لـ«طليان» أفضلية طفيفة بحكم أن المباراة ستقام في «سان سيرو» أحد أقدم الملاعب في إيطاليا وأهمها في العالم بأسره.

البرتغال ليست فقط كريستيانو رونالدو

حسين فحص

كثرت المواهب الكروية أخيراً في بلاد البرتغال. أسماءٌ شابة كان لها ثقلها في الوسط الكروي، تمكنت من إعادة الأمجاد لمنتخب بلادها بعد أن توّج ببطولة يورو 2016. بعيداً عن تألق كريستيانو رونالدو، الموهبة الأبرز في تاريخ البرتغال، تمكن اللاعبان أندري سيلفا وبرناردو سيلفا من مساعدة فريقيهما على احتلال مركزي الوصافة والصدارة توالياً في الدوريين الإسباني والإنكليزي، لما يقدمانه من أداءٍ عالٍ.

انضم أندري سيلفا إلى صفوف إي سي ميلان الإيطالي مقابل 38 مليون يورو قادماً من نادي بورتو. موسمٌ جيد قضاه اللاعب في الدوري البرتغالي تمكن خلاله من هز الشباك في 16 مناسبة من 32 مباراة على الصعيد المحلي، وخمسة أهداف من عشر مباريات أوروبياً. أداءٌ مميز جذب أنظار ملاك النادي الإيطالي، ليشكل على الورق أحد العناصر الأساسية لمشروع النادي الجديد. ورغم الموهبة التي تحلى بها الفتى البرتغالي، وعلى الرغم من كونه الصفقة الأغلى التي أبرمها الروسونيري الصيف الماضي، رافق أندري سيلفا دكة البدلاء في أغلب فترات حقبة المدرب مونتيلا، حيث تمكن من تسجيل هدفين فقط من 24 ظهوراً جاء أغلبها من دكة البدلاء. أداءٌ سيئ ظهر به ميلان أدى إلى إقالة مدربه الإيطالي واستقدام غاتوزو بديلاً منه. تغييرٌ إداري أمل اللاعب أن يعطى إثره الفرصة ليظهر إمكانياته، وهو ما لم يحدث، حيث تناوبت الصفقة البديلة كالينيتش وخريج النادي، اللاعب المتواضع كوتروني، على شغل مركز رأس الحربة بدلاً من أندري سيلفا، في خطوة غير مفهومة من الجهاز الفني لنادي ميلان. سنة ضائعة في مسيرة اللاعب. دقائق محدودة لم تسعفه في إبراز إمكانياته التي تفجرت فور انتقاله إلى نادي إشبيلية مطلع الصيف الماضي على سبيل الإعارة مع أحقية الشراء، فيما قام ميلان باستقطاب غونزالو هيغواين ليشغل مركز رأس الحربة الأساسي. في ظل تألقه اللافت مع ناديه، يبدو أن النادي الإسباني لن يتوارى عن تفعيل بند شراء سيلفا مقابل 35 مليون يورو. مبارياتٌ قليلة احتاجها اللاعب ليظهر موهبته الحقيقية، والتي

يتعمد سيلفا عن مسبي بهدفين فقط في ترتيب هدافي الليغا (أرشيف)

قد يندم ميلان على التفريط بها في ظل تقدم غونزالو بالعمر. بـ7 أهداف إلى الآن، يحتل أندري سيلفا المركز السادس بقائمة أفضل هدافي الدوري الإسباني مبتعداً بهدفين عن هداف الدوري ليونيل ميسي.

لم يخطف سيلفا جميع الأضواء، فعلى الرغم من تألقه اللافت هذا الموسم، يحظى اللاعب بيرناردو سيلفا بموسمٍ استثنائي مع مانشستر سيتي تحت إمرة بيب غواردیولا. أثارت الصفقة فور إتمامها العام الماضي الكثير من التساؤلات، فعلى الرغم من تألقه برفقة موناكو ومساهمته بشكل مباشر في تحقيق لقب الدوري الفرنسي والوصول إلى دور نصف النهائي في دوري أبطال أوروبا، أثار الرقم الذي جاء به الشاب البرتغالي إلى إنكلترا الكثير من الانتقادات، نظراً لعدم حاجة الفريق الماسة إليه في ظل وجود كل من رحيم ستيرلينغ وليروا ساني، بـ50 مليون جنيه استرليني رافق ببرناردو دكة البدلاء لنصف موسم تقريباً، اقتصرت مشاركته في هذه المدة على بضع دقائق شغلها كبديل ليشارك بشكل أكثر في النصف الثاني من الموسم. إصابةٌ لنجم الفريق كيفن دي بروين مطلع هذا الموسم، ساهمت في بزوغ اللاعب البرتغالي ليشكل أحد ركائز مانشستر سيتي الأساسية هذا الموسم، في حملة الحفاظ على لقبه، بعكس التوقعات، لم يتأثر السيتيزنز كثيراً بغياب دي بروين، بل لربما لم يتأثر أبداً. مستوى رائع يقدمه الجناح البرتغالي في مركز الوسط، أعطى إثره التوازن للسيتي من جديد مساهماً بشكل مباشر في تصدر الفريق لجدول الدوري الإنكليزي الممتاز. بهدف أندري سيلفا الوحيد في لقاء الذهاب، تمكنت البرتغال من تحقيق انتصارها الرسمي الأول على منتخب الأتزوري منذ 1957. متسلحاً بتألق لاعبيه الثلاثة في خط المقدمة، يأمل المدرب فيرناندو سانتوس بإعادة الإنجاز عندما يسافر إلى سان سيرو لمواجهة منتخب إيطاليا، ضمن إياب مباريات بطولة دوري الأمم الأوروبية. ولكن المهمة ليست كما على الورق، فإيطاليا جائعة.

الكرواتي تين يدفاي خلال احتفاله بتسجيل الهدف الثالث لمنتخب بلاده، في الدقيقة الثالثة من الوقت بدل الضائع. هدف حسم المباراة لكرواتيا أمام اسبانيا، علما أنها أجريت في ستاد مكسيمير في زغرب. ورفعت كرواتيا رصيدها بهذا الفوز إلى 4 نقاط، وانعشت حظوظها بالصراع على صدارة المجموعة، التي تضم إنكلترا مع كرواتيا واسبانيا (أ ف ب)

استراحة

كلمات متقاطعة 3019

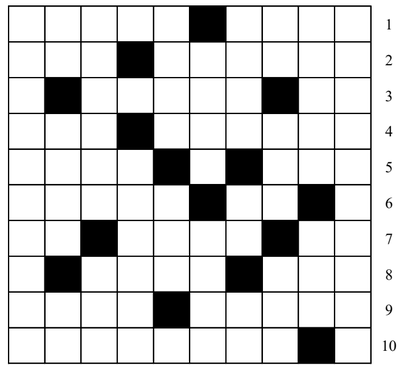

أفقيا

1- من اسماء النار أو دار العقاب في الآخرة – مدينة سويسرية – 2- شركة الات موسيقية يابانية – يضجر – 3- قرع الجرس – إسم عدّة رجال نُسبوا الى تولوز فرنسا من مشاهيرهم أحد قوّاد الحملة الصليبية الأولى – 4- عائلة رئيس جمهورية أميركي – دخل البيت – 5- عملة إيطالية – إحدى القارات – 6- رجل دين – مدينة كبيرة في ولاية واشنطن الأميركية – 7- من الأزهار – في الفم – إله مصري – 8- صوّتت الذبابة – جمود إقتصادي في البلاد – 9- مدينة أميركية عاصمة ولاية كارولينا الشمالية – ممثلو الأمة – 10- بلدة لبنانية في قضاء عكار على الحدود السورية

عمودياً

1- رئيس أميركي راحل – 2- عاصمة آسيوية – خاصتنا وملكنا – 3- وشي أو ثرثر – من عوامل الطقس في الشتاء – قرأ الكتاب – 4- من رجال الثورة الفرنسية إغتيل في أوج مجده – من الأمراض – للتعريف – 5- سيطر على البلد – خلاف بطيء – 6- موقع في تونس إنهزم فيه القائد التاريخي هنيبعل بمواجهة الجحافل الرومانية – حقيبة بالأجنبية – 7- عائلة قائد تركي راحل تولى رئاسة الوزراء والجمهورية – 8- مدينة مكسيكية – دويبات تعيش في الأرض أو في الفاكهة والخضر – 9- بحر – مقياس سوائل – للتفسير – 10- خليج بين شبه جزيرة سيناء والسعودية والأردن طوله نحو 200 كلم

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- سرغي لافروف – 2- اورغ – زرنيخ – 3- نتشاور – ممر – 4- ثرّ – رمقت – با – 5- ردع – مدلل – 6- والد – تسمير – 7- بم – منفاخ – 8- الصلح – دن – 9- زحل – ري – جب – 10- بوليساريو

عمودياً

1- سان نروبيز – 2- روتردام – حب – 3- غرش – علّ – الو – 4- يغار – دمل – 5- ومض – نصري – 6- ازرق – تفليس – 7- فر – تمساح – 8- رنّم – دمخ – جرّ – 9- ويمبلي – دبي – 10- فخر الدين

3019 sudoku

9	3	7			4	6		
	4		8					3
	1			9			7	
	8				1	3		
1	9			6				5
		4	7	5				
8				4	9	5		7
		3			7	9		
6				3				1

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 3018

6	4	2	8	9	1	5	3	7
1	8	9	7	3	5	2	4	6
3	7	5	4	6	2	9	8	1
8	5	6	9	2	7	4	1	3
2	9	7	3	1	4	8	6	5
4	3	1	5	8	6	7	2	9
5	2	3	1	7	8	6	9	4
7	1	8	6	4	9	3	5	2
9	6	4	2	5	3	1	7	8

مشاهير 3019

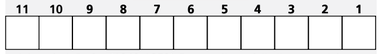

من مشاهير رجال الثورة الروسية (1879-1940). رفيق لينين. نظم الجيش السوفياتي. نفاه ستالين عام 1929. اغتيل في المكسيك

8+7+2+5=6 = شبكة تواصل إجتماعي ■ 1+1+3+11=4 = مدينة فرنسية
■ 9+10+3+8 = صمت

حل الشبكة الماضية: **ميليس زيناوي**

إعداد
نعوم مسعود

حول العالم

نهاية حقبة

دخل واين روني لاعب مانشستر يونايتد السابق بديلاً في الدقيقة 57 من عمر المباراة الاستعدادية أمام المنتخب الأميركي، على وقع تصفيقات من الجماهير الإنكليزية. وأغلق صاحب الثالثة والثلاثين عاماً مسيرة حافلة مع المنتخب الإنكليزي خاض خلالها 120 مباراة دولية وسجل 53 هدفاً (الهداف التاريخي). وشارك روني في ثلاث كؤوس عالم ومثّل منتخب بلاده في كأس الأمم الأوروبية. وحقق المنتخب الإنكليزي فوزاً كبيراً على ضيفه الأميركي بثلاثية نظيفة.

ستيرنيتش بخير

أكد نادي ميلان الإيطالي أن الجهاز الطبي المشرف على الفريق أعطى الضوء الأخضر للمدافع الدولي الكرواتي إيفان ستيرنيتش. ولم يلعب ستيرنيتش مع ناديه ميلان منذ التحاقه به في الصيف الماضي بسبب أزمة قلبية. وأعلن النادي أن الكرواتي (31 عاماً) حصل على الضوء الأخضر بعد سلسلة من الفحوصات الطبية تمت هذا الأسبوع في مستشفى القلب في مدينة بادوفا، وسيبدأ التدريب اعتباراً من الاثنين المقبل.

روما يدفع دَينه

كشف نادي روما الإيطالي أنه سيدفع مبلغ 150 ألف يورو لعائلة شون كوكس، أحد مشجعي ليفربول الإنكليزي، الذي تم الاعتداء عليه من قبل أنصار نادي العاصمة الإيطالية في نيسان/أبريل الماضي. وكان ذلك خلال ذهاب نصف نهائي دوري أبطال أوروبا. وستترافق المساعدة المالية الموزعة بنسبة الثلثين من مؤسسة روما والثلث الآخر كهبة شخصية من بالوتا (رئيس النادي)، إضافة لمبادرات أخرى من جمع تبرعات ستساعد في تغطية النفقات لسنوات عدة.

العلامة الكاملة

حقق المنتخب البلجيكي العلامة الكاملة بعد ثلاث مباريات له في بطولة «دوري الأمم الأوروبية» بعد فوزه على آيسلندا بثنائية نظيفة على ملعب الملك «بودوان» في العاصمة البلجيكية بروكسل. ويعتبر هذا الفوز بمثابة خطوة كبيرة نحو بلوغ المربع الذهبي. ويستمر المنتخب البلجيكي في احتلال صدارة المجموعة الثانية برصيد تسع نقاط من ثلاث مباريات، ليكون المنتخب الوحيد من المستوى الأول الذي فاز في كل مبارياته.

في رثاء «دار الصيّاد»: نهاية الإعلام التقليدي؟

أسعد أبو خليل *

مرَّ خبرُ إقفال «دار الصيّاد» دون ضجّة إعلاميّة في لبنان أو في العالم العربي. اندثار الصحافة المكتوبة بات لا يثير العجب. نحن في عصر إعلام جديد. الإعلام التقليدي، على علّاته، كان أكثر مواكبة لأحداث العالم العربي من أبعاده المختلفة، ووفق أجندات السفارات والأنظمة. الإعلامُ الجديد ينبثُ كالفطر على مواقع الإنترنت ولم تعدّ أميركا وحدها هي المهتمّة بهذا الشأن. منظمّاتٌ أوروبيّة تدّعي حب الإنسان والديموقراطيّة (مطعّماً بحبٍّ وفير للعدوّ الإسرائيلي طبعاً) باتت هي المحرِّر والناشر الأكبر لمواقع إخباريّة-سياسيّة عربيّة («مستقلّة» دوماً، إذ إن الاستقلال لا يعني في سياق الصحافة العربيّة غير أنه غير مؤيّد لأي نسق من أنساق مقاومة إسرائيل في المنطقة). حتى سويسرا باتت مهتمّة بإنشاء مواقع أخبار عربيّة. والفارق بين الإعلام الجديد والتقليدي أن الأخير حاول أن يعكس المزاج العربي العام (وإن بطرق مختلفة) في حين أن الإعلام الجديد يجهدُ أكثر في صنع وقولبة وتغيير المزاج العربي العام باتجاه غربي. أي إن الإعلام الجديد هو أكثر دعائيّة من الإعلام التقليدي، على فجاجة دعائيّة بعض الإعلام التقليدي.

السمة الثانية في الإعلام الجديد هو تعزيز الهويّة القبليّة، أو الهويّة الحارة كما تقتضي الضرورة. السخرية من الاهتمامات العربيّة الجامعة شكّلت ضرورة من ضرورات صعود الهويّة الضيّقة التي ترمي إلى إهمال القضيّة الفلسطينيّة والقضاء على الإجماع الشعبي العربي (على مرّ عقود) على رفض المؤامرات الغربيّة في المنطقة. والزمن الناصري شكّل خطراً على استقرار عروش طغاة هالهم تعبئة الجماهير ضد الحدود التي فرضها المُستعمِر. إعلام الحقبة السعوديّة التي تلت رحيل عبد الناصر طغى رغم تمويل النظامَيْن العراقي والليبي لصحف قوميّة عربيّة. والقضايا المحليّة الصغيرة - الصغيرة بمعنى أنها تعني سكّان قرية أو مدينة - هي الغالبة في هذا الإعلام، وأصحاب المليارات العرب يموّلون محطات تلتزم هذه الضوابط. والإعلام الجديد يُسيِّره (بالنيابة عن الداعم الحقيقي) إعلاميّون (النساء غائبات عن رئاسة التحرير والنشر في الصحافة العربيّة) تخرّجوا من إعلام أمراء آل سعود. هؤلاء تمرّسوا في نقد اليسار والمقاومة والهويّات الجامعة (لأن هواهم قبلي- عشائري أو حتى هويّات على نطاق الحارة أو المحلّة). وتتوافق معايير إعلام الأمراء مع معايير الجمعيّات الغربيّة الراعية للديموقراطيّة. المهم أن القضايا التي تعنى على العرب لا تستحق المتابعة أو التغطية للإمعان في تقسيم العرب.

الذي عايش إعلام ما قبل الحرب الأهليّة يتذكّر دور «دار الصيّاد» في الصحافة العربيّة ونجاحها على مستوى العالم العربي. لم يكن هناك طغيان لصحيفة واحدة أو مطبوعة واحدة في مرحلة ما قبل الحرب. كان هناك تنافس حقيقي بين دور نشر ودور طباعة وصحف ومجلّات. إن كثافة المنافسة الإعلاميّة في لبنان لم تكن تعكس تعطشاً للحريّة أو مساحة ديموقراطيّة بقدر ما عكست دور بيروت كمركز للدعاية والاستخبارات الغربيّة في مرحلة الحرب الباردة (على نطاق عالمي وعلى نطاق عربي حيث قادة الأنظمة الخليجيّة الرجعيّة المعركة ضد اليسار والتقدّم والعلمانيّة والنسويّة). وكان إعلام اليسار مثلاً يعاني من الرقابة والقمع والإغلاق آنذاك.

لم تكن الصحافة اللبنانيّة في عصر ازدهارها نتاج الحالة اللبنانيّة وحدها. كانت نتاج الصراع الإقليمي والدولي في الساحة اللبنانيّة كما كانت نتاج هجرة المال والإعلام إلى لبنان في عصر التأميمات. كان لسوريا تراثها الإعلامي العريق وسعيد فريحة انطلق في بداياته في الإعلام المحلي. لم يكن فريحة متعلّماً لكنّه تمرّس في الصحافة عن شغف، وهذا بات نادراً في عصر كان فيه الجذب الإعلامي وسيلة للتقزّب من هذا الأمير أو ذاك الشيخ. سعيد فريحة مثله مثل سليم اللوزي وناشري المطبوعات في لبنان، تأثّروا بالمدرسة الصحافيّة لمحمد التابعي، من حيث نقل أسلوب التشويق القصصي إلى السرد الصحافي ولو أتى على حساب الدقّة والأمانة الصحافيّة.

أسّس فريحة مجلّة «الصيّاد» عام 1943 ونجحت بسرعة وباتت المجلّة الأولى إلى أن أزاحتها «الحوادث» أواخر الستينيّات والسبعينيّات عن موقعها المتصدّر. أدخلت «الصيّاد» فن السخرية السياسيّة إلى الصحافة اللبنانيّة، وهي استوردته من مصر، حيث كانت الصحافة الساخرة وفن الكاريكاتور السياسي معروفاً. كان أشهر رسّامي الكاريكاتير في مصر عبد المنعم رخا الذي دخل السجن في الثلاثينيّات بعد إدانته بذمّ الملك. ويُقال إن الرخا كان رائداً في فن الكاريكاتور السياسي العربي. أضاف رسّام الكاريكاتور «خليل» لمسة إضافيّة على «الصيّاد» لأن رسومه كانت تزيّن الغلاف. وهو الذي ابتكر شخصيّة العم «أبو خليل» (لا يمت بصلة قربى لي) كرمزٍ للشخصيّة اللبنانيّة على مثال العم «سام» الأميركي. وتصوير «أبو خليل» كان محاولة لاختلاق شخصيّة لبنانيّة خياليّة، فهو لا هويّة طائفيّة أو سياسيّة له ويرتدي الشروال والبَلّادة، وتعليقاته تكون من النوع الذي لا يهدّد السلم الأهلي (الغالي جداً على قلوب أهل الرقابة في الأنظمة العربيّة). وكان الغلاف الأبرز لـ«الصيّاد» هو الذي صدر في 24 آيّار 1945، ويظهر فيه جندي سنغالي (عاريـاً إلّا من سروال داخلي وبحمل في صورته تاريخاً من صور الرجل الأبيض المُستعمِر النمطيّة عن الأفارقة) وهو يتوجّه إلى اللبنانيّين (المُرتدين اللباس الأوروبي الأنيق) بالقول بالفرنسيّة: «أنا أحضركم». وتلقّفت العنصريّة اللبنانيّة الصورة بالكثير من الترحيب لأن اعتماد المُستعمِر الغربي على جندي أفريقي لحكم اللبنانيّين اعتُبر إهانة لشعب يزهو بتحضّره وبتفوّقه من الرجل الأبيض.

كانت «الصيّاد» خفيفة في سنواتها الأولى وتكثر من نشر الأخبار الفنيّة والسرديّات العاطفيّة للمؤسّس، سعيد فريحة. وكان كل ناشر يطبع صحيفته أو مجلّته بشخصيته، فإن فريحة طبع «الصياد» بشخصيّته المرحة والخفيفة والطريفة والمهتمّة بالشأن السياسي والفنّي على حد سواء. وكانت «الصيّاد» تمزج بين الفن والسياسة وفي الكاريكاتور. لكن هويّتها السياسيّة، في زمن الصراع السياسي المحتدم، كانت واضحة وجليّة. كانت شهابيّة في الستينيّات في الشأن اللبناني، وكانت شديدة المُناصرة الناصريّة في الشأن العربي. وهي حافظت على الهوى الناصري حتى وفاة عبد الناصر، عندما تشتّت الصحف والمجلّات بين أمراء

> حافظ صاحب «الصيّاد» على علاقات وطيدة مع أنظمة الخليج لكنها لم تتطوّر إلا بعد وفاة عبد الناصر

وشيوخ النفط، أو بين النظام الجمهوري العراقي أو اللاجمهوري الليبي.

تنافست «الصيّاد» مع «الحوادث» التي كانت أقل التزاماً بالمهنيّة من «الصيّاد». لعب جان عبيد ومن بعده رفيق خوري في رئاسة تحرير «الصيّاد» إضفاء طابع من الرصانة المهنيّة والنمط التحليلي على مقالاتها. واختلفت كثيراً عن «الحوادث» التي اعتمدت الإثارة (الخلاعيّة أحياناً) والتشويق وإضفاء المبالغة والجذب التابلويدي على العناوين وعلى صور الاجتماعيّات. واعتمدت «الصيّاد» على التحقيقات الجديّة في مواضيع السياسة في لبنان والعمل الفدائي والجوّ الاجتماعي. غابت هذه المواضيع عن «الحوادث» التي ركّزت على المزايدة في مواقف مصطنعة لصاحبها. والمفارقة أن سليم اللوزي، الذي قُتل بسبب كتاباته عن النظام السوري، كان قد دعا في الستينيّات لقتل المحامي محسن سليم لأنه رافعٌ أمام المجلس العدلي في قضيّة اغتيال كامل مروّة (عاد اللوزي وأعتذر بعد ذلك لأسباب قانونيّة). وكانت موارد «الحوادث» أغزر من موارد منافساتها، كما أن موارد «النهار» كانت أغزر من موارد منافساتها، ولم يكن لذلك علاقة بالمهنيّة أو المهارة أو النجاح.

«الصيّاد» تحت قيادة جان عبيد (الذي نجح في الانتقال الرشيق من موالاة تامة للنظام السوري إلى موالاة تامة للنظام السعودي) وتحت قيادة رفيق خوري مثلت صحافة شجاعة وقفت بوجه جور السلطة ووضد قمع حركة المقاومة الفلسطينيّة ومع حقوق المُضربين والمتظاهرين والمعتصمين، وما أكثرهم في تلك الأيّام. وحافظ صاحب «الصيّاد» على علاقات وطيدة مع أنظمة الخليج لكنها لم تتطوّر إلا بعد وفاة جمال عبد الناصر عندما شعر ناشرو الصحف في لبنان أن سطوة عبد الناصر (الجماهيريّة وليس الأمنيّة) لم تعد تمنعهم من الارتماء في أحضان رعاية النفط والغاز، لكن سليم اللوزي كان أشطرهم إذ إن علاقته الوطيدة بالأمير فهد (في حينه) لم تحصره برعاية واحدة بل تمتّع برعايات متنوّعة وعدة (يُقال إنه أجاب عن عتاب الشيخ زايد بن سلطان حول عدم نشر «الحوادث» لمديح له بأن سعر المديح يفوق سعر عدم النقد).

تأسّست «دار الصيّاد» عام 1955 وأصبحت بسرعة مَعْلماً في منطقة كانت مفقرة وتحوّلت بسرعة بفضل الدار إلى منطقة سكنيّة للميسورين. وأصبحت الإشارة إلى «الصيّاد» كافية للتدليل على طريق السير في بيروت والصعود إلى الجبل. وحوت «دار الصيّاد» (أكثر بكثير من «دار النهار» ذي الطابع اللبناني الشوفيني الفينيقي) كتّاباً عرباً من جنسيّات مختلفة. وتوالت إصدارات الدار فولدت مجلّة «الشبكة» عام 1956 (كان فريحة مولعاً بالفن والطرب وكان صديقاً لأم كلثوم التي دشّنت معه مبنى «دار الصيّاد»). و«الشبكة» تطوّرت في الستينيّات إلى البديل العربي (المحافظ نسبيّاً) لمجلّة «بلاي بوي» وكانت وسيلة مرور في سن المراهقة للشباب العربي. ولأن المرحلة سادها ليبراليّة جنسيّة (استمرّت حتى حقبة الاستنهاض الديني بشقّيه السعودي والإيراني)، فإن «الشبكة» عبّرت عن الخيال الجنسي لشباب عربي مكبوت. ويُقال كثيراً عن مبيعات «النهار» و«الحوادث» في سنوات ما بعد الحرب، لكن من المشكوك فيه أن تكون أي مطبوعة عربيّة قد وصلت إلى مستوى مبيع مجلّة «الشبكة» والتي اجتازت عتبة مئة ألف نسخة في الأسبوع الواحد. كان العري (غير الكامل) هو الطريق السريع لنجاح المجلّة (وروى سعيد فريحة أن عبد الناصر تذمّر أمامه من صورة غلاف أحد الأعداد وظهرت فيها الفنانة «رندة» وهي تستحم). وكانت المجلّة تنشر مقالات نقديّة عن فنانين وفنانات وكانت الحوارات طبيعيّة وغير متكلّفة كما هي الحال اليوم، عندما يجيب مستشار الفنّان والفنّانة عن أسئلة الصحافة. ونشرت «الشبكة» في الستينيّات مساجلات زجليّة بين جورج جرداق وعاصي الرحباني واتسمت بالقسوة الشديدة مما أمتع القرّاء.

وفي 1959، أصدر سعيد فريحة جريدة «الأنوار» اليوميّة. وفي وقت قصير، نافست الجريدة «النهار» التي كانت الناطقة دوماً باسم المؤسّسة الحاكمة (أو المعارضة اللطيفة في العهد الشهابي الثاني لمصلحة الحلف الثلاثي الطائفي الرجعي). لم تكن الساحة خالية يوماً لـ«النهار» كما يرد في روايات ما يُسمّى - من قبل جماعة «النهار» - بـ«الزمن الجميل». كان هناك منافسة حقيقيّة للجريدة من «الأنوار» و«المحرّر» وغيرهما من الصحف. لكن الجريدتيْن الأخيرتيْن كانتا الأعلى صوتاً في معارضة النهج اليميني الطائفي الانعزالي للجريدة. وكان سعيد فريحة يستقطب كتّاباً لبنانيّين وفلسطينيّين وسوريّين ومصريّين في صحفه من ضمن الخط القومي العربي الذي انتهجه (وكان يستكتب أيضاً علي أمين، شقيق السجين مصطفى أمين في حينه، وإن كان ينشر له تحت اسم «كاتب عربي كبير»). لكن «الأنوار» اختلفت عن «المحرّر» إذ كانت أكثر رصانة وأقل زعيقاً (أذكر عنواناً لـ«المحرّر» من أواخر الستينيّات عن «طبول بغداد» في إشارة إلى حركة معارضة ضد النظام آنذاك، وكانت ناطقة باسم النظام البعثي هناك). لكن الجريدتيْن ساهمتا في تثقيف جيل كامل من القراء عن قضيّة فلسطين ومخاطر الصهيونيّة وعن حرب فيتنام ومعظم قضايا العالم العربي، فيما كانت «النهار» لا تنشر إلا الدعاية الغربيّة والدسّ والنميمة والتحريض ضد حركة المقاومة (باستثناء ملحق «النهار» الذي أخذه أنسي الحاج باتجاه أقل يمينيّة من الجريدة وإن بقي في خط الوطنيّة اللبنانيّة). وخُصّصت «المحرّر» ملحقاً أسبوعيّاً عن فلسطين، فيما أصدرت «الأنوار» عام 1967 ملحقاً أسبوعيّاً كردّ على ملحق «النهار» الأسبوعي وأوكلت رئاسة تحريره إلى العظيم غسان كنفاني (كم نفتقده في عصر مواقع التواصل الاجتماعي وهو الذي يطلّ فيها يوميّاً وهو ميت، فما بالك لو لا يزال حيّاً؟). والملحق كان تراساً أدبيّاً وفنيّاً وسياسيّاً فريداً يرصد القضيّة الفلسطينيّة ويفنّد الدعاية الإمبرياليّة حول العالم ويفضح دسائس المخطّطات الأميركيّة في منطقتنا (أصدرت «دار الآداب» كتاباً يضمّ كتابات كنفاني باسم فارس فارس، التي نشرها في الملحق، وهي تعطي فكرة عن عمق فكره وتحليله الثاقب).

وكما ساهم فلسطينيّون في «المحرّر» بصورة أساسيّة (دور شفيق الحوت وغسان كنفاني في ملحق فلسطين كان كبيراً)، فإن الدور الفلسطيني في دار الصيّاد كان كبيراً. كان نبيل خوري من المؤسّسين في «الأنوار» وباشر كنفاني الكتابة فيها مبكّراً. وفيما بقيت «الصيّاد» تجمع بين الكتابة الصحافيّة، وبين الفن الكاريكاتوري الساخر، فإن «الأنوار» كانت أيضاً تعرض رسومات كاريكاتوريّة، في الصفحة الأخيرة وفي الملحق الأسبوعي. وجان مشعلاني كان من أبرز رسّاميها وكانت رسوماته أكثر ابتكاراً وأقل مباشرة من رسوم بيار الصادق الفاقعة في مباشرتها وصبيانيّتها. حافظ سعيد فريحة على صداقة مع غسان تويني لكن صراعه ضد «الحوادث» ومؤسّسها كان عنيفاً. وعندما دَفَه سليم اللوزي بطريقته اللئيمة الجارحة ردّ عليه فريحة في «الأنوار»، متهماً إيّاه بكسب قوته بـ«عرق ركبته». كانت «دار الصيّاد» داراً صحافيّاً أكثر مما كانت «النهار». الأخيرة كانت داراً لنشر الكتب وتخصّصت في نشر الدعاية اليمينيّة والتاريخ اللبناني الانعزالي ومعاداة الشيوعيّة. لم يتوسّع النشر الصحافي لـ«النهار» باستثناء «ملف النهار» الذي كان يُنشر دوريّاً عن مواضيع محدّدة، محليّة ودوليّة. «دار الصيّاد» ولّدت جريدة ومجلّات متنوّعة: كانت أوّل من نشرت القصص المصوّرة بالرعبيّة في مجلّة «سَمَر» ثم نشرت في مجال «الدفاع العربي» و«الإداري» من العظيم غسان كنفاني (كم تشرين وعن الحرب اللبنانيّة. لكن الحرب كانت مُدمّرة للدار، كما كانت وفاة فريحة في 1978. ولم يكن أي من أولاد فريحة مؤهلاً للعمل الصحافي، كما كانت حالة غسان تويني الذي أضاف إلى الصحافة اللبنانيّة ما استورده من صحافة أميركا، خصوصاً الملاحق الأسبوعيّة وأقسام الصحيفة المختلفة. برعَ بسام فريحة في التجارة أكثر من الإعلام وفتح قنوات اتصال مع الإمبراطوريّة الإماراتي مما درّ على الدار أموالاً لم تُحسَن البتّة في الإنتاج الصحافي لها منذ وفاة المؤسّس. ماتت «الصيّاد» بموت مؤسّسها لكن المال الإماراتي أبقاها في حالة موت سريري قبل أن تُعلَن الوفاة رسميّاً (لم نكن نعلم أن أولاد فريحة يمارسون الكتابة لولا الاستشهاد الأسبوعي المصطنع والبليد لمارسيل غانم بمقالات إلهام فريحة).

موقع مقرّ الدار قرب خطوط التماس أضرّ بها، كما أضرّ بها خضوعها لخط تحرير ملائم لبشير الجميّل الذي لم يكن يحتمل أي خلاف في الرأي أو تنوّع في الخطوط التحريريّة في المنطقة الشرقيّة، على خلاف المنطقة الغربيّة، إذ لم تتوقّف «النهار» عن الدس ضد «منظمة التحرير الفلسطينيّة» رغم السيادة العسكريّة للأخيرة فيها. و«الأنوار» التي كانت تقدميّة علمانيّة وعروبيّة تحوّلت إلى جريدة طائفيّة من صحف بيروت الشرقيّة. لكن التعليق اليومي لرفيق خوري بقي أبهى وأمتع ما فيها (أخبرني الراحل جوزيف سماحة أنه كان مثلي مواظباً على قراءة العمود اليومي لرفيق خوري). كان أسلوبه أخّاذاً وكان يأخذ العمل الصحافي على محمل الجدّ. تعرّفتُ على السياسة الأميركيّة وعلى دور اللوبي الإسرائيلي من مقالات خوري في «الأنوار». منه، قرأتُ أسماء المعلّقين الأميركيّين (في حينه) مثل إيفانز ونوفاك وكرافت وجاك أندرسون ووِيليام سافير، وغيرهم. أخبرني خوري أنه كان متفقاً مع شركة طيران كي تأتيه بأعداد «واشنطن بوست» و«نيويورك تايمز» قبل عصر الإنترنت. خوري هذا عَنَت له فيروز موشّح «ارجعي يا ألف ليلة، غيمة العطر». فمَن مِنكم ومِنكنّ يستطيع أن يقول إن فيروز عَنَت له؟ (كان رفيق خوري مستشاراً للأخوين رحباني في أعمالهما).

قبل عشر سنوات زرتُ مبنى «الصيّاد» للقاء خوري الذي تابعتُه منذ كنت صبيّاً في «الصيّاد» ثم في «الأنوار». كان موعد اللقاء بعد الظهر وهالني أن غرفة التحرير كانت مقفرة. سألته عن سبب تمسّكه بالبقاء في «الأنوار» رغم ما أصابها فقال إن ذلك يعود لولائه لبيت سعيد فريحة. الوفاء يعني الكثير لرفيق خوري، وهذا نادر في صحافة لبنان. انتهت «الأنوار» قبل سنوات طويلة من إقفالها. بطبع المؤسّس منتوجته الإعلاميّة بطابعه الشخصي ولا يكترث لتأسيس صحافة مهنيّة تتخطّى حياة الشخص الواحد. في لبنان الاعتماد يكون، على طريقة الزعامات الطائفيّة، على الوريث البيولوجي لديمومة المطبوعة. وهكذا انتقلت «دار ألف ليلة وليلة» من ملحم كرم إلى أبنائه الذين سارعوا إلى بيع الممتلكات. وتعرّضوا لنقد كبير لكن ما فعلوه كان أحرص على المهنة من الذين واظبوا بالاسم على العمل الصحافي مثل نايلة تويني أو أولاد سعيد فريحة؛ وأساؤوا إلى المهنة.

هل نأسف على اندثار الصحافة المكتوبة ودور الصحافة أم نلوم أصحابها على تبذير موارد هائلة وإيلاء التمويل الأولويّة القصوى فوق أي اعتبار؟ أي إن عائلة الناشر بعد اعتزاله أو وفاته - أو حتى الناشر نفسه في الكثير من الحالات - يسعون إلى الإثراء من وراء العمل الصحافي بدلاً من تكريس المال الخاص للناشر وعائلته للعمل الصحافي. ووفرة النفط وموارده، وغياب عبد الناصر عن الساحة العربيّة، خلق مجالاً لطغاة النفط والغاز والثورة والبعث لتحويل القادة إلى زعماء الأمّة - كما كان عبد الناصر - عبر الصحافة العربيّة، واللبنانيّة بصورة خاصّة. فتحوّلت الصحافة من عمل مهني مرتبط بقضيّة سياسيّة إلى قضيّة عبادة الفرد متردية قشرة العمل الصحافي. هذا النوع من العمل الصحافي يزول غير مأسوف عليه.

ملاحظة: أودّ أن أشكر سعيد فريحة الحفيد. ففي 2003، شاركتُ في حملة مع مثقّفين يساريّين أميركيّين وغربيّين وعربيّين وغربيّات في صياغة ونشر وتوزيع عريضة ضد الغزو الأميركي للعراق. واصرّ المنظمّون يومها (من بينهم نوم تشومسكي وهوارد زين) على نشر العريضة في الصحافة العربيّة. وروبتُ يومها على محطة «الجزيرة» (التي تغيّرت كثيراً) كيف أن صحافة النفط العربيّة (مثل «الحياة») رفضت نشر العريضة مقابل مبلغ تلقّته الحملة من متبرّعين. فكان أن تلقيتُ عرضاً عبر البريد الالكتروني من فريحة الحفيد يعرض فيها نشر العريضة في جريدة «الأنوار».

> موقع مقرّ الدار قرب خطوط التماس أضرّ بها، كما أضرّ بها خضوعها لخط تحرير ملائم لبشير الجميّل

* كاتب عربي (موقعه على الإنترنت: angryarab.blogspot.com)

مرّ خبرُ إقفال «دار الصيّاد» من دون ضجّة إعلاميّة في لبنان أو في العالم العربي (مروان طحطح)

المثقفون الرُحّل

معتز حيسو*

لم تَمُرَّ الحقبة السوفياتية علينا نحن العرب مرور الكرام. فقد شهدت أثناءها مجتمعاتنا، وأيضاً تركيبة الدولة والسلطة وأحزاب سياسية وتيارات مدنية، انزياحات متباينة، أيديولوجية وفكرية وسياسية واقتصادية، علماً بأن الرائج آنذاك، تمثّل في انصهار الأحزاب الشيوعية الرسمية ببوتقة العقيدة اللينينية الستالينية.

من جانب آخر، فإنَّ انهيار النموذج السوفياتي، واتساع تأثير الميل الليبرالي، انعكسا على أوضاع معظم الأحزاب السياسية المعارضة. وتجلى ذلك في اشتغال تلك القوى، إضافة إلى شخصيات فكرية وسياسية معروفة، في إعادة إنتاج ذاتها من منظور ليبرالي، وأيضاً بالتسلل من بيت الطاعة اللينيني الستاليني، ومن العقلية القومية المتوارثة. وارتفعت وتيرة الانزياحات المذكورة، بفعل فشل نماذج الحكم القومية، وتماهي غير نظام عربي شمولي مع النموذج السوفيتي، واتساع ظاهرة العولمة، وبروزها كتعبير موضوعي عن الميل العام للتطور.

في السياق، فإن تراجع الصين وروسيا عن رأسمالية الدولة/ الاشتراكية المحققة، وانزياحهما إلى السياق الرأسمالي المعولم، كان بمثابة التعبير الموضوعي الأبرز عن عالمية الميل الرأسمالي، وأيضاً فشل فكرة حرق المراحل. في الأثناء، حاول غير نظام عربي القيام بتغييرات مشابهه، لكنَّ ذلك قادها إلى تعميق التبعية الاقتصادية والارتهان السياسي، واستمرار ذات البنى السياسية الأحادية، وفق تجليات مختلفة ظاهرياً. ولذلك علاقة مباشرة بطبيعة تلك الأنظمة وبنيتها وأيضاً تركيبتها.

أما في ما يتعلق بأوضاع الأحزاب الشيوعية العربية الرسمية، فإن انغلاقها على ذاتها العقائدية، والإفراط في التماهي مع السوفيات والتبعية لهم، كان من الأسباب التي منعتها من القيام بمراجعات نقدية لمنظومتها الأيديولوجية، علماً بأن ماركس أشار إلى أنه ليس ماركسياً، بمعنى أنه يُعارض تحويل الماركسية إلى إطار مغلق على ذاته، وأنَّ منهجية التحليل الماركسي وأدواته المادية تحتاج دائماً إلى إعادة إنتاج ذاتها في سياق التحولات الكونية والعلمية.

وإذا كان السياق العام للتحولات العالمية يستوجب إعادة ضبط منظوماتنا الفكرية من منظور حداثي يمكّننا من إعادة إنتاج ذواتنا الفكرية والثقافية والسياسية، لكنه لا يبرّر أبداً الانقلاب على الذات والانتقال إلى مواقع أخرى نقيضة. ونشير في السياق إلى أن أحزاباً سياسية يسارية ومثقفين ديموقراطيين انقلبوا إلى مواقع ليبرالية تناقض بشكل كامل آليات تفكيرهم. وتجلى ذلك في سوريا بعد انهيار التجربة السوفياتية، وترسخ بعد الغزو الأميركي للعراق، وخروج الجيش السوري من لبنان، علماً بأنَّ التحوّل المذكور تزامن مع اشتغال السلطة السورية على تحرير الاقتصاد، وإغلاق المجال العام أمام القوى السياسية العلمانية واليسارية ومؤسسات المجتمع المدني، مقابل إفساحها المجال أمام حركات إسلامية دعوية كانت تشتغل حينها على بلورة هويتها العقائدية، وتعميق مرتكزاتها الاجتماعية، ما أدى إلى تفاقم حدة التناقض والاستقطاب الاجتماعي، وتراجع تأثير قوى اليسار ومؤسسات المجتمع المدني والتجمعات العلمانية أمام تفاقم المد الإسلامي السلفي.

ولم يقف ترحال يساريين سوريين ومثقفين وناشطين عند حدود اندماجهم بالليبرالية، وإعادة إنتاج ذواتهم السياسية والنظرية في سياق العولمة الأميركية، لكنَّ أكثرهم تماهى بعد أشهر قليلة من انطلاق «الربيع السوري» مع حركات إسلامية سلفية، وجهادية، تحديداً بعد اعتماد الخيار المسلح، ما اقتضى انتقالهم إلى أحضان أطراف دولية وإقليمية داعمة للحرب السورية، وارتهان خطابهم السياسي وآليات تفكيرهم ومصالحهم لتلك الأطراف. واقترن ذلك بتقزيم مهام التغيير السياسي إلى مستوى يكاد ينحصر بإطاحة رأس السلطة، ما أثار إشكالية تتعلق بموقفهم من المسألة الوطنية. أما إدغامهم في الفصائل الإسلامية التكفيرية، فإنه أفقدهم هويتهم العلمانية، ونزع عنهم الغطاء الديموقراطي. وجميعها عوامل كان لها دور واضح في اتساع الفجوة بينهم وبين السوريين، وبينهم وبين فئات واسعة من أنصار التغيير السياسي الوطني.

وإذا كان ارتباط المعارضات المتلبرلة في الخارج، وانصهارها في الفصائل الإسلامية الدعوية منها والمسلحة، من أسباب خسارتها لعمقها السوري، فإن تعقّد الرؤية الوطنية، وتفاقم إشكالية المواقف السياسية لغير حزب سياسي داخل سوريا، يعودان إلى اندغامها في السلطة. ويتجلى ذلك بوضوح أكبر إذا ربطنا مفهوم الوطنية بقضايا المواطنة والعدالة الاجتماعية والحريات السياسية والمدنية. في السياق، نشير إلى أن مراهنة تيارات سياسية يسارية وقومية ليبرالية، وأخرى دينية سلفية، على العامل الخارجي، يعود إلى طبيعة النظام السياسي، الذي عمّق من عجزها عن إنجاز التغيير الوطني الديموقراطي. لكن هل أدّى الاستنجاد بالخارج إلى تحقيق الخلاص المنشود؟

في العراق، أسقط الجيش الأميركي النظام، وسط تهليل القوى السياسية المصنفة نفسها ديموقراطية ويسارية. وكما بات معلوماً، فإن هدف «المنقذ» الأميركي لم يكن إقامة نظام ديموقراطي بل تدمير العراق، دولة ومجتمعاً وجيشاً، ونهب ثرواته، وإشاعة الفوضى، وتسعير التناقضات بين المكونات الطائفية والمذهبية. أما في ليبيا، فقد تمَّ قتل القذافي وإسقاط سلطته، وتحويل ليبيا إلى مجال لصراعات قبائلية وعشائرية مفتوحة على المجهول. كذلك، فإن ما يجري في اليمن، لا يقل خطورة عمّا يجري في غير دولة عربية.

في السياق، فقد رأت واشنطن وحلفاء لها، وتحديداً إسرائيل، أنَّ تدمير سوريا وإعادة ضبط دورها الإقليمي في سياق إعادة توضيب الخارطة الجيو سياسية للشرق الأوسط، يشكّلان المدخل الأساس لتعزيز السيطرة على المنطقة. فاشتغلوا بالتزامن مع غير دولة على تصنيع حركات مسلحة وتمويلها وتوظيفها، وإفشال التغيير الوطني الديموقراطي السلمي، ما حوّل سوريا إلى ساحة صراع مدولنة.

نشير أخيراً إلى أن السلطة السورية تعاني من تحديات سياسية واقتصادية واجتماعية داخلية، ترتبط بعوامل أخرى، إقليمية ودولية، تفاقم من أزمتها وأزمة مجتمعنا البنيوية. فهل سنكون قادرين على تجاوز أزماتنا، والتحديات الوطنية والديموقراطية، وأيضاً التخلص من التدخلات والاحتلالات الخارجية، ومن آثار الحركات الإسلامية الجهادية؟

* كاتب وباحث سوري

الأخبار al-akhbar
■ رئيس التحرير - الصدر الحسنوك: ابراهيم الأمين
■ نائب رئيس التحرير: بيار أبي صعب
■ مدير التحرير: وفيق قانصوه
■ مجلس التحرير: محمد زبيب، حسن عليق، إيلي حنا، أمل الأتحري، شربل كريم
■ صادرة عن شركة أخبار بيروت
■ المكاتب: بيروت - فردان - شارع دونان - سنتر كونكورد - الطابق السادس
■ تلفاكس: 01759500، 01759597
■ ص.ب 113/5963
■ الإعلانات: الوكيل الحصري ads@al-akhbar.com 01/759500
■ التوزيع: شركة الأوائل 15 - 01/666314 - 03 / 828381
■ الموقع الالكتروني www.al-akhbar.com
■ صفحات التواصل
/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/alakhbarnews-paper

فلسطين

حملت مسيرات العودة هذا الأسبوع اسم «التطبيع مع العدو جريمة وخيانة» (أ ف ب)

عملت القاهرة على تثبيت تفاهمات ما قبل «جولة القتال» الأخيرة بين فصائل المقاومة والعدو، فيما كان قائد «القسام» يوصل رسائل تُثبت إنجاز المعركة الأخيرة وتعد بمفاجآت كبرى

رسالة طمأنة مصرية لـ«حماس»

قائد «القسام»: سنهزّ تل أبيب في المرة المقبلة

غزة ــ **هاني إبراهيم**

في الوقت الذي أبلغ الوفد الأمني المصري حركة «حماس» بعدم حدوث تغيير في الموقف الإسرائيلي تجاه التفاهمات التي أبرمت في الفترة الماضية، وجّهت الحركة عبر المصريين رسائل شديدة اللهجة للعدو في حال تنصّل من التفاهمات أو غدر في قطاع غزة في الفترة المقبلة.

وبحسب مصدر «حمساوي» تحدث لـ«الأخبار» فإن الحركة نقلت للوفد المصري، الذي وصل إلى قطاع غزة مساء الخميس الماضي بقيادة مسؤول الملف الفلسطيني في المخابرات العامة اللواء أحمد عبد الخالق، تخوّفها حول مصير التفاهمات مع إلى حالة إعلان حرب»، مؤكدة أن «مستوى الرد في ذلك الحين سيكون أكبر وأعلى مما حدث خلال الجولة الأخيرة».

وشرحت قيادة الحركة للمصريين ما حدث خلال جولة التصعيد الأخيرة، بدايةً من عملية القوات الخاصة الإسرائيلية، واغتيال 7 مقاومين داخل القطاع، وصولاً لاستخدام المقاومة حق الرد وقصفها المركّز على مدينة عسقلان، وهددت المقاومة أن «الجولات المقبلة سيكون مستوى الرد فيها غير مسبوق وسيستهدف مدناً أكبر وأكثر كثافة سكانية».

أما في حال تراجع الاحتلال عن التفاهمات التي أجريت في الأشهر الأخيرة، قال المصدر نفسه إنّ «الحركة الاحتلال والتصعيد الأخير. وكان الوفد المصري قد عقد في وقت متأخر من تلك الليلة اجتماعاً بحضور قائد حركة «حماس» في غزة، يحيى السنوار وعدد من أعضاء المكتب السياسي للبحث في ملفات عدة منها: «مسيرة العودة»، والتصعيد الأخير والعملية الإسرائيلية التي نفذتها وحدة خاصة من جيش العدو شرق خانيونس، والعودة للتفاهمات الأخيرة.

ونقلت «حماس» للوفد المصري رسالة مفادها بأن ترجيحات الحركة هو أن يحاول الاحتلال تنفيذ عمليات غادرة ضد غزة لترميم صورة الردع. وحذرت الحركة أن ذلك «يعني الذهاب لتصعيد كبير وشامل ويرتقي هددت بعودتها لأدوات الضغط الميداني في حال تراجع الاحتلال عنها»، كما أبدت استعدادها لإعطاء الوسطاء الفرصة المناسبة لإتمام التفاهمات وتطبيقها على الأرض.

في المقابل أبلغ المصريون «حماس» أنهم يواصلون جهودهم لتثبيت التفاهمات كما كانت قبل التصعيد الأخير، مؤكدين أن أحاديثهم الأخيرة مع الاحتلال تؤكد أن الموقف الإسرائيلي لم يتغيّر وأنهم ما زالوا ملتزمين بالتفاهمات، مشيرين إلى استمرار «دخول الوقود القطري إلى المحطة الكهربائية كدليل على ذلك».

وطلب المصريون من «حماس»، بحسب المصدر، «الاستمرار في ضبط مسيرات العودة بما لا يسمح بالمساس بالسياج الفاصل ووقف إطلاق البالونات الحارقة وعمليات الإرباك الليلي لمدة لا تقل عن 3 أسابيع». وهو ما أكده نائب رئيس «اللجنة الدولية لمسيرة العودة الكبرى» عصام حماد بقوله: «الوفد المصري طلب منا الابتعاد عن السياج الفاصل لـ 3 أسابيع، ونحن ملتزمون بتنفيذ مطلب الوفد الذي قال إنه يريد استكمال مشاوراته».

السنوار: ظن العدو عندما سمح بإدخال المال القطري أننا سنبيع دماء شهدائنا بالسولار أو الدولار

من ناحية أخرى، أجرى اللواء عبد الخالق جولة ميدانية في المنطقة التي وقعت فيها العملية الإسرائيلية الفاشلة كما زار عوائل شهداء الحادثة بمن فيهم منزل القيادي في «كتائب الشهيد عزالدين القسام» نور بركة. وللمرة الأولى حضر عبد الخالق حفل تأبين الشهداء الذين تصدوا للقوة الإسرائيلية. وفي كلمة له نقل السنوار رسالة من القائد العام لكتائب القسام، محمد الضيف، أعلن فيها بأن «الرشقة الصاروخية الأولى التي ستضرب تل أبيب ستفاجئ الاحتلال وأنه لو زاد من عدوانه لزادت المقاومة». وأعلن السنوار أن الضيف رفض التصريح بعدد الصواريخ التي ستطلق على تل أبيب حينها قائلاً: «دعها تتحدث عن نفسها».

وسئل السنوار: «هل ظن العدو عندما سمح بإدخال المال القطري أننا سنبيع بدماء شهدائنا بالسولار أو الدولار، لقد جاء رد غرفة العمليات المشتركة ليؤكد أننا لا نبيع دم الشهداء وعيننا لا تنام ومجاهدونا أيديهم على الزناد».

ووجّه رسالة إلى رئيس حكومة العدو بنيامين نتنياهو ووزير الأمن المقيل بأن «غزة تحمل لكم الموت الزؤام»، موضحاً أن الاحتلال أدرك أن صمت المقاومة منذ عدوان 2014 لم يكن عبثياً.

وأشاد قائد «حماس» في غزة بغرفة العمليات المشتركة لفصائل المقاومة، قائلاً: «للمرة الأولى في تاريخ نضال الشعب الفلسطيني يعمل 13 جناحاً مسلحاً في غرفة واحدة؛ يبدأون معاً ويتوقفون معاً». من ناحية ثانية دعا السنوار «حركة فتح وكل فصائل العمل الوطني والإسلامي للجلوس على طاولة واحدة لبدء حوار جاد على أساس الوحدة والشراكة».

تواصل مسيرات العودة

شهدت الجمعة الـ34 من مسيرات العودة، والتي حملت اسم «جمعة التطبيع مع العدو جريمة وخيانة»، ندرة في الاحتكاك مع قوات الاحتلال على حدود قطاع غزة، وذلك لتفويت الفرصة في الانتقام من المتظاهرين على حدود القطاع بعد الجولة العسكرية الأخيرة. وحمل المتظاهرون لافتات وشعارات ضد الدول العربية التي جاهرت بالتطبيع مع العدو خلال الفترة الأخيرة، مؤكدين أن هذه الخطوات تفريط في دماء الشهداء التي تسيل منذ أشهر. وبحسب وزارة الصحة في قطاع غزة فقد أصيب برصاص الاحتلال 40 فلسطينياً، بينهم 14 بالرصاص الحي وُصفت حالة ثلاثة منهم بالخطيرة.

نتنياهو يكافح للبقاء: الخضوع للابتزاز أم انتخابات مبكرة

علي حيدر

لم تقتصر تداعيات استقالة وزير الأمن أفيغدور ليبرمان من الحكومة على تعميق الشرخ وسط المعلقين والجمهور الإسرائيلي حول الموقف من وقف إطلاق النار مع قطاع غزة، بل توالت ارتداداتها التي أدت إلى اهتزاز الحكومة، وانطلاق السباق الانتخابي من الناحية العملية. ففي كل السيناريوات التي تتصل بمستقبل الحكومة، دخلت الأحزاب الإسرائيلية في أجواء التنافس الانتخابي سواء تم الاتفاق يوم الأحد على موعد للانتخابات المبكرة، أم على استمرار عمل الحكومة الحالية.

وأدى تضافر مجموعة من العوامل السياسية والقانونية إلى تحويل استقالة رئيس حزب «إسرائيل بيتنا»، ليبرمان، إلى وضع مصير الحكومة على الحافة. فبانسحابه تراجعت قاعدتها البرلمانية إلى 61 عضو «كنيست» من أصل 120. وهو ما يجعل مصيرها مرهوناً بموقف كل وزير على حدا، بل بكل عضو «كنيست» ينتمي إلى أحد أحزاب هذه الحكومة. ويتحول كل رئيس كتلة فيها، عبر الابتزاز، إلى رئيس إضافي منافس لبنيامين نتنياهو.

العامل الإضافي الذي شكّل الأرضية لاهتزاز الحكومة – وربما أيضاً إلى انتخابات مبكرة – هو استغلال رئيس «البيت اليهودي»، نفتالي بينت، للوضعية القانونية – البرلمانية للحكومة، بعد انسحاب ليبرمان منها، إضافة إلى نتائج العدوان على قطاع غزة، الذي تحوّل إلى مادة اشتباك داخلي في الحكومة والشارع اليميني على حد سواء، عبر المطالبة بخلافة ليبرمان في منصب وزارة الأمن، محاولاً الضغط على نتنياهو عبر التلويح بالانسحاب من الحكومة الذي سوف يؤدي بالضرورة إلى إفقادها الغالبية البرلمانية، وتوفير غالبية في المعارضة لسن قانون حل «الكنيست» الذي يؤدي إلى إجراء انتخابات مبكرة.

في المقابل يبذل نتنياهو جهوده للمحافظة على الحكومة لأكثر من هدف. بعيداً من أي اعتبارات سياسية وحزبية، وقانونية، الأصل أن يسعى للبقاء في رئاسة الحكومة حتى تشرين الثاني من العام المقبل، حيث موعد الانتخابات العامة، وهو الموقف التقليدي الذي يسعى إليه بالحالة الطبيعية كل رئيس حكومة.

مع ذلك، يحرص نتنياهو على ألا يبدو أمام الجمهور اليميني كمن تسبّب بسقوط حكومة اليمين، بل يحاول استنفاذ كافة السبل للمحافظة عليها، لكن إصرار منافسيه ومحاولاتهم ابتزازه هو الذي أدى إلى إسقاطها، في حال سقطت. وعلى هذه الخلفية، يردد مقولة أنه ينبغي على معسكر اليمين أن لا يكرر خطأه التاريخي الذي تسبب بسقوط حكومة اليمين في العام 1992، وأدى إلى انتخابات مبكرة، ومن ثم صعود حزب العمل الذي عقد اتفاقية أوسلو.

ويهم نتنياهو كثيراً بأن لا يتصدّر الموقف من نتائج العدوان على غزة محور التجاذب الانتخابي. وهو بذلك يريد سلب ليبرمان ومنافسيه، هذه الورقة، على أمل بأن يساهم عامل الوقت في تهدئة النفوس، والسماح له بتبديد الصورة التي تشكلت في أعقاب الإعلان عن وقف النار. ويراهن أيضاً على أن يتمكن خلال الأشهر المقبلة، في حال استمرت الحكومة، من إعادة تصويب الاهتمامات الجماهيرية نحو عناوين أخرى. هذا بالإضافة إلى أن هناك العديد من الاستحقاقات الداخلية والخارجية التي تستوجب بقاء الحكومة، ولو لبضعة أشهر، بدءاً من انتخاب رئيس جديد لهيئة أركان الجيش، والاستعداد لمواجهة التحديات على الجبهة الشمالية إلى مواكبة التطورات الإقليمية. في المقابل، سوف يساهم الدفع نحو انتخابات مبكرة في ارتفاع منسوب المزايدات الانتخابية لدى كافة الأطراف، وفي كافة القضايا الداخلية والخارجية. واستناداً إلى تجارب سابقة، لا يتورع الكثير من المسؤولين في إدخال الاعتبارات الانتخابية في الموقف من قضايا تتصل بالأمن القومي. في المجريات التفصيلية، أكدت التقارير الإعلامية الإسرائيلية، على أن اللقاء الذي جمع نتنياهو وبينت، لبحث الأزمة التي نشبت في أعقاب استقالة ليبرمان، لم يؤدِّ إلى أي اتفاق. وهو ما أدى انتشار موجة من التقارير على المواقع التي تتحدث، نقلاً عن مقربين من بينت، عن أن تل أبيب نحو تفكيك الحكومة وإجراء انتخابات برلمانية مبكرة. هذه الأجواء دفعت نتنياهو إلى إصدار بيان مضاد اعتبر فيه أن «الإشاعات التي تفيد بأن القرار اتخذ لإجراء انتخابات مبكرة غير صحيح». وأكد أنه أخبر بينت بأنه سيحتفظ بحقيبة الأمن لنفسه، في ظل «التداعيات الحرجة التي تواجهها إسرائيل».

يشكّل لقاء غد محطة مفصلية في تحديد مستقبل الحكومة و«الكنيست»

لكن من الواضح أن إصرار بينت على حقيبة الأمن، على قاعدة أن البديل منها هو الانسحاب من الحكومة يعني حكماً إما الخضوع لمطلبه أو سقوط الحكومة والذهاب نحو انتخابات مبكرة، إلا في حال توفير شبكة أمان لها، عبر دعمها من المعارضة، وهو أمر مستبعد كلياً لأن الجميع يريد ويدفع نحو إسقاط نتنياهو. وينقل مقربون عن رئيس الحكومة، أنه لا يرفض إسناد حقيبة الأمن لبينت، لكنه يود الحصول على موافقة شركائه في الائتلاف الحكومي. يأتي ذلك في ظل تقارير إعلامية أخرى، عن أن رئيس كتلة «كولانو»، موشيه كحلون، ورئيس حزب «شاس» أريه درعي، يسعيان إلى إجراء انتخابات مبكرة.

في كل الأحوال، يفترض أن يكون لقاء يوم غد الأحد بين نتنياهو وبقية رؤساء الكتل المشاركة في الحكومة، محطة مفصلية في تحديد مستقبل الحكومة والكنيست على حد سواء، التي ستكون مفتوحة على عدة سيناريوات؛ إما أن يتم الاتفاق على عدة سيناريوات؛ إما أن بصيغتها الحالية إلى آخر عهدها وفق اتفاقات محدّدة، أو أن يتم الاتفاق على تحديد موعد للانتخابات المبكرة، في العام المقبل. وإلى ذلك الحين تواصل الحكومة عملها، أو أن تنفجر الخلافات بين أطرافها وهو ما سيؤدي إلى طرح قانون لحل «الكنيست»، الذي يفترض أنه توافرت له في هذه الحالة، غالبية تسمح بالمصادقة عليه، ويتحدد في ضوئه موعد الانتخابات المبكرة.

الرفض الشعبي لـ«الضمان الاجتماعي»: لا عريضة في وجه السلطة

على رغم وجود أسباب كثيرة تستحقّ أن يخرج الفلسطينيون من أجلها إلى الشارع، فإن المساس بلقمة عيشهم كان آخر ما يمكن للسلطة أن تمسه. قانون «الضمان» الجديد أثار غضب الآلاف لتشهد الضفة مسيرات هي الأكبر منذ سنوات

رام الله ــ **الأخبار**

«علىّ الضمان هالضمان ما إلو ضمان»، لافتة رفعها أحد الموظفين خلال تظاهرة لخّصت السبب الرئيسي لغضب الفلسطينيين في الضفة المحتلة واحتجاجهم المتصاعد على قانون «الضمان الاجتماعي»، الأمر الذي يعكس في الأساس أزمة الثقة بالسلطة الفلسطينية، خصوصاً مع إصرار المسؤولين عن القانون على إنفاذه «بأقصى قوة وسرعة ممكنة» من دون مراعاة زخم الاحتجاجات الواسعة.

وعلى رغم أن القانون يتصل بدخل العاملين في القطاع الخاص والعمال، فإن واقع الاقتصاد الفلسطيني تحت محددات الاحتلال الإسرائيلي تجعله معقداً أكثر. فهذا القانون كان قد أُقرّ رسمياً عام 2016 بعد مناقشات مع مؤسسات المجتمع المدني بمشاركة فصائل «منظمة التحرير» التي ارتأت تعديل بنود منه، لكن انتهى الأمر بإعلان تطبيقه بداية الشهر الجاري. وكانت المادة 42 من أبرز ما أثار الجدل، إذ تنص على أن «يكون الحد الأقصى للأجر الخاضع للتأمينات الشهرية مساوياً عشرة أضعاف الحد الأدنى للأجور». أيضاً، يجب على العامل دفع 7% من معاشه الشهري للضمان، فيما يدفع صاحب العمل 9%، على رغم أن مساهمة القطاع الخاص يجب أن تكون الثلثين مقابل أن يدفع العامل الثلث الثالث، وهنا يصبح من مصلحة صاحب العمل أن يبدأ الضمان، لأنه يشارك فعلياً بنسبة بسيطة، وسيتخلص من إشكالات التأمين.

«بنود ظالمة»

من جهة أخرى، أثارت «نهاية الخدمة» سخط الموظفين، إذ كان الموظف يستحق 8,3% إضافية من قيمة راتبه شهرياً من دون أن يُخصم منه شيء، لكنه بموجب القانون الجديد سيفقد هذا الحق. إذ سيُخصم 7,2% من راتبه تدخر له إلى ما بعد سن الستين. وبذلك، يكون قد خسر 15,5% من قيمة راتبه لمصلحة «مؤسسة الضمان»، علماً أنه لا يستطيع الحصول على مستحقاته قبل هذا السن، إذ لو مات مثلاً على عمر الـ58 لا يأخذ شيئاً لا هو ولا زوجته أو ورثته.

وبما أن هذا القانون سيُفرض إجبارياً على القطاع الخاص بأكمله، أُعيد إحياء أزمة الثقة بالسلطة، فالفلسطيني لا يحمل ذاكرة قصيرة، ولا تزال التساؤلات تدور حول مصير أموال طائلة ادخرها الشعب لدى «منظمة التحرير» تحت عناوين كثيرة مثل: «مؤسسة صامد»، «ضريبة التحرير»، «صندوق الاستثمار الفلسطيني»، وحتى «صندوق جمعية أطباء الأسنان الفلسطينيين» في الكويت. الأخير مثلاً ذهبت أمواله هباء إبّان غزو صدام حسين عام 1990، ولم يحصل المشتركون فيه على مدخراتهم، والحجة كانت أن مجهولين سرقوه في الحرب. هذه الذاكرة في العقل الجمعي تمنع الفلسطينيين من ادخار أموالهم لدى أي جهة، إضافة إلى عوامل أخرى منها ضعف القدرة الشرائية، وتكبيل الموظفين بالديون والقروض.

ووفق تقديرات الموظفين، سوف يتبخر شهرياً مبلغ 200 إلى 300 شيكل (100 دولار = 360 شيكل) بسبب خصومات «الضمان». ومن البنود التي أغضبت الفلسطينيين أنه لا يحق للزوجة أن ترث الراتب التقاعدي لزوجها بعد وفاته في حال كانت تعمل تحت مظلة «الضمان الاجتماعي»، أي أن الزوج والزوجة يدفعان شهرياً لصندوق «الضمان» لكن عند وفاة أحدهما لا يحصل المتوفّى أو ورثته على المستحقات. كما أن اختيار بنك «فلسطين» ليكون الضامن للأموال كان محل احتجاج في ظل اتهامه بأنه «تابع للحكومة». ثمة بندٌ آخر ينص على حرمان الموظف حقه من «الضمان» إذا سافر. والغريب أن قطاع غزة الذي تُسيطر عليه حركة «حماس» عملياً يدخل في مجال القانون.

أما طريقة تسويق القانون، فكانت «سيئة ورديئة»، وصارت مربوطة بفكاهة الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي «صبّح على مصر بجنيه»، وذلك بعد مقولة وزير العمل مأمون أبو شهلا، وهو نفسه رئيس «الضمان» ويشغل أيضاً منصب نائب رئيس مجلس إدارة بنك «فلسطين»، في لقاء إذاعي: «بدل ما تصرف فلوسك على المدام والأولاد هاتهم أستثمرك إياهم». لكنّ أول تظاهرة على دوار المنارة، وسط رام الله، لم تجعل المسؤولين يُدركون جدية الاعتراض على رغم أن الصور أظهرت وجود عشرات آلاف الغاضبين، ليخرج وكيل وزارة العمل، سامر سلامة، عبر برنامج متلفز، ويدعي أن من نزلوا في الشارع ليسوا أكثر من 1500 شخص. وسبق ذلك حملة استدعاءات شنتها الأجهزة الأمنية في الضفة ضد عدد من الناشطين والصحافيين الذين انتقدوا القانون قبل أن يصبح أصلاً قضية رأي عام.

هذه الاحتجاجات هي الأكبر في الضفة منذ 2007 (أ ف ب)

الحراك إلى أين؟

تتصاعد موجة رفض القانون الذي يمس نحو 450 ألف عامل وموظف في الضفة وحدها، وعلى رغم أن الحكومة استطاعت إنهاء حراك المعلمين وإضرابهم قبل سنوات، فإنها تواجه واقعاً أعقد بكثير الآن، فالمتضررون من الضمان الاجتماعي يشكلون ثلثي السكان (العاملين وعائلاتهم)، وليس في مقدور السلطة مواجهة 60% من المجتمع بالآلية والسرعة اللتين واجهت بهما 5% من موظفيها، أي المدرسين. فإضراب المعلمين كان يقتصر على معلمي القطاع الحكومي، لكن الحراك الاحتجاجي الجديد يضم قطاعات واسعة ومنوعة، تشمل العاملين في المصانع، وشركات الاتصالات والتكنولوجيا، والمدارس الخاصة، والمؤسسات التجارية، والمستشفيات الخاصة، والبنوك، وشركات التأمين، وغيرها.

وعلى رغم وجود النقابات الشكلي في الضفة وغياب انتخابات شاملة لها، خصوصاً النقابات العمالية، فإن العمال استطاعوا ترتيب أنفسهم في لجان ومجموعة حراكات كبيرة ومنتشرة في مناطق الضفة كافة، الأمر الذي سيجعل من الصعب القضاء على الاحتجاج، في ظل غياب جهة معينة أو شخص محدد يمكن التفاوض معه على تنازلات مقابل امتيازات ما أو بعض التعديلات الجزئية على القانون. والحراك الحالي هو الأوسع والأضخم منذ 2007، وتقول مصادر لـ«الأخبار» إنه لا خيار أمام السلطة ومؤسسة «الضمان» سوى تعديل النمط الإجباري للقانون لسنوات مقبلة على الأقل. وحتى لو تم تطبيق بعض البنود لامتصاص غضب الشارع على المدى القصير، خصوصاً أن القانون يمس بلقمة عيش الناس.

يحرص نتنياهو على ألا يبدو كمن تسبب بسقوط حكومة اليمين (أ ف ب)

السعودية

بين انقلاب 64 وأزمة 2018

ولي العهد باقٍ ما بَقِي المَلِك

ينخرط الملك سلمان ونجله محمد في عملية «دفاعية» تستهدف تحصين البيت الداخلي السعودي بمواجهة «عاصفة خاشقجي». وهي عملية تقوم، بالدرجة الأولى، على إعادة ولي العهد الى مظلّة التقاليد الحاكمة في المملكة منذ عقود. أقلّه حتى تنقضي الأزمة الحقيقة بالرياض. على أن هذه الاستراتيجية تستبطن مخاطر على مشروع «السلمنة»، وقد تفتح الباب ــ إذا لم يسعف الوقتُ الملك ــ على صراع جديد على السلطة، سيكون الثاني من نوعه بعد صراع فيصل ــ سعود في ستينيات القرن الماضي

بريد سلمان تحصين المستقبل السياسي لابنه، بعدما تلقّى الأخير ضربات موجعة (واس)

دعاء سويدان

في مثل هذه الأيام من عام 1964 (تشرين الثاني/ نوفمبر)، اغتيل فيصل بن عبد العزيز، الابن الثالث للملك المؤسّس، سدّة العرش في السعودية، بعد صراع «مرير» على السلطة مع أخيه غير الشقيق، سعود. صراعٌ كان أشبه بانقلاب مستطيل (امتدّ عمره من 1958 حتى 1964) لم يسبقْ للمملكة أن شهدت مثيلاً له في تاريخها، ليصبح لاحقاً نموذجاً يُقاس عليه، وتستقرّ من خلاله الحوادث في تلك البقعة من شبه الجزيرة العربية. هذا النموذج يستحضره الكثيرون اليوم في مقاربة الأزمة التي تعصف بالسعودية على خلفية مقتل مواطنها، الصحافي جمال خاشقجي، في قنصلية بلاده في اسطنبول. وهو استحضار لا يخلو من وجاهة على اعتبار أن ثمة نقاطاً مشتركة عديدة ما بين السياقين، إلا أن هناك أيضاً فوارقَ لا يمكن إغفالها تصعّب مهمّة الإسقاط على المقارنين. صحيح أن ولي العهد الحالي، محمد بن سلمان، تبدو عليه علامات الضعف التي وسمت حكم سعود في آخر أيامه، لكن الأمير الشاب يسانده أب مخضرم هو مَن يقود راهناً عملية ترميم العهد الجديد، فيما لا يزال ابن سلمان نفسه يحوز أوراق قوة غير قليلة. ومع ذلك، فإن الأب لن يدوم، ومحاولاته تظهير الوحدة العائلية بمواجهة «عاصفة خاشقجي» تفتح الباب أمام منافسين لطالما شغلوا عقل نجله، ويسكنهم حقد على الأخير. ومن هنا، يبدو هيكل السلطة في المملكة أمام احتمالات شتّى لن تنحسم في غضون فترة وجيزة، ما لم يستعجل الملك اتخاذ قرار دراماتيكي، سيكون الإقدام عليه في هذه المرحلة صعباً ومحفوفاً بالمخاطر.

لم يستغرق الملك سلمان، البالغ من العمر 83 سنة، وقتاً طويلاً ليستشعر أهمية العودة بنجله السادس إلى منظومة التقاليد الحاكمة في المملكة منذ عشرات العقود، والتي عمد ابن سلمان ـ حتى قبيل اعتلائه سدّة ولاية العهد ـ إلى ضربها. لا جدال في أن ما اقدم عليه الأمير الشاب، وخصوصاً في الشقّ المتّصل بالتعامل مع الأجنحة المنافسة للجناح «السلماني»، كان بتزكية من والده، لكن إعادة تفعيل المنظومة المشار إليها تبدو المظلّة الوحيدة التي يمكن الاحتماء تحتها في خضمّ الأزمة، لا النهج التصحيحي المفترض الذي يروّج له بعض الإعلام الغربي ويتلقّفه الإعلام العربي. بتعبير آخر، يريد سلمان تحصينَ المستقبل السياسي لابنه الأثير، بعدما تلقّى الأخير ضربات موجعة في أكثر من ملفّ. توازياً مع اشتغاله على استقطاب الأمراء

> سُجّلت لابن سلمان أخيراً خطوات بعيدة عن مقتضيات «رؤيته» ومعالم شخصيته

الذين كان ولي العهد قد أقصاهم من دائرة السلطة، بدأ الملك مساراً داخلياً قائماً على تظهير صورة الالتفاف الشعبي حول العهد الجديد. هكذا، اصطحب ابنه في جولة محلية هي الأولى من نوعها، أخذتهما الأسبوع الماضي نحو منطقة القصيم (وسط نجد)، التي وصفها سلطان بن عبد العزيز يوماً بأنها «قلب المملكة»، مُدلّلاً على أهميتها بالنسبة إلى النظام بأن والده كان «لا يزورها يوماً، بل يمكث فيها شهراً كاملاً». وإلى جانب القصيم، زار الملك ونجله منطقة حائل، على أن يحطّا الأسبوع المقبل في المناطق الشمالية من المملكة، بعد أن يكون سلمان قد ألقى خطابه السنوي أمام مجلس الشورى والمنتظر الاثنين القادم.

اللافت في تلك الجولة هو حجم المشاريع «التنموية» التي أعلن عنها، والتي بلغت قيمتها في القصيم أكثر من 16 مليار ريال، وفي حائل 7 مليارات، في وقت تمّ فيه التوجيه بإعفاء السجناء المعسرين (غير القادرين على سداد ديونهم). توجيهات يُقرأ فيها سعي السلطات إلى حيازة رضى رعاياها في هذا التوقيت الحرج، الذي يمكن أن تتكاثر فيه منافذ «التمرد»، وهو ما كان قد بدأ أواخر الشهر الماضي مع الإعلان عن إعادة صرف العلاوة السنوية لموظفي الدولة اعتباراً من مطلع العام المقبل. هذه المشهدية استكملها ابن سلمان بسلسلة خطوات تبدو بعيدة عن مقتضيات «رؤيته» ومعالم شخصيته. قبل أيام، ودونما مناسبة، أصدر ولي العهد توجيهات «عاجلة» بترميم وتأهيل 130 مسجداً تاريخياً في المملكة، بتكلفة هي الأكبر منذ انطلاق برنامج إعمار المساجد التاريخية عام 1997. وبالتوازي مع ذلك، كثّف ابن سلمان من لقاءاته العامة، وخصوصاً مع الشرائح التي يمكن أن يحدث الاحتكاك بها صدىً إعلامياً، كأقارب قتلى القوات الأمنية والعسكرية السعودية، والذين اجتمع بهم الثلاثاء الماضي، مُلقياً فيهم خطاباً عاطفياً غلبت عليه عبارات التضامن واللُّحمة، كقوله: «نحن في الواقع جسد واحد، إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمّى».

كلها مواقف وقرارات تعيد إلى الأذهان ما أقدم عليه سعود لدى اشتداد التنازع على السلطة بينه وبين فيصل. لم يتأخّر الابن الثاني لعبد العزيز في الاشتغال على استمالة القبائل والمؤسسة الدينية. بدءاً من توزيع «المكرمات» على مشايخ البدو وصرف مساعدات للفقراء والمرضى، مروراً بتعمير المساجد والمشاركة في غسل الكعبة، وصولاً إلى شقّ الطرق وتمديد أنابيب المياه... حاول سعود بشتّى السبل تعزيز موقعه بوجه أخيه، مستعيناً عليه أيضاً بمَن عُرفوا بـ«الأمراء الإصلاحيين» الذين وعدهم بإصلاحات لم تجد طريقها إلى التنفيذ. كان سعود، حينذاك، قد بلغ مبلغاً من الضعف، بعدما منحت سياساته، فيصل، فرصة الانقضاض عليه، وخصوصاً أن البلاد دخلت في عهده أزمة مالية واضطرابات جراء التبذير، وانخفاض عوائد النفط، واندلاع الاحتجاجات العمالية في المنطقة الشرقية. لعلّ هذا الضعف هو ما يجمع بينه وبين ابن سلمان، الذي يجد نفسه مضطراً إلى التراجع والمداهنة وطأطأة الرأس، لكن الفارق أن من «يرشد» الأمير الشاب اليوم هو والده الذي تبدو تكتيكاته ـ إلى الآن ـ مدروسة ومحسوبة، خلافاً لسعود الذي كان يضرب خبط عشواء. كما أن منافسي ولي العهد الحالي ليسوا بالقوة نفسها التي حازها فيصل، بعدما تولّى ولاية العهد ونيابة رئاسة مجلس الوزراء ووزارة الخارجية دفعة واحدة، عمل على أثرها على استقطاب مناوئي أخيه وتحشيدهم في وجهه.

بناءً على ما تقدّم، يظلّ ما يدور في السعودية اليوم محصوراً في دائرة تحصين البيت الداخلي، منعاً لـ«خراب الهيكل» برمّته. لكن الاستراتيجية «الدفاعية» التي يقودها الملك تنطوي على مخاطر تتهدّد مشروع «السلمنة» الذي تمّ الاشتغال عليه منذ سنوات. لا يستطيع سلمان في الظرف الحالي الإقدام على توريث نجله العرش ما لم يمنح المنافسين «جوائز ترضية»، الأمر الذي من شأنه تزكية عوامل الصراع، على اعتبار أن هؤلاء ستصبح في أيديهم أوراق قوة تمكنهم المحاربة بها. أما إذا أثر الانتظار، فإن ابن سلمان قد يفيق يوماً ولا يجد الملك في يده، ولا الملك إلى جانبه، وعندها قد تكون السعودية أمام نسخة جديدة من صراع سعود ـ فيصل، لن تكون بعيدة عن التأثيرات الخارجية، وخصوصاً أن التجارب ـ في الحالة السعودية ـ تثبت أن الرعاة الغربيين لا يتردّدون في نفض أيديهم في «اللحظة المناسبة».

ترامب يستغل دم خاشقجي:

لإعادة هيكلة قصر ابن سلمان

تُختصر علاقة محمد بن سلمان بصديقه دونالد ترامب، بما قاله الأخير بعد ثلاثة أسابيع من جريمة قتل جمال خاشقجي: «السعوديون خانوا ثقتي». ثقة منحها حاكم البيت الأبيض لحاكم قصر اليمامة. وأسس عليها مشاريع سياسية واقتصادية وعسكرية كبرى. جسّدت أحلام ترامب في شرق أوسط يخلو من منافس. لكن رجل الصفقات تجاهل بدفع العملة. أن أحلام ابن سلمان لم تكن سوى في مملكة تخلو من منافس

علي جواد الامين

بات الأميركيون يعلمون، بعد جريمة قتل جمال خاشقجي، أن عنجهية ولي العهد محمد بن سلمان، تمثّل أحد أهم عوائق «الشراكة» مع السعودية. لكنهم يرون أيضاً، أن المرحلة الحساسة، لا تسمح بإحداث تغيير جذري في هرم السلطة، في ظل مشاريع خارجية كبرى، ربطها الرئيس دونالد ترامب، منذ جولته الخارجية الأولى، بالرياض وإسرائيل، مقابل منح «رجل الإصلاحات»، الضوء الأخضر لرهن مستقبل المملكة بمستقبله. أمام هذا الواقع، يسعى ترامب، إلى تخطي أزمة خاشقجي، باستثمار دمه في إعادة ضبط «الشراكة» مع ابن سلمان، وكبح جماحه بضغوط دولية، على نحو يبقي المملكة أزمات سياسية واقتصادية، باتت محط توقعات المراقبين، بسبب استئثاره بالسلطة، وبطشه في إزاحة منافسيه من سباق العرش، وتهوّره في قمع خصومه، وتشبثه بـ«أحلام» اقتصادية لا تسمن ولا تغني من جوع.

التعديلات التي أدخلها ولي العهد في سياسته الداخلية، منذ جريمة اغتيال خاشقجي، قبل شهر ونصف الشهر، أظهرت مرونة أكثر لدى حاكم السعودية الأوحد، تجاه النشطاء والدعاة والأمراء، استجابةً لضغوط أميركية وأوروبية لتخفيف سطوة «الجناح السلماني». خسر الأخير أحد أضلعه الثلاثة، المتمثل بسفير المملكة في واشنطن، في ظل شغور المنصب منذ أكثر من شهر، بعد عودة خالد بن سلمان إلى الرياض، وسط حديث عن دور له في عملية استدراج خاشقجي من واشنطن إلى تركيا، في وقت يبدو ابن سلمان بأمسّ الحاجة إلى «محزّك» لجماعات الضغط وشركات الدعاية الأميركية، التي استثمر فيها عشرات الملايين من الدولارات، من أجل تلميع صورته.

لم يكن افتقاد ابن سلمان يده اليمنى خالد، الضربة الوحيدة، بل تسببت العقوبات الأميركية على منفذي الاغتيال، بانهيار منظومة «ربعه» داخل القصر، لعلّ أهمهم المستشار في الديوان، سعود القحطاني، الذي كان يتولى إعداد القوائم السوداء للنشطاء، ونائب رئيس الاستخبارات المقال، أحمد عسيري، الذي ترأس حربته في معاركه الداخلية ضد الأمراء، وصولاً إلى «خيرة» أزلامه، الذين كان يعتمد عليهم في تهديد وإعادة والتجسس على المعارضين أو اغتيالهم.

يواجه ابن سلمان واقعاً جديداً داخل القصر، بعدما أجبر على ترميم التصدعات التي أحدثها في علاقته مع أعمامه وأبنائهم، لا سيما طلال وأحمد بن عبدالعزيز، بما يزعزع حُكم الرجل الواحد، ويجبره على التوجه نحو حكم أقرب إلى التقليدي، على نحو ما كانت عليه المملكة قبل تولي سلمان الحكم في عام 2015. تجلى ذلك، في استعادة الملك دوره، سواء في استقبال المسؤولين، أو الإعلان عن مشاريع اقتصادية خارج بوتقة «رؤية 2030»، في إطار جولة داخلية، هي الأولى منذ توليه الحكم، أجراها قبل أسبوع، ويستكملها الأسبوع المقبل. كما مثلت عودة أحمد إلى المملكة، بضمانات أميركية وأوروبية، بعد أن تبرأ من سياسات ابن سلمان في رده على نشطاء في لندن، رسالة أميركية وأوروبية جادة، بضرورة إعادة هيكلة القصر بإدماج شخصيات من أجنحة أخرى إلى مراكز صنع القرار. فعلى رغم ابتعاد أحمد عن السياسة، لكنه هذه المرة يبدو عائداً للعب دور في هذا الإطار، لما يتمتع به من وزن

> عودة أحمد بن عبدالعزيز رسالة غربية بضرورة دمج أجنحة أخرى في مراكز صنع القرار

داخل العائلة، وقد بدأ العمل منذ اليوم الأول لعودته نهاية الشهر الماضي، من خلال لقاءات مكثفة في مجلسه مع أشقائه وكبار الأمراء على غير عادته. أولى نتائجها، ظهرت بعد يومين، بالإفراج عن خالد بن طلال، المقرب منه، والذي يشاطره الرأي في رفض تنصيب ابن سلمان ولياً للعهد. إذ إن خالد، الذي كان يمثل آباه طلال في «هيئة البيعة» بعد مرض الأخير، كان قد قدم استقالته من «الهيئة»، عقب الانقلاب على ولي العهد السابق محمد بن نايف، فيما لم يُتابع أحمد ابن سلمان قط. وكما اعترض أحمد على «اعتقالات الريتز»، بالخروج من المملكة أثناءها، أبدى خالد اعتراضه على الحملة التي اعتقل فيها أخيه الوليد، ما أدى إلى اعتقاله لمدة 11 شهراً، قبل أن يفرج عنه بمعية أحمد. لعل الوليد بن طلال، أوضح مثال على عودة أجنحة القصر إلى لعب دور في المملكة، إذ طوى الملياردير صفحة اعتقاله في «الريتز»، من على شاشة «فوكس نيوز» المفضّلة لدى ترامب، مع الإعلامية المقربة من ابن سلمان (أدارت حلقة النقاش في «مؤتمر مستقبل الاستثمار» الأول)، في الذكرى السنوية لاعتقاله (في الدّ من الشهر الجاري)، لتبرير حملة الاعتقالات، بأن «الكثير ممن تم احتجازهم يستحقون» ذلك. جلدُ الذات هذا، لم يكن من دون مقابل، فقد عاد الوليد إلى دوره كسفير أعمال غير رسمي للمملكة، بهدف النهوض بالمملكة، بعدما تلقت أقسى الضربات الاقتصادية خلال «مؤتمر مستقبل الاستثمار»، بعد أن اتصل به ابن سلمان، قبل المؤتمر طالباً منه الحضور، وفق ما نقلت صحيفة «وول ستريت جورنال» عن أشخاص مقربين من الرجلين. مصالحة، بادر إليها ابن سلمان، دفعت الوليد إلى إبرام سلسلة جديدة من صفقاته مع المستثمرين الدوليين، أخيراً، من بينها، 300 مليون دولار في الأعمال التجارية الفرنسية في المملكة، و500 مليون دولار في شركات تكنولوجيا غربية، كما أنه يُجري محادثات مع مسؤولين تنفيذيين لشركات كبرى، للاستثمار في شركته للترفيه «روتانا ميديا غروب»، بحسب مصادر مطلعة على الاتفاقيات.

ما سبق يبدو تكاتفاً بين أمراء آل سعود النافذين لإنقاذ الملك من ورطة خاشقجي، كما داب آل سعود في أزمات عدة تاريخياً، لكن «تصحيح» مسار الحكم، أنهى عملياً بنيان ابن سلمان، الذي بناه منذ تولي والده العجوز الحكم، لضمان انتقال سليم إلى كرسي الحكم. فالثمن، قد يكون موعده بموت سلمان، الذي لا بد سيُحدث فراغاً، قد لا يتمكن ابن سلمان من سدّه بالتفرد بالحكم وفرض سطوته، خصوصاً أن الأمراء النافذين، الذين غُيّبوا عن المشهد، كمحمد بن نايف، وعبد العزيز بن فهد، وأولاد الملك عبدالله، متعب وتركي، من المرجح أن يستعيدوا حركتهم، في ظل محاولة ابن سلمان تخفيف الاحتقان داخل العائلة، وهو ما بدأه بالفعل، بالسماح لـ«عزوز» وتركي، فتح مجالسهم، كما ظهر في صور نشرها أمراء في «تويتر»، قبل أيام، لأبناء فهد، عبدالعزيز وسلطان ومحمد.

المشهد المتغيّر، انعكس على معتقلي الرأي أيضاً. بدأ نهاية الشهر الماضي، بتأجيل عدد كبير من جلسات محاكمة معتقلي الرأي، التي كانت من المقرر أن يرد فيها المعتقلون على التُّهم التي وجهتها النيابة العامة لهم في الجلسات الأولى في أيلول/ سبتمبر الماضي، بالإضافة إلى تأجيل محاكمات من كان من المرجح الحكم عليهم بالإعدام، كسلمان العودة، من 30 من تشرين الأول/ أكتوبر الماضي، إلى الـ10 من كانون الأول/ ديسمبر المقبل، وإسراء الغمغام، التي كان متوقعاً أن يطلب الادعاء العام عقوبة الإعدام بحقها، في 28 من الشهر نفسه.

يواجه ابن سلمان واقعاً جديداً داخل القصر بعد عودة عمه أحمد وفقدانه فريقه المقرب (أ ف ب)

تركيا تنقض الرواية الرابعة: خطة الاغتيال استُعرضت قبل تنفيذها

9

لم تكد السعودية تقدّم روايتها الرابعة في شأن مقتل الصحافي جمال خاشقجي، والتي برّأت المسؤولين المقرّبين من ولي العهد من نية القتل وادعت أن قرار التصفية اتُّخذ في لحظته، حتى جاءها الردّ من تركيا، التي يبدو أنها ستواصل نهجها التصعيدي، ما لم يطرأ متغيّر من قبيل «عرض» أميركي يمكن أن يرضي أنقرة ويحملها على طيّ صفحة القضية. وأماطت صحيفة «حرييت» التركية، المقرّبة من السلطات، أمس، اللثام عن تسجيل صوتي تملكه أنقرة ينقض الرواية السعودية الجديدة من جوانب ثلاثة: أولها أن تصفية خاشقجي لم تسبقها محاولة لإقناعه بالعودة إلى السعودية، وثانيها أن الصحافي قُتل خنقاً أو شنقاً بواسطة «حبل أو كيس بلاستيكي» وليس عن طريق الحقن، أما ثالثها فهو أن فريق الاغتيال تباحث، قبل تنفيذ مهمّته، في طريقة الإعدام، و«استعرض الخطة التي أعدّها مسبقاً ودور كل فرد فيها»، كما أنه سُجّلت له «اتصالات هاتفية إلى الخارج» بعد وقوع الجريمة. كلّها معطيات تصبّ في اتجاه تأكيد وجود نية وخطة مسبقتين، وهو ما شدّد عليه أيضاً نائب رئيس حزب «العدالة والتنمية» الحاكم، نعمان قورتولموش، الذي جدّد مطالبة السعودية بالكشف عمّن أعطى الأوامر بقتل خاشقجي، معتبراً أنه

> نفت واشنطن وانقرة وجود علاقة بين قضيتي خاشقجي وغولن

لا يمكن ارتكاب جريمة من هذا النوع داخل بعثة ديبلوماسية من دون «تلقّي الأوامر من مسؤولين بارزين».

وقال قورتولموش، أمس، إن «الكشف عن الآمرين، وليس فقط المنفذين، هو مسؤولية السعودية بداية، ومن ثم مسؤولية المجتمع الدولي»، نافياً أن تكون تركيا قد تناولت وما زالت قضية خاشقجي «كموضوع سياسي أبداً». نفي تمسّك به، كذلك، مسؤول تركي كبير في حديث إلى «رويترز» لدى تعليقه على ما ذكرته محطة «أن بي سي» الأميركية من أن إدارة دونالد ترامب تدرس سبل إخراج الداعية التركي فتح الله غولن، من أراضيها، بهدف إقناع الرئيس رجب طيب أردوغان بتخفيف الضغوط عن السعودية. وأشار المسؤول التركي إلى أنه «ليست لدينا نية التدخل في تحقيق خاشقجي مقابل أي مكسب سياسي أو قانوني»، مضيفاً أنّ «تركيا لم تعرض في أي وقت تحجيم التحقيق مقابل ترحيل غولن». ونفت الخارجية الأميركية، بدورها، وجود «صفقة» من هذا النوع، مشددة على لسان الناطقة باسمها هيذر ناورت على أنه «لا علاقة» بين الأمرين. لكن ناورت لم تنفِ إمكانية تسليم غولن، إذ قالت: «(إننا) نواصل تحليل العناصر التي تقدمت بها الحكومة التركية من أجل دعم طلبها بتسليمه»، ما يعني بشكل أو بآخر إبقاء الباب مفتوحاً أمام احتمال إبرام «الصفقة». ومساء أمس، أعلن عن محادثات هاتفية بين الرئيسين التركي والأميركي، تم الاتفاق خلالها على ضرورة الكشف عن ملابسات اغتيال خاشقجي، وعدم السماح بالتستّر على الحادثة. وتأتي إعادة تسليط الضوء على قضية غولن في وقت تقدّم فيه أعضاء جمهوريون وديموقراطيون في مجلس الشيوخ الأميركي بمشروع قانون لفرض عقوبات على السعودية. ويدعو المشروع، الذي أعلن عنه السيناتور بوب مينديننز، إلى «إجراء تحقيق شفاف ومقبول في جريمة قتل خاشقجي»، ويطالب بوقف مبيعات الأسلحة للرياض، والامتناع عن إعادة تزويد طائراتها المقاتلة في اليمن بالوقود.

(الأخبار)

سوريا

تصعيد في ريفَي حماة واللاذقية

التهدئة الهشّة تنتظر لقاء بوتين ـ إردوغان

تبدو زيارة الرئيس الروسي لتركيا، الاثنين المقبل، فرصة ملائمة لتحريك جمود «اتفاق سوتشي»، الذي باتت الهدنة المفروضة بموجبه في مصاف التعليق

لؤي نائب إردوغان بشن عملية شرق الفرات في مكالمة مع عسكريي قاعدة تركية غرب مدينة الباب (الأناضول)

بعد تمام شهرين على توقيع «مذكرة التفاهم» الروسية ـ التركية المعنية بمصير إدلب ومحيطها، لم يتغيّر واقع المنطقة «منزوعة السلاح» المفترضة كثيراً، فيما عدا الهدنة الهشّة التي ما مرّ عليها يومٌ من دون خروقات. فالفصائل التي كانت تنتشر على طول خطوط التماس ـ وبعمق 15 كيلومتراً ـ لا تزال في مواقعها من دون أي انسحابات؛ بل على العكس، استغلّت صمت المدافع لتعزيز خطوطها الدفاعية وتدريب عناصرها، ولا سيما في الريف الشمالي لكل من حماة واللاذقية. ومنذ إعلان أنقرة انتهاء سحب

لم يعلن موعد اجتماع «استانا» المقبل ولا هوية المبعوث الأممي الذي قد يحضره

السلاح الثقيل من المنطقة «منزوعة السلاح»، دخل تنفيذ نقاط «المذكرة» الأخرى مرحلة جمود لا نهاية واضحة لها. وبدأت تركيا تُركّز على مستقبل شرق الفرات، كأنها تفترض أن المهمة الموكلة إليها لتنفيذها في إدلب قد أنجزت. ورغم تماهي الموقف الروسي خلال الشهرين الماضيين مع السردية التركية، وجدت موسكو نفسها مضطرة إلى التأكيد أخيراً أن «فك الارتباط» بين الفصائل المسلّحة التي تضمنها وترعاها تركيا وبين تلك الإرهابية، لم يتمّ برغم الجهود التي يبذلها الجانب التركي.

ووسط التوتر المتنامي على أطراف منطقة «خفض التصعيد» في محيط إدلب، باتت الأنظار تتجه إلى روسيا، لبيان خطوتها المقبلة تجاه شريكتها الضامنة لتنفيذ «اتفاق سوتشي»، تركيا، وخاصة أن دمشق أكدت سابقاً على لسان وزير خارجيتها وليد المعلم، أنها «تنتظر رد الفعل الروسي على ما يجري في إدلب... لكنها لا يمكن أن تسكت على استمرار الوضع الراهن فيها إذا ما رفضت جبهة النصرة الانصياع لهذا الاتفاق». وتلتزم وحدات الجيش السوري التهدئة في الميدان، برغم انقضاء موعد إنشاء المنطقة «منزوعة السلاح» منذ شهر، مع ردّها المباشر على كل خروقات الفصائل المسلحة. وكان آخر تلك الانتهاكات للهدنة، أمس، عبر هجوم مسلحين من عدة فصائل على نقاط الجيش قرب قرية السرمانية في ريف حماة الشمالي الغربي، وعلى مواقع في أقصى ريف اللاذقية الشمالي الشرقي. وأسفر الهجوم عن استشهاد عدد من مقاتلي الجيش، قبل أن يُرد الأخير باستهداف مدفعي لنقاط المسلحين المقابلة. وشاركت في الهجوم عدة فصائل متطرفة؛ بينها «حرّاس الدين»، في خرق واضح لنص «اتفاق سوتشي» الذي يفرض انسحابها خارج حدود الخمسة عشر كيلومتراً «منزوعة السلاح». وخلال الأيام الماضية، حرصت «هيئة تحرير الشام» على عرض زيارات بعض قادتها لخطوط التماس في ريف اللاذقية وإدلب، في مناطق يُفترض أن تكون محظورة عليها وفق الاتفاق نفسه.

وينتظر أن يخرج عن اللقاء المرتقب بين الرئيس الروسي فلاديمير بوتين ونظيره التركي رجب طيب إردوغان، الاثنين المقبل في تركيا، ما قد يشير إلى مسار تطور الأحداث في إدلب. ورغم ما أشاعته أوساط معارضة عن وجود تباين كبير في المواقفين الروسي والتركي حول تنفيذ «اتفاق سوتشي» (خلال اجتماع غير معلن عنه، جرى بين ممثلين عن الطرفين في تركيا)، لم ترشح أي تصريحات تنفي حرص الطرفين المعلن على استمرار التهدئة، والذي يتقاطع مع رغبة معظم اللاعبين الإقليميين والدوليين. وتكمن أهمية هذا الحرص في البناء عليه تحضيراً للاجتماع المرتقب للدول الضامنة الثلاث وفق صيغة «أستانا»، والذي يفترض عقده نهاية الشهر الجاري بحضور وفدي الحكومة والمعارضة، كما ممثلي الأمم المتحدة. ولم يعلن عن الموعد الدقيق لهذا الاجتماع، ولا عن هوية المبعوث الأممي الذي سيحضره، سواء ستيفان دي ميستورا الذي يستعد لترك منصبه أو خلفه غير بيدرسن. كذلك، لم يخرج ـ حتى الآن ـ ما يؤكد أن الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريس، مدّد مهمة دي ميستورا حتى نهاية العام الجاري، وفق ما نقلت أوساط إعلامية سابقاً.

وعلى صعيد آخر، جدد نائب الرئيس التركي فؤاد أقطاي، تلويح بلاده بشن عملية عسكرية في مناطق شرق الفرات، مؤكداً في مكالمة مصورة مع العسكريين الأتراك في قاعدة غرب مدينة الباب، أن «تركيا دخلت سوريا بناء على رغبة السوريين، في وقت لم يكن يتوقعه المجتمع الدولي... وعقب عملية غصن الزيتون، نحن في إدلب، وسنوفر الأمن هناك أيضاً». وأضاف أقطاي القول: «قادمون إلى منبج، ومنها سننتقل إلى شرق الفرات. سنذهل الجميع الذي سطّرناه في الباب إلى شرق الفرات أيضاً».

(الأخبار)

تحليل إخباري

هدنة الحديدة: خطوة قسرية مؤقّتة

لقمان عبد الله

على رغم أن تحالف العدوان تعمّد إحاطة الهدنة غير المعلنة في الحديدة بحالة من الغموض، إلا أن ما بدا واضحاً وثابتاً أن ثمة تراجعاً تحت وطأة ضربات الجيش اليمني واللجان الشعبية والضغوط الدولية والأممية. اعتقدت القوى المحلية التابعة لـ«التحالف»، المشاركة في عمليات الساحل الغربي، أن عنصر قوتها الرئيس يكمن في الاندفاعة الأولى، التي تسبقها غارات جوية وقصف مدفعي تمهيدي مكثّف، لا يقتصر على الأهداف المتحركة أو الثابتة أو المشتبه بها، بل يغطي كامل الطريق الواصل إلى الهدف وجنباته في شكل عشوائي. وفي حال استطاع مُتصدّرو الهجوم تحقيق اختراق، يباشرون العمل على تثبيت الخرق الحاصل بالاستعانة بسلاح الطيران المروحي والحربي، أما في حال فشلهم فيتوقفون قبل الوصول إلى هدفهم، ويتّخذون موقع تماس مع الجيش واللجان، ليتحول الاشتباك إلى مناوشات بالقصف المدفعي والـ«هاون» والأسلحة المضادة للدروع.

والجدير ذكره، هنا، أن الأراضي المنبسطة أو الصحراوية تمثّل نقطة قوة للغزاة بسبب التفوّق الجوي، علماً أن سلاح الجو التابع لـ«التحالف» زُوّد بإمكانية الرؤية النهارية والليلية، وصولاً لامتلاك القدرة على ملاحقة الفرد الواحد مع تزويد الطائرات بقذائف وصواريخ موجّهة فائقة الدقة، باستطاعتها إصابة هدف «نقطوي» من دون إحداثية مسبقة، وذلك من خلال توافر الرؤية الفورية للطائرات المشاركة في مواكبة القوات البرية على الأرض، أو حمايتها أثناء سيرها للوصول إلى الهدف. في الهجوم الأخير على الحديدة، عملت قوات الجيش واللجان على تلافي وقوع أفرادها في مصيدة الطيران الحربي والمروحي، لحرمان العدوان من تفوّقه الجوي في الأماكن المكشوفة، وبَنَت خطّ دفاعها الصلب بحيث تتكافأ مع القوة المهاجمة بالعنصر البشري، ولئن تفوّقت الأخيرة بالمعدّات الحديثة، فإن المدافعين يتفوّقون بالحافزية والشجاعة والمعنويات.

أحدثت الاندفاعة الأولى للهجوم، الذي التفّ شرقاً من الصحراء، خرقاً في ضواحي الحديدة، وهي في غالبها مناطق فارغة تحتوي منشآت صناعية متباعدة، ولا تدخل ضمن خطّ الدفاع الصلب (كيلو 10، كيلو 16، وسبعة مايو...). وهي نفسها التي التُقطت فيها صور ومشاهد وسُجّلت مقابلات

الدفع الدولي نحو الهدنة لا يلغي الإصرار على انتزاع الحديدة

بَثّت المنظومة الإعلامية والدعائية الخليجية سردية «النصر» على أساسها، حتى ذهب بعض المسؤولين إلى القول إن سقوط ميناء الحديدة مسألة وقت. في تلك الضواحي، انتشرت القوات المتقدّمة، فتلاشت الاندفاعة. قصدت القوات البرية بعض المنشآت للتموضع وتسجيل «الانتصارات» الإعلامية، لكن المفاجأة أن عدداً من هذه المنشآت انهار على رؤوس المهاجمين بفعل الجهد الهندسي المُعدّ مسبقاً من قِبَل وحدة الهندسة في الجيش واللجان، وقد حاولت قيادة «التحالف» الاستفادة من كتائب الاحتياط، وتكرار الهجوم ثلاث مرات في غضون عشرة أيام، ولكن من دون جدوى.

تحوّلت القوات المتموضعة في الضواحي من الهجوم إلى حرب استنزاف، حيث نشطت مجموعات صغيرة من الجيش واللجان في نصب الأفخاخ والكمائن والعبوات الناسفة، وفعّلت عمليات القصف بالـ«هاون» والتسلّل إلى النقاط القريبة من تموضع كتائب الغزاة والإغارة عليها. أُحصي مقتل 1300 عنصر وجرح أضعافهم، مما أفقد القوات الغازية الروح المعنوية، ليظهر عليها التعب والإعياء، وتنحدر الحافزية القتالية لديها وصولاً إلى القعر. هذا الإخفاق العسكري، معطوفاً على تعالي الأصوات المطالبة بوقف الحرب، حَمَل الحلفاء الغربيين على «الانحناء للعاصفة»، والطلب إلى السعودية والإمارات الكفّ عن هجومهما. هكذا، اتصل وزير الخارجية الأميركي، مايك بامبيو، بولي العهد السعودي محمد بن سلمان، داعياً إياه إلى وقف العمليات، ليقوم لاحقاً وزير الخارجية البريطاني، جيريمي هانت، بزيارة إلى كلّ من الرياض وأبو ظبي، صبّت في الاتجاه نفسه.

ومع ذلك، فإن الدفع الدولي نحو هدنة في الحديدة لا يلغي حاجة الدول المشاركة في الحرب والراعية لها، والمنخرطة في ما تُسمّى «الرباعية» (واشنطن ولندن والرياض وأبو ظبي)، إلى انتزاع الحديدة بأي ثمن. ولذلك، جاء الإعلان عن وقف العمليات في شكل ملتبس، ولم يرافقه تحديد موعد للعودة إلى المفاوضات، فيما أفيد بموافقة «التحالف» على إجلاء طبي لخمسين جريحاً من «أنصار الله» من دون ذكر أي تفاصيل. وعليه، تبدو الهدنة الأخيرة إجراءً قسرياً ومؤقتاً أمْلته الضرورة، سيتمّ العمل بالتوازي معه على خطّين: الأول، إعادة التحشيد العسكري لتكرار الهجمات، وإن كان التحشيد بحاجة إلى فترة زمنية غير قليلة. والثاني، العمل على إعادة توجيه الرأي العام العالمي نحو أهمية «استعادة» الحديدة بالنسبة إلى «استقرار» الحلفاء في المنطقة.

تركيا

غولن ورقة مساومة: صفقة أردوغان ـ ترامب تتقدّم؟

تتجه العلاقات الأميركية التركية، بعد طول توتر، نحو «التطبيع» على غرار علاقات أنقرة ببرلين، على أن الصفقة بين الطرفين لم تكتمل معالمها ولم يعرف مداها بعد. وسط حديث عن إمكانية تسليم واشنطن فتح الله غولن، وهو ما ربطته مصادر بمساومة على ملف خاشقجي

تحاول واشنطن كما أنقرة نفي المساومة على قضية مقتل الصحافي السعودي جمال خاشقجي، عبر التفاوض على تسليم الداعية التركي فتح الله غولن. إلا أن التصريحات النافية لم تحجب المؤشرات التي خرجت تباعاً وأظهرت أن أمراً يجري في الخفاء، على صعيد ملف غولن، الموجود في الولايات المتحدة، والمتهم بالوقوف وراء محاولة الانقلاب العسكري في تركيا منتصف تموز/ يوليو 2016، وذلك بمعزل عن ما إذا كانت الصفقة تشمل ملف خاشقجي أم تتعلق بمساومات أخرى. وأمس، تصاعدت الدلائل على صحة ما سربته وسائل إعلام أميركية في هذا الشأن، إذ أقدمت واشنطن على تسليم أنقرة عضواً في منظمة غولن. وأفادت وكالة «الأناضول» أن طائرة تقل العضو السابق في إدارة مؤسسة تابعة للمنظمة، محمد صالح أوزغاير، ترافقه عناصر أمنية، وصلت إلى مطار أتاتورك في إسطنبول، حيث تسلمه الأمن التركي. وركّزت السلطات الأميركية غوازاغير بحجة إدانته في قضايا «دعوة أطفال للدعارة عبر الإنترنت» و«محاولة الاعتداء الجنسي على الأطفال». بعد ساعات، جرى الاتصال بين الرئيسين، التركي رجب طيب أردوغان، والأميركي دونالد ترامب، بعد أيام فقط على لقائهما في باريس، بدا لافتاً أنه إلى جانب ملف خاشقجي، تناول التعاون في الملف السوري وملف التحقيقات الأميركية المتواصلة في شأن منظمة غولن، وفق ما أعلنت الرئاسة التركية.

وعلى رغم أن تسليم أوزغاير يأتي على خلفية جنائية، بحسب الجانبين التركي والأميركي، فإن التوقيت يثير مزيداً من علامات الاستفهام بعد أن نقلت شبكة «أن بي سي» عن أربعة مصادر لم تذكرها أن مسؤولين في الإدارة الأميركية سألوا وكالات إنفاذ القانون عن السبل القانونية لإخراج غولن من الولايات المتحدة، في إطار صفقة مع الرئيس رجب طيب أردوغان، للتراجع عن ضغوطه على السعودية في ملف خاشقجي. هذه المعلومات علّقت عليها الخارجية الأميركية بتأكيد أن واشنطن تدرس طلبات تركيا لتسليم غولن، لكن الناطقة باسم الوزارة هيذر ناورت، نفت تقرير «أن بي سي» وربطه الأمر بقضية خاشقجي، وقالت: «نواصل تحليل العناصر التي تقدّمت بها الحكومة التركية من أجل دعم طلبها بتسليمه». بدورها، نفت أنقرة وجود مقايضة بين القضيتين، ونقلت وكالة «رويترز» عن مسؤول تركي أن ملفي غولن وخاشقجي

سلّمت واشنطن أمس الأتراك أحد أعضاء منظمة غولن

«موضوعان منفصلان»، وقال: «لم تعرض تركيا في أي وقت تحجيم التحقيق في شأن خاشقجي مقابل ترحيل فتح الله غولن»، مضيفاً: «ليست لدينا نية التدخل في تحقيق خاشقجي مقابل أي مكسب سياسي أو قانوني». وأصدرت منظمة تسمى «تحالف القيم المشتركة» تعد من مناصري الداعية غولن، بياناً عبرت فيه عن قلقها من الأنباء في شأن إمكانية استخدام زعيمها ورقة مقايضة.

وتحمل هذه المؤشرات دلائل أكثر جدية من أي وقت مضى على اقتراب عقد صفقة بين الإدارة الأميركية والأتراك، تامل أنقرة بأن تتوسع رقعتها لتطاول ملفات حساسة، أهمها ملف الأكراد والشمال السوري، فتعيد المياه إلى مجاريها بين الحليفين الأطلسيين. صفقة قد تكون بدأت مع إفراج السلطات التركية بطريقة غامضة عن القس الأميركي أندرو برانسون، الذي كان ينظر إلى اعتقاله على أنه ورقة مقايضة مع غولن. عقب «المبادرة» التركية، عادت الحرارة إلى الاتصالات التركية الأميركية وانخفض التوتر بين البلدين، وبادرت واشنطن إلى رفع العقوبات على وزيري الداخلية والعدل التركيين وفعّلت ملاحقتها لـ«حزب العمال الكردستاني»، وصولاً إلى لقاء أردوغان بترامب، في باريس، الأسبوع الماضي. يذكر أن وسائل إعلام تركية ذكرت أن الرئيس التركي سلّم قائمتين للمطلوبين بمحاولة الانقلاب، واحدة لبرلين تضم 136 اسماً من الموجودين على الأراضي الألمانية، وثانية لواشنطن تضم 20 اسماً يقيمون في الولايات المتحدة، على رأسهم الداعية غولن، بموازاة زيارته إلى ألمانيا قبل أسابيع وجنوحه نحو تطبيع العلاقات معها، وهو ما يبدو أنه يتكرر مع الولايات المتحدة.

(الأخبار، الأناضول)

مصر

إغلاق ملف فساد لشركة تابعة للاستخبارات!

القاهرة ـ **جلال خيرت**

أبلغت مصر السلطات الإسبانية شفهياً بإغلاق التحقيق في واقعة تلقّي مسؤولين رشاوى مالية خلال عام 2010، وذلك رداً على الاستفسارات في شأن قيام مسؤولي شركة «ديفكس» الإسبانية دفع رشاوى لمصريين على خلفية توقيع صفقات «بالأمر المباشر»، وهي الصفقات التي تسبّب اكتشافها في إيقاف عمل الشركة والتحقيق مع عدد كبير من القائمين عليها، وورود اسم ثلاثة بلدان عربية فيها هي مصر والسعودية والعراق.

وجرت خلال الأيام الماضية استفسارات من الجانب الإسباني حول الاتفاق الذي وقع بين الشركة الأسبانية وشركة «ديسكو» المصرية، التي تمتلك أسهمها الاستخبارات في شكل كامل، حيث شابت عملية توقيع شبهات فساد حول تلقي عمولات تصل إلى مليارَي يورو، من أصل 35 ملياراً هي قيمة الاتفاقية الموقعة لتوريد أجهزة حديثة تستخدم في تأمين المناطق الأثرية وتقديم أعمال التدريب عليها، علماً أن صفقة مماثلة أجريت في التوقيت الزمني نفسه بلغت قيمتها نحو 30 مليون جنيه فقط، وكانت بهدف توفير هذه المعدات لمنطقة الأهرامات. فارق الأموال بين الاتفاق على التوريد للأهرامات وبقية المناطق يؤكد نظرياً أن الفارق في سعر الاتفاق ربما يصل إلى نحو 7 أضعاف، خصوصاً مع سعر العملة آنذاك، فيما دَيّل توقيع الاتفاق برئيس المجلس الأعلى للآثار آنذاك زاهي حواس واللواء مدحت مرشد مدير الشركة التي أجرت تعديلات على الاتفاقية أكثر من مرة.

وأكدت السلطات أن القضية التي كانت واحدة من بين القضايا المحقّق فيها بعد «ثورة 25 يناير» تم إغلاق ملفها في شكل كامل لعدم وجود أدلة جوهرية على مخالفات الفساد المالي، خصوصاً أن الاتفاق الذي جرى كان الهدف منه توفير الحماية للمواقع الأثرية.

ولا تخضع الشركات المملوكة للاستخبارات لأي جهات رقابية، وتتم مراجعة ميزانيتها من قبل الجهاز مباشرة وكذلك حصيلة أعمالها، علماً أنها عادة ما تقوم بالأعمال بتكلفة أعلى من غيرها لكنها تحصل على الأولوية.

ولم ترسل مصر إلى الجانب الإسباني أي مخاطبات مكتوبة في القضية التي يجري فيها التحقيق منذ فترة طويلة، علماً أن العمولات التي حصل عليها المسؤولون عن الشركة من مصر تم إدخالها في ملاذات ضريبية آمنة، فيما يعتقد بأن قيمة المبالغ التي دفعت لهم تقارب نحو مليارَي يورو سددت على دفعات لأكثر من شخص من بينهم مسؤولون كبار في الشركة، وجميعهم عملوا سابقاً في الاستخبارات العامة.

(أ ف ب)

العالم | تقرير

أزمة «بريكست» تشتدّ: ماي في خطر!

لا يزال الغموض يحيط بالنتيجة النهائية لـ«بريكست»، إذ تشمل السيناريوات المحتملة التصديق على اتفاق تيريزا ماي، أو فقدانها المنصبها، أو خروج بريطانيا من التكتل من دون اتفاق، أو حتى إجراء استفتاء ثانٍ. على رغم ذلك، اصطف عدد من أبرز مؤيدي «بريكست» خلف ماي، وسط محاولات من نواب محافظين لسحب الثقة منها

بات من غير المعروف إذا ستبقى رئيسة الوزراء البريطانية، تيريزا ماي، في منصبها، بعد أن تسببت مسودة اتفاق الخروج من الاتحاد الأوروبي «بريكست» التي توصلت إليها ليل الأربعاء، في استقالة وزراء أساسيين في الحكومة وتمرد في حزب «المحافظين» الذي تترأسه. وبعد مرور أكثر من عامين على موافقة البريطانيين في استفتاء على الخروج من التكتل، لا يزال من غير الواضح كيف يتم الانسحاب ولا بأي شروط ولا حتى إن كانت لندن ستخرج في الموعد المقرر وهو 29 آذار/ مارس من العام المقبل.

رئيسة الحكومة ظنّت مساء الأربعاء، أنها نجحت في الحصول على دعم فريقها الوزاري لمسودة اتفاق «بريكست»، بعد اجتماع ماراثوني دام لخمس ساعات، أو هذا ما أوحت به على الأقل، عندما خرجت أمام مقر حكومتها، لتلقي كلمة مقتضبة أعلنت فيها عن إيمانها «بعقلها وفؤادها» بأن الاتفاق الذي تم التوصل إليه هو أفضل ما يمكن لبريطانيا الحصول عليه، بما أن البدائل هي إما الخروج من دون اتفاق، أو البقاء في الاتحاد الأوروبي، أي إلغاء «بريكست». لكن استقالة وزير شؤون الانسحاب من الاتحاد الأوروبي دومينيك راب، وثلاثة وزراء آخرين احتجاجاً على مسودة الاتفاق تسبب في تراجع قيمة الجنيه الاسترليني. وسعى مشرعون داخل حزب ماي لتحدي قيادتها علناً وأبلغوها «صراحة» أن مسودة الاتفاق لن تحصل على موافقة البرلمان. وكانت ماي قد تعهدت بالبقاء في منصبها وعندما طلب منها مستمع لمحطة إذاعة «ال بي سي» في اتصال هاتفي أمس، أن «تتنحى باحترام»، لم تتناول هذا الطلب على الفور في ردها على سؤال المستمع. وبعد ساعات، أعلنت

> **أشاعت وسائل الإعلام البريطانية أن ماي ستواجه اقتراعاً وشيكاً**

رئاسة الحكومة أن وزير الدولة للصحة ستيفن باركلي عيّن وزيراً لـ«بريكست» مكان دومينيك راب، الذي استقال أول من أمس.

«سحب الثقة»

وغصّت تقارير وسائل الإعلام البريطانية بإشاعات عن أن ماي ستواجه اقتراعاً وشيكاً من جانب المشرعين عن حزب «العمال» بسحب الثقة منها. وعندما يقدم 48 مشرعاً خطابات بذلك إلى ما يسمى لجنة 1922 في الحزب، فستواجه ماي اقتراعاً بسحب الثقة منها تحتاج فيه إلى غالبية بسيطة من إجمالي الأصوات لتستمر في رئاسة الحزب والحكومة. وكتب المشرع مارك فرانسوا المؤيد لـ«بريكست» في خطاب عنوانه «إنها بالفعل لا تسمع»: «من أجل حزب المحافظين، وللحقيقة من أجل مصير البلاد، أعتقد بأمانة أن الوقت قد حان الآن لإيجاد قيادة جديدة يمكنها أن تحمل هذا البلد إلى خارج الاتحاد الأوروبي». ومع ذلك تعزز موقف ماي عندما أعلن مايكل جوف (51 سنة) وهو أبرز أعضاء حكومتها المؤيدين للخروج من الاتحاد الأوروبي مساندته لها قائلاً إنه «باقٍ» في منصب وزير البيئة. وعندما سُئل إن كان يؤيد رئيسة الوزراء، قال جوف الذي ضيّع على وزير الخارجية السابق بوريس جونسون فرصة زعامة الحزب ورئاسة الحكومة في اللحظة الأخيرة في عام 2016 «أؤيدها تماماً»، وأضاف: «أعتقد أن من المهم تماماً أن نركز على الحصول على الاتفاق الصحيح في المستقبل والتأكد من أن بإمكاننا الحصول على نتيجة جيدة في المسائل التي تهم الشعب البريطاني أكثر من غيرها».

ووافق مؤيدون آخرون للخروج من الاتحاد الأوروبي على البقاء في الحكومة وفق تغريدة كتبها المحرر السياسي لصحيفة «صنداي تايمز» تيم شيبمان، والذي قال فيها «الاستقالة والانضمام إلى تمرد (على رئيسة الحكومة) لن يفيد بشيء». لكن صحافياً في صحيفة «ديلي تلغراف» قال إن ماي ستواجه اقتراعاً بسحب الثقة الأسبوع المقبل إذ «من المتوقع أن يقدم مشرعون من حزب المحافظين اليوم (أمس) الخطابات المطلوبة لفتح باب المنافسة على القيادة». وقال كبير المحررين السياسيين للصحيفة كريستوفر هوب على تويتر، نقلاً عن مصادر مطلعة على شؤون الخروج من الاتحاد الأوروبي، إن الاقتراع بسحب الثقة يمكن أن يجرى يوم الثلاثاء. ومن المقرر أن يجتمع زعماء الاتحاد الأوروبي يوم 25 تشرين الثاني/ نوفمبر للموافقة على اتفاق خروج بريطانيا.

(الأخبار، أ ف ب)

اشاعت وسائل الإعلام البريطانية ان ماي ستواجه اقتراعا وشيكا (أ ف ب)

وفيات

بسم الله الرحمن الرحيم
«يا أيتها النفس المطمئنة إرجعي إلى ربكِ راضية مرضية
فادخلي في عبادي وادخلي جنتي»
صدق الله العلي العظيم
إنا لله وإنا إليه راجعون
بمزيد من التسليم لقضاء الله تعالى ننعى إليكم وفاة المرحوم

الحاج عجاج مرشد الحاج سليمان «أبو حيان»

ولداه: الأستاذ حيان الحاج سليمان
العقيد مرشد الحاج سليمان
شقيقه: الأستاذ علي مرشد الحاج سليمان
تقبل التعازي عن روحه الطاهرة طيلة أيام الأسبوع في منزل الفقيد الكائن في بدنايل كما وتقبل التعازي عن روحه الطاهرة في جمعية التخصص والتوجيه العلمي يوم الاثنين الواقع في: 19/11/2018 من الساعة الثانية بـ ظ وحتى السادسة مساء.
للفقيد الرحمة ولكم الأجر والثواب.
الآسفون: آل الحاج سليمان
وأهالي بلدة بدنايل

انتقل إلى رحمته تعالى
(المرحوم)
مصطفى فوزي محيو
ولداه: محمد وأحمد
ابنته: منال
أشقاؤه: الحاج كمال والمرحوم الحاج سمير والمرحوم الحاج محمد
زوجته: منى خريس
أصهرته: إبراهيم مهنا والمرحوم الحاج علي العنان
سيصلى على جثمانه الطاهر اليوم السبت الموافق في 17/11/2018 عند صلاة الظهر في جامع البسطا التحتا ويوارى الثرى في جبانة الباشورة.
تقبل التعازي بعد الدفن في منزله الكائن في محلة مار الياس شارع صيدنايا بناية منصور ط 4 وتقبل التعازي يوم الأحد والاثنين في قاعة خليل الهبري جامع الخاشقجي بين صلاة العصر والمغرب.
للفقيد الرحمة ولكم الأجر والثواب
الآسفون: آل محيو وخريس وبعلبكي وإبراهيم ومهنا والعنان

لإعلاناتكم الرسمية والمبوبة والوفيات
الأخبار
هاتف: 759555 ـ 01
فاكس: 759597 ـ 01

إعلانات رسمية

إعلان
تعلن كهرباء لبنان بأن مهلة تقديم العروض العائد لشراء زيت خاص لكابلات توتر عالي 66 و150 ك.ف، موضوع استدراج العروض رقم ث4ه/4960 تاريخ 2018/5/17، قد مددت لغاية يوم الجمعة 2018/12/21 عند نهاية الدوام الرسمي الساعة 11:00 قبل الظهر.
يمكن للراغبين في الاشتراك باستدراج العروض المذكور اعلاه الحصول على نسخة من دفتر الشروط من مصلحة الديوان - امانة السر - الطابق 12 (غرفة 1223)، مبنى كهرباء لبنان - طريق النهر وذلك لقاء مبلغ قدره /000 50/ ل.ل.
علما بان العروض التي سبق وتقدم بها بعض الموردين لا تزال سارية المفعول ومن الممكن في مطلق الاحوال تقديم عروض جديدة افضل للمؤسسة.
تسلم العروض باليد الى أمانة سر كهرباء لبنان - طريق النهر - الطابق «12» - المبنى المركزي.
بيروت في 2018/11/13
بتفويض من المدير العام
مدير الشؤون المشتركة بالإنابة
المهندس واصف حنيني
التكليف 2337

إعلان
تعلن كهرباء لبنان عن رغبتها في إجراء استدراج عروض لاستبدال لوحات التحكم في معمل الذوق الحراري.
يمكن للراغبين في الاشتراك باستدراج العروض المذكور اعلاه الحصول على نسخة من دفتر الشروط من مصلحة الديوان - امانة السر - الطابق 12 (غرفة 1223)، مبنى كهرباء لبنان - طريق النهر وذلك لقاء مبلغ قدره /000 75/ ل.ل.
تسلم العروض باليد إلى امانة سر كهرباء لبنان - طريق النهر - الطابق "12" - المبنى المركزي (غرفة 1223).
علماً أن آخر موعد لتقديم العروض هو نهار الجمعة الواقع في 2018/12/14 عند نهاية الدوام الرسمي الساعة 11:00 قبل الظهر.
بيروت في 2018/11/13
بتفويض من المدير العام
مدير الشؤون المشتركة بالإنابة
المهندس واصف حنيني
التكليف 2342

إعلان
من أمانة السجل العقاري في المتن
طلب السيد مهران ملكون سفريان بوكالته عن السيد اغيا كريكور بوغوصيان بصفتها احدى ورثة اغاوني واغيناك كيرازيان مالكة 900 سهم في العقار رقم /582/ من منطقة برج حمود العقارية سند تمليك بدل عن ضائع بحصة المورثة اغاوني واغيناك كيرازيان.
للمعترض المراجعة خلال 15 يوم
أمين السجل العقاري
مايكل حدشيتي

إعلان
يدعو قلم محكمة الاستئناف المدنية في النبطية المستأنف عليه كريم هاني مرجي ممثلاً بوليه الجبري هاني مرجي الحضور اليه لاستلام اوراق الدعوى الاستئنافية رقم 2018/406 المقامة من الدولة اللبنانية بموضوع عقارية، وعليه ان يتخذ محل اقامة له ضمن نطاق المحكمة ما لم يكن ممثلاً بمحام، يعد مكتبه مقاماً مختاراً له والا جاز ابلاغه الاوراق بواسطة رئيس القلم والتعليق على لوحة الاعلانات وذلك بخلال عشرين يوماً يلي النشر.
رئيس القلم
علي ابراهيم

إعلان
لأمانة السجل العقاري بالكورة
طلب فادي عبدالله اللاذقاني بالوكاله عن جان حاماتي ويوسف واسامه غلاييني سند بدل ضائع للعقار 1793/4 ا راسمسقا.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري

إعلان
لأمانة السجل العقاري بالكورة

طلبت رشا علي يوسف ريشه بالوكاله عن محمد درويش سند بدل ضائع للعقار 343 مجدليا.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري

إعلان
لأمانة السجل العقاري بالكورة
طلب حمزه درويش حمزه الحسن سند بدل ضائع للعقار 893 بتوارتيج.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري

إعلان
لأمانة السجل العقاري بالكورة
طلب سمعان يوسف عيد بالوكاله عن نظيره واكيم سند بدل ضائع للعقار 297 بقرقاشا.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري

إعلان
لأمانة السجل العقاري بالكورة
طلبت المحاميه كريس انطوان البري بالوكاله عن احد ورثة داغر داغر سندات بدل ضائع للعقارات 75 و181 و191 وطى حوب و1388 و1692 تنورين الفوقا.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري

إعلان
لأمانة السجل العقاري بالكورة
طلب رئيف جبران نصر سند بدل ضائع للعقار 1333/ 2 قلحات.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري

إعلان
لأمانة السجل العقاري بالكورة
طلب جورج حنا نمر بصفته احد ورثة حنا نمر سند بدل ضائع للعقار 385 الحريق.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري

إعلان
لأمانة السجل العقاري بالكورة
طلبت دلال الخوري انطونيوس الحكيم بالوكاله عن احد ورثة طانيوس الشدياق سندي بدل ضائع للعقارين 1333 و2999 بشعله.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري

إعلان
لأمانة السجل العقاري بالكورة

طلب حسن احمد ملحم بالوكاله عن نسيم معالبقي ومحمد خليل سند بدل ضائع للعقار 784/4 برسا.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري

إعلان
لأمانة السجل العقاري بالكورة
طلبت جاكلين حنا روفايل بالاصاله عن نفسها وبالوكاله عن جوزف روفايل سندي بدل ضائع للعقار ين 99 و114 عبدللي.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري

إعلان
من أمانة السجل العقاري في مرجعيون وحاصبيا
طلب خير نعيم عبدالله لموكله نصر فيليب عوده احد ورثة فيليب نصر عوده شهادة قيد بدل ضائع في العقار 1121 دير ميماس.
للمعترض 15 يوماً للمراجعه
امين السجل العقاري في مرجعيون وحاصبيا
يوسف شكر

إعلان
من أمانة السجل العقاري في مرجعيون وحاصبيا
طلبت المحامية رانيه نعوم مارون بالوكاله عن احد ورثة انطونيوس غلوب وروماتوس غلوب سندي بلد ضائع للعقارين 154 حدشيت و137 بلوزا.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري

إعلان
لأمانة السجل العقاري بالكورة
طلب عبدو يعقوب ضاهر سند بدل ضائع للعقار 534 بدبا .
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري

إعلان
لأمانة السجل العقاري بالكورة
طلب ميشال سركيس فرشخ بصفته مفوض من بنك بيبلوس شهاداتي تامين بدل ضائع عن العقارين 9/857 عردات و6/1160 كفرحتا.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري

إعلان
لأمانة السجل العقاري بالكورة
طلب بولس حنا الحكيم بالوكاله عن فارس يوسف نادر سندات بدل ضائع للعقارات 893 و894 و916 و970 و979 و999 زان.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري

إعلان
لأمانة السجل العقاري بالكورة
طلب المحامية رانيه نعوم مارون بالوكاله عن احد ورثة انطونيوس غلوب وروماتوس غلوب سندي بلد ضائع للعقارين 154 حدشيت و137 بلوزا.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري

إعلان
لأمانة السجل العقاري بالكورة
طلب رشا علي يوسف ريشه بالوكاله عن محمد درويش سند بدل ضائع للعقار 343 مجدليا.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري

إعلان
لأمانة السجل العقاري بالكورة
طلب حمزه درويش حمزه الحسن سند بدل ضائع للعقار 893 بتوارتيج.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري

إعلان
لأمانة السجل العقاري بالكورة
طلب سمعان يوسف عيد بالوكاله عن نظيره واكيم سند بدل ضائع للعقار 297 بقرقاشا.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري

إعلان
لأمانة السجل العقاري بالكورة
طلبت المحاميه كريس انطوان البري بالوكاله عن احد ورثة داغر داغر سندات بدل ضائع للعقارات 75 و181 و191 وطى حوب و1388 و1692 تنورين الفوقا.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري

إعلان
لأمانة السجل العقاري بالكورة
طلب رئيف جبران نصر سند بدل ضائع للعقار 1333/ 2 قلحات.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري

إعلان
لأمانة السجل العقاري بالكورة
طلب جورج حنا نمر بصفته احد ورثة حنا نمر سند بدل ضائع للعقار 385 الحريق.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري

إعلان
لأمانة السجل العقاري بالكورة
طلبت دلال الخوري انطونيوس الحكيم بالوكاله عن احد ورثة طانيوس الشدياق سندي بدل ضائع للعقارين 1333 و2999 بشعله.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري

إعلان
لأمانة السجل العقاري بالكورة

طلب حسن احمد ملحم بالوكاله عن نسيم معالبقي ومحمد خليل سند بدل ضائع للعقار 784/4 برسا.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري

إعلان
لأمانة السجل العقاري بالكورة
طلبت جاكلين حنا روفايل بالاصاله عن نفسها وبالوكاله عن جوزف روفايل سندي بدل ضائع للعقار ين 99 و114 عبدللي.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري

إعلان
من أمانة السجل العقاري في مرجعيون وحاصبيا
طلب خير نعيم عبدالله لموكله نصر فيليب عوده احد ورثة فيليب نصر عوده شهادة قيد بدل ضائع في العقار 1121 دير ميماس.
للمعترض 15 يوماً للمراجعه
امين السجل العقاري في مرجعيون وحاصبيا
يوسف شكر

إعلان
من أمانة السجل العقاري في مرجعيون وحاصبيا
طلبت مارى انطانيوس ملكون لموكلتها حنه الخوري احد ورثة شاكر مرعي الخوري وسعدى يوسف ونا شهادات قيد بدل ضائع للعقارات 608 و630 و631 و6296 القليعة.
للمعترض 15 يوماً للمراجعه
امين السجل العقاري في مرجعيون وحاصبيا
يوسف شكر

إعلان
من أمانة السجل العقاري في مرجعيون وحاصبيا
طلب عباس موسى وهبي شهادة قيد بدل ضائع لحصته في العقار 2175 ابل السقي.
للمعترض 15 يوماً للمراجعه
امين السجل العقاري في مرجعيون وحاصبيا
يوسف شكر

إعلان
من أمانة السجل العقاري في مرجعيون وحاصبيا
طلب احمد محمد الحاج شيت بصفته من ورثة محمد الحاج حسن شيت شهاداتي قيد بدل ضائع للعقارين 3515 و3516 الخيام.
للمعترض 15 يوماً للمراجعه
امين السجل العقاري في مرجعيون وحاصبيا
يوسف شكر

إعلان
من أمانة السجل العقاري في بعلبك – الهرمل
طلب عبد الناصر عبد الغني الساحلي بصفته مفوضاً بعقد البيع سند تمليك بدل عن ضائع بحصة مورث البائعين علي رضى محفوظ بالعقار 294 الهرمل العقارية
للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري المعاون
مايا شريف

إعلان
من أمانة السجل العقاري في بعبدا
طلب علي محمد شمص وكيل ابتسام كامل نور الدين سند ملكية بدل ضائع للعقار 343/ A 11 الليلكي.
للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في بعبدا
نايفه شبو

إعلان قضائي
بتاريخ 2018/11/15قرر رئيس محكمة بداية صيدا القاضي محمد الحاج علي نشر خلاصة عن الاستدعاء المقدم من عادل كمال سلهب ورفاقه والمسجل برقم 2018/1632 والذي يطلب فيه شطب اشارة الدعوى عن العقارين رقم /1577/ و/1578/ من منطقة الوسطاني العقارية والمسجلة برقم يومي 158 تاريخ 1973/1/23 استحضار دعوى مقدم لجانب محكمة بداية الجنوب 1973/1/20 من المدعي جان روفايل دبانه ضد المدعى عليهم يوسف اسكندر انداروس ورفاقه نوع الدعوى رفع التعدي فمن له مصلحة بالاعتراض ان يتقدم به خلال عشرين يوماً من تاريخ النشر.
رئيس القلم
سلام الغوش

إعلان
تعلن رئاسة الجامعة اللبنانية حاجتها للتعاقد مع اساتذة من حملة الدكتوراه للتدريس في كلية الفنون والعمارة، في الاختصاصات التالية:
الهندسة المعمارية، عدد الاساتذة 6
الفنون التشكيلية، عدد الاساتذة 3
الهندسة الداخلية، عدد الاساتذة 1
الفنون الإعلانية، عدد الاساتذة 1
السينما، عدد الأساتذة 1
تُقدم الطلبات لدى امانة سر العمادة – فرن الشباك – ابتداء من 2018/11/19 لغاية 28 منه ضمناً.
بيروت في 2018/11/16
رئيس الجامعة اللبنانية
فؤاد أيوب

إعلان بيع بالمزاد العلني
صادر عن دائرة تنفيذ الدامور
غرفة القاضي ستيفاني الراسي
بالمعاملة التنفيذية: رقم 2018/5
المنفذة: فاديا رحمة
المنفذ عليه: رامي حنا رزق
الموضوع استنابة من دائرة تنفيذ كسروان برقم 2017/670 سندات دين قيمة الدين /40,000/د.أ. عدا الملواحق.
تاريخ تبليغ الانذار التنفيذي من المنفذ عليه: 2017/11/10.
تاريخ وضع محضر الوصف: 2018/2/1
– تاريخ تسجيله 2018/2/16
المطروح للبيع: حصة المنفذ عليه الارثية من مورثته المرحومة مريم ضاهر شعيا في العقارات: 180 و 190 و191 و192 و197 و208/ الرميلة حصته الارثية من المرحومة مريم ضاهر شعيا العائدة لهذه الاخيرة ارثاً من المرحومين فريدة وطانيوس وعبود ضاهر شعيا في العقارات المذكورة اعلاه.
وصف العقارات:
180/ عبارة عن قطعة ارض سليخ لا تحوي اي بناء.
191/ قطعة ارض مشجرة زيتون وقسم منها سليخ ومطلة على البحر لا بناء عليها.
192/ مشجر زيتون لا طريق لها لا تحوي اي بناء.
190/ قطعة ارض سليخ ومشجر زيتون له طريق معبدة لا بناء عليها.
197/ قطعة ارض مشجرة زيتون ويمكن الوصول اليها عبر طريق مبعدة – لا بناء عليها
208/ قطعة ارض سليخ منحدرة لا بناء عليها تقع عند اطراف البلدة حدود الرميلة – الوردانية.
قيمة التخمين
- في العقار 180/ الرميلة: الحصة الارثية للمنفذ عليه: /7,287/ سهم خمن بمبلغ : /59,51/د.أ. قيمة الطرح: 36/د.أ.
- العقار 191/الرميلة: الحصة: /7,287/ سهم خمن بمبلغ: /370,72/د.أ. قيمة الطرح: /222,432/د.أ.
- العقار 192/الرميلة: الحصة: /7,287/ سهم خمن بمبلغ: /6,687,03/د.أ. قيمة الطرح: /4,012,218/د.أ.
- العقار 190/الرميلة: الحصة: /2,561/ سهم خمن بمبلغ: /2,628,38/د.أ. قيمة الطرح: /1,577,028/د.أ.
- العقار 197/الرميلة: الحصة: /2,561/ سهم خمن بمبلغ: /812,15/د.أ. قيمة الطرح: /487,29/د.أ.
- العقار 208/الرميلة: الحصة: /7,287/ سهم خمن بمبلغ: /3,685,40/د.أ. قيمة الطرح: /2,211,24/د.أ.
موعد المزايدة ومكانها: نهار الاربعاء الواقع في 2019/1/16 الساعة الحادية عشرة من قبل الظهر امام رئيس دائرة تنفيذ الدامور.
شروط البيع: على الراغب في الشراء وقبل المباشرة بالمزايدة ان يودع باسم رئيس دائرة تنفيذ الدامور او مصرف مقبول قيمة الطرح المقرر وعليه اتخاذ محل اقامة له ضمن نطاق الدائرة اذا لم يكن له مقام فيها وعليه خلال ثلاثة ايام تلي الاحالة دفع الثمن تحت طائلة اعادة المزايدة بزيادة العشر على عهدته فيضمن النقص ولا يستفيد من الزيادة وعليه خلال عشرين يوماً تلي الاحالة دفع الثمن ورسم الدلالة 5% والتسجيل.
مأمور التنفيذ
يمامة حجار

اعلان
حكم صادر عن المحكمة الروحية الابتدائية لابرشية طرابلس والكورة وتوابعهما للروم الارثوذكس. تدعو بموجبه السيد شادي الياس عقباتي من طرطوس ومجهول الاقامة لاستلام حكم فسخ زواجه من السيدة جانين اسكندر شكور رقم 50 / 218 الصادر عن محكمتنا بتاريخ 2018/11/16.
كاتب المحكمة نقولا الرملاوي

اعلان
يعلن مجلس ادارة الجمعية التعاونية للتوفير والتسليف للسكن والتنمية في الجنوب وجبل لبنان عن انعقاد جمعية عمومية عادية في 2018/11/24 س 3 ب ظ في مكتبها في الرميلة للاطلاع والمصادقة على جداول وعلى استدانات سابقة وجديدة وعلى قرارات ولانتخاب هيئات الجمعية التعاونية واذا لم يكتمل النصاب تنعقد الجمعية في 2018/11/25 س 10 صباحاً في نفس المكان بمن حضر من الاعضاء.

اعلان
يدعو مجلس ادارة جمعية مزرعة السياد التعاونية الزراعية مم. الجمعية العمومية العادية للانعقاد في الساعة الثانية من بعد ظهر الاحد الواقع في 2019/1/6 في مركز الجمعية (براد قرطبا) وذلك لدرس وتصديق موازنة 2018 والتصديق مجدداً على موازنة 2015 و2016 و2017 وابراء ذمة مجلس الادارة. واذا لم يكتمل النصاب القانوني تعود الجمعية للانعقاد في 2019/1/13 في نفس المكان والزمان بمن حضر.
الرئيس
يوسف بو غاريوس

إعلانات
فريحة Freiha
تؤمن إعلاناتكم في كافة المناطق
info@publifreiha.com
01 201 740
01 200 830
الأشرفية
ساسين ومار متر

موسيقى

سامي حواط... علماني متصوّف في «المدينة»

عبدالرحمن جاسم

سامي حواط (1956) حالة خاصة. فنانٌ خاص من آخر النتاجات الحقيقية لمرحلة الفن الثوري المقاوم من سبعينيات القرن الماضي. «كثيرون قد نسوا وكثيرون قد ماتوا، أما أنا فلم أنس ولم أمت». هذه الجملة الشعرية التي قالها الشاعر التشيلي بابلو نيرودا هي المعبّر الحقيقي والأساسي عن سامي حوّاط. هو يدرك بأنّه في خضمّ تجربة صراعية خاصة، لكنها تجربته التي لا يتنازل عنها أبداً. يعود حواط إلى «مسرح المدينة» في حفلة «وجدانية» تقام مساء الثلاثاء المقبل. «رحّالة» هو عنوان الأمسية، التي تحيل أيضاً إلى اسم ألبومه («الرحالة» خرج إلى النور عام 2003) واسم فرقته التي تضم

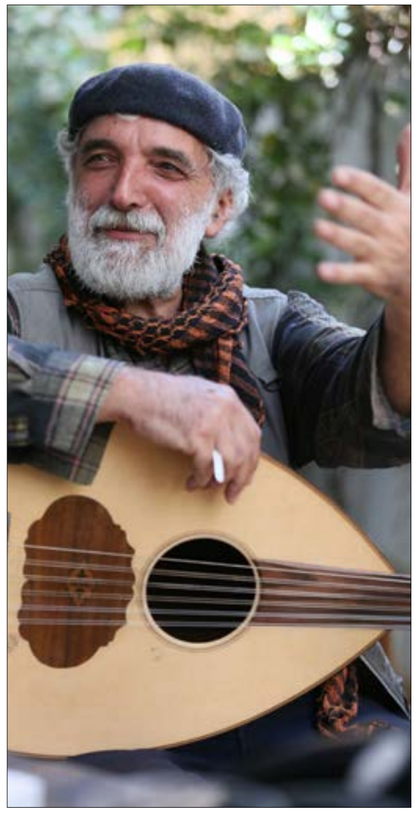

> تشمل الأمسية تسع مقطوعات موسيقية وثلاث أغنيات

نضال ابو سمرة على الساكسوفون، ووفاء البيطار على القانون، وأحمد الخطيب على الإيقاع، وقد يضاف إليهم في الحفلة المرتقبة على الحوت على آلة التار. قد يسأل بعضهم: كيف سيقدّم حواط الشيوعي العلماني تجربة «وجدانية» أو كما قد يسمّيها العنوان الفرعي في البوستر «تجوال في أناشيد صوفية مبتكرة»؟ يعلّق حواط: «كل هذا مرتبطٌ ببعضه. أنا أقول دائماً إن مفهوم الثورة والتغيير يأتي مرة واحدة وبالأحاسيس نفسها. فأنا بداخلي ثورة وغضب وأيضاً هناك سخرية. كل ذلك صادق ومرتبط ببعضه». ويكمل حول الحفلة بحد ذاتها: «هذا العمل/ الحفلة أي «رحالة» هو ذروة الصدق الداخلي وباقي الأشياء تأتي لاحقاً. في 2002 و2003، شعرت أني تعبت وأردت أن أعبّر عن نفسي من خلال الموسيقى. لذلك كان هذا الألبوم الذي يضم أفكاراً ومقطوعات موسيقية لها روحها الخاصة. مثلاً، أول مقطوعة اسمها «صراع» ويمكن القياس على ذلك». طبعاً يرى حواط أن هناك حاجةً ملحة لهذا النوع من الفن الموسيقي الهادف، إذ «نفتقد للهدوء في هذه الأجواء المليئة بالضجيج. فالضجيج حولنا والموسيقى الرديئة التي نسمعها في بعض الأحيان قد دمّرت الذائقة العامة فضلاً عن قدرتنا على الهدوء».

يحيل تعبير «رحّالة» بحسب حواط لا إلى الأشخاص الذين يرحلون ولا يقيمون، بل إلى رحلة في داخل الإنسان، والمكان هو جزءٌ من المعادلة بحد ذاتها. يحكي عن تجربة تسجيل الألبوم التي أصرّ على أن تكون مرتبطة بهذه الفكرة: «صرت أبحث عن أماكن هادئة بعيدة عن الضجيج كي نسجّل فيها الألبوم، مثل مغارة. وهو ما حدث فعلاً حيث وجدت ديراً في البلمند. ذهبنا حينها إلى هناك وسجلنا العمل على ميكروفون واحد. وإذا لاحظت، ففي «البوستر» الإعلاني للحفلة، تجد الصورة ذاتها التي أخذناها هناك أنا والفرقة».

ماذا عن الأمسية؟ يتمنى سامي على الجمهور أن يسمع الرسالة خلف الموسيقى التي يريد أن يوصلها هذه المرّة. يؤكد أن الحفلة لن تقتصر على المقطوعات الموسيقية فقط، بل تحوي أغنيات مثل «آرا» (للشاعر غسّان مطر، ويعرفها الجمهور باسم «بلادي بلادي ولن أرحل»، ويضيف: «وهذه المرّة قررنا تقديمها بشكل مختلف». ويشير إلى أنّ الأجواء في الحفلة ستكون مختلفة: «نحاول تقديم مشهدية، حيث قمنا بتجهيز أجواء تقرب الناس أكثر من فكرة العمل. لقد مسرحنا الموضوع لنقربه أكثر من الناس». يشرح حواط عن الحفلة، مشيراً بفرح إلى «أني أحب هذا العمل كثيراً بصدق وأنا فرح بما أقدمه، وفوق كل هذا أنا مقتنع بهذا العمل لأنه جاء من قلبي وعندي شغف وثقة بأنني سأوصله إلى الناس بصدق». تمتد الحفلة على ساعة وعشر دقائق تقريباً وتشمل تسع مقطوعات موسيقية وثلاث أغنيات. وإذا احتسبنا ما قد يطلبه الجمهور من سامي من أغنيات معروفة له مثل «شو هالإيام» أو «أحد الإخوان» و«بلا ولا شي»، فإن الحفلة قد تمتد إلى الساعة والنصف. بطبيعته الظاهرة، يعلّق حوّاط: «صحيح أنّ جو الحفلة يختلف، لكن بالتأكيد إذا طلب مني أحد الحضور هذه الأغنيات، لن أرفض، بل سأخبره بأنني سأغنيها في الختام، كي لا أفسد الجو العام الخاص بالحفلة». ماذا عن فلسطين إذاً؟ يضحك سامي قائلاً: «هل يمكن أن أنسى فلسطين؟ هناك بالتأكيد مقطوعة مخصصة لها، هذا أمرٌ ثابت». أما عن اختياره «مسرح المدينة»، فيوضح بأن هذا المسرح جزءٌ من ذاكرته وفكره، ومديرته ومؤسسته المسرحية نضال الأشقر «هي من نفس المحور الفكري والنضالي والإنساني الذي أنتمي إليه أغني لأجله. لذلك، من الطبيعي أن أكون هنا على هذا المسرح». ولكن ماذا عن الألبوم الجديد؟ يشير إلى أنّ البومه على «النار»، ويفصح لـ «الأخبار» عن إحدى قصائد العمل الجديد التي كتبها بنفسه: «مالت الأيام ميلاً سريعاً وهوت بشراً وحجارة، والليل طال طوله حتى أصبح ليل نهار، فكرت في عقرب ساعة الكون، هل مال إلى الشر، والخير أصبح تذكار».

رحالة . تجوال في أناشيد صوفية مبتكرة» 20:30 مساء الثلاثاء 20 تشرين الثاني (نوفمبر) ـ «مسرح المدينة» (الحمرا). للاستعلام: 01/753010

فلاش

■ تحت عنوان «**التراث الموسيقي نهجاً للتقدم**»، يدعو **مقهى «ة»** (الحمرا ـ بيروت/ س: 18:30) بالتعاون مع «**مؤسسة التوثيق والبحث في الموسيقى العربية**»، في 21 تشرين الثاني (نوفمبر) الحالي إلى حضور ندوة يقدّمها الباحث الموسيقي المصري **مصطفى سعيد**. في هذا اللقاء، يلقي سعيد الضوء على تاريخ التسجيلات الموسيقية لبلاد الشام ومصر، مقدّماً أمثلة سمعية من أسطوانات حصرية للمؤسسة، يعود تاريخها إلى مطلع القرن العشرين. تتناول الأمسية أيضاً تاريخ التسجيلات في ما «تيسّر من أرض العرب»، مع تركيز على «برّي مصر والشام». فضلاً عن تسجيلات لأهل النغم الفصيح مطلع القرن العشرين من طريقين: نهجاً لطالبي العلم بهذا النغم، ومُلهماً لأهل النغم لإنتاج نغماً جديداً مُعاصراً يأخذ هذا الإرث مصدراً وسنداً للتقدّم، لا الجمود والترديد والتعصّب حتّى التعصّب القوميّ منه. للاستعلام: 01/350274 أو 76/680892

■ في مقرّها في الحدث (بعبدا)، تكرّم «**الجامعة الأنطونية**» في 29 تشرين الثاني (نوفمبر) الحالي (س: 17:00) المفكر اللبناني **ناصيف نصّار**. يتضمّن الموعد كلمات للمكرّم، ورئيس الجامعة الأب **ميشال جلخ**، والمدير العام لـ«معهد العالم العربي» **معجب زهراني**، ومدير كرسي المعهد الطيّب **ولد العروسي**، وتتخلّله إضاءة على نتاج ناصيف، يتولّاها كل من: **عبد الإله بلقزيز** (المغرب)، و**مايكل فري** (ألمانيا)، و**أدونيس عكرا** (لبنان)، و**أنطوان سيف** (لبنان). وسيسلّم ناصيف ميدالية «معهد العالم العربي» وريشة «الجامعة الأنطونية» الفضية. للاستعلام: 05/927000 ـ مقسّم: 1051

■ يوقّع **حسين رسلان** كتابه الأوّل «**تجربة حياة**»، في 28 تشرين الثاني (نوفمبر) الحالي (س: 12:00) في «**كلية الإعلام والتوثيق**» في الجامعة اللبنانية (الفرع الأوّل ـ الأونيسكو ـ بيروت). في هذا العمل، ينقل الصحافي اللبناني الشاب تفاصيل رحلته الشاقة التي «تحدّى خلالها الموت» بعد تعرّضه لحادث سير خطير، و«خلق فيها من الإرادة حياة»، ليقول في النهاية: «إيه في أمل».

■ ضمن حملتها الجديدة «**مين الفِلتان؟**»، تدعو منظمة «**أبعاد**» في 24 تشرين الثاني (نوفمبر) الحالي إلى حضور عرض مسرحي وثائقي يحمل الاسم نفسه، من كتابة وإخراج **سحر عساف** (الصورة). العرض الذي يجري في «**زيكو هاوس**» (سبيرز ـ الحمرا/ العرض الأوّل: س: 14:00 ـ العرض الثاني: 19:00 ـ العرض الثالث: 21:30). يرتكز على مواد من مقابلات مسجّلة أجرتها المنظمة في عام 2018 مع ناجيات من الاغتصاب، و«ينقل الواقع كما هو»، وداعياً الجمهور إلى «التجوّل في أنحاء المنزل للاستماع إلى القصص كما روتها النساء». المسرحية غير مناسبة لمَن هم دون سنّ الـ 18، وهي من بطولة: أنطوان أشقر، وجوزيف زيتوني، وجويس أبو جودة، ولين حديب، ومي أوجدن سميث، وهبة سليمان الحمد. الدخول مجاني. للاستعلام: 81/666172

■ تقيم «**الحركة الثقافيّة في لبنان**» أمسية شعريّة عربيّة يوم الاثنين المقبل (الساعة السادسة والنصف مساءً) في مكتبة بلديّة صريفا (جنوب لبنان)، يحييها كلّ من الشعراء **حازم هاشم** (من العراق)، **جهاد الحنفي** (من فلسطين)، و**داود مهنا وعلي نسر** من لبنان. للاستعلام: 03/385257

■ أعلن «**النادي الثقافي العربي**» إنجاز التحضيرات لـ «**معرض بيروت العربي الدولي للكتاب**» (62) الذي سيُقام في «**مركز سي سايد ـ أرينا**» (وسط بيروت)، ما بين 6 و17 كانون الأول (ديسمبر). ويُشارك في المعرض حتى الآن سبع دول هي: الكويت، سلطنة عمان، مصر، السودان، لبنان، جمهورية أوكرانيا، إيران وتركيا. ويُشارك أكثر من 170 دار لبنانية و81 دار عربية وأجنبية، إضافة إلى خمس جامعات لبنانية. وأكد النادي أنه بصدد الإعداد لبرنامج ثقافي مرافق للمعرض وندوات وأمسيات فنية تتجاوز الأربعين وعشرات توقيعات الكتب التي تحصل في أجنحة دور النشر المشاركة وجناح «النادي الثقافي العربي».

■ أعلنت «**مؤسسة الفكر اللبناني**» في «**جامعة سيدة اللويزة**»، بالتعاون مع «**مركز الدراسات العربية ودراسات الشرق الأوسط**» في الجامعة الأميركية في بيروت، مشروعها الجديد الرامي إلى إطلاق فكرة شخصية العام بصورة دورية مع كل عام دراسي، وتنظيم سلسلة من النشاطات الثقافية حول تلك الشخصيّة. وقد تقرر أن تكون شخصية أنيس فريحة هي المحتفى بها خلال العام الدراسي 2019-2018. وجاء في البيان أنه جرى اختيار **أنيس فريحة** نظراً لدوره البارز في تطوير اللغة العربية وإحياء التراث القروي اللبناني من خلال مشروعه «حضارة في طريق الزوال» وغيره. وسيشمل البرنامج المخصّص لدراسة أنيس فريحة، سلسلة ندوات ومعارض ونصوص مسرحية إلى جانب الأنشطة الطلابية الجامعيّة حول أنيس فريحة وأدبه. وتتوزّع أنشطة هذا البرنامج بين جامعة سيدة اللويزة والجامعة الأميركية في بيروت. وسيُعلن البرنامج المفصل قبل نهاية الشهر الجاري.

تجدر الإشارة إلى أن أنيس فريحة (1903-1993) كان أستاذ اللغات السامية في كلية الآداب والعلوم في الجامعة الأميركية في بيروت، وفي كلية الإعلام في الجامعة اللبنانيّة. من أبرز مؤلّفاته: «حضارة في طريق الزوال»، «اسمع يا رضا»، «نحو عربية ميسّرة»، «معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية» و«معجم الأمثال اللبنانية الحديثة».

كلام عن وقف العدد الورقي (مروان طحطح)

رادار

إضراب مفتوح للعاملين يصطدم باحتقار الإدارة

«الحياة» (تابع): موت بطيء بلا قرار

زكية الديراني

كان متوقعاً أن تنفجر الأمور في كواليس «دار الحياة» (تصدر صحيفة «الحياة» اليومية ومجلة «لها» الأسبوعية)، وتتوقّف الجريدة عن الصدور في السعودية والإمارات (تحت شعار الطبعة الدولية). كل المؤشرات كانت تدلّ على أن ملفّ الدار السعودية التي يملكها خالد بن سلطان، كانت تتّجه نحو التأزّم بعد مرور خمسة أشهر على عدم حصول المستكتبين على مستحقاتهم المالية. الأزمة تفاقمت قبل عام تقريباً، عندما أعلن عن إقفال الدار في بيروت في حزيران (يونيو) الماضي إثر الأزمة المالية التي عصفت بها. بالفعل، أغلقت الدار في الصيف الماضي ودفعت بعض التعويضات للموظفين، ولكن الأمور لم تتوقّف هنا. اتفق القائمون على الدار (شفهياً) مع مجموعة من الموظفين في بيروت على بقائهم في عملهم كمستكتبين، لتكون المفاجأة بعدم حصولهم على مستحقاتهم لغاية اليوم. هذه الخطوة دفعت المستكتبين إلى إعلان الإضراب المفتوح الذي انطلق الأسبوع الماضي، ولا يزال مستمراً لغاية اليوم حتى دفع المعاشات. في المقابل، لا يختلف الوضع في مكتب دبي عن ذاك في بيروت. فقد أعلن الموظّفون في الإمارات أوّل من أمس عن تضامنهم مع زملائهم وتوقفوا عن العمل، مع العلم أنهم لم يتقاضوا معاشاتهم منذ ثلاثة أشهر. إضراب العاملين هناك، كان له أثر واضح على إصدار العدد الورقي لـ«الحياة» بطبعته الإماراتية. فقد كان القائمون على الصحيفة يتّكلون على مكتب دبي لتقديم المحتوى الإعلامي بهدف تعويض غياب اللبنانيين. لكن على إثر إضراب مكتب دبي، خُجبت صحيفة «الحياة» أمس في الإمارات، وأحدثت ضجة في وسائل الإعلام الإماراتية التي تحدّثت عن الأسباب التي أدّت إلى هذه الخطوة بشكل مفاجئ.

في المقابل، كان الموظفون يريدون إستئناف عملهم في دبي أمس واليوم بشكل عادي ليصدروا عدداً إماراتياً، على أن يعودوا إلى الإضراب المفتوح غداً الأحد لحين اتضاح الصورة أمامهم وإقامة الاجتماع المنتظر في الرياض لتقرير مصير الجريدة. هذه الخطوة وصفها بعضهم بأنها كانت بمثابة بادرة «حسن نيّة من قبل الموظفين الحريصين على سمعة الصحيفة»، لكنّ هؤلاء فوجئوا بالإدارة تطلب منهم عدم العودة إلى مكاتبهم وبالتالي عدم إصدار العدد الاماراتي. تلفت مصادر لـ«الأخبار» إلى أن الإدارة طلبت من رؤساء الأقسام والموظفين الذين أعلنوا إضرابهم أول من أمس، عدم مزاولة عملهم. هذه الخطوة فسّرت على أنها «ردّة فعل» على الاضراب الذي أقيم وشلّ حركة الجريدة التي كانت حديث الصحافة الاماراتية. على الضفة الأخرى، قرأ آخرون

> «كيديات سياسية» بين خالد بن سلطان وولي العهد السعودي

الخطوة بأنّها قرار ضمني بإيقاف العدد الإماراتي، مع التركيز على العدد السعودي لأنه مدعوم مادياً من قبل السلطات السعودية. مع العلم أن الرئيس التنفيذي لـ«دار الحياة» ابراهيم بادي سافر إلى الرياض قبل ساعات، على أن يعقد اتفاقاً مع القائمين على «الحياة» هناك ويتوصل إلى اتفاق نهائي: إمّا الإغلاق التام للورقي أو دفع المستحقات وفتح صفحة جديدة. في المقابل، صدر عدد «الحياة» بطبعتها السعودية أمس، لكن بصفحات أقل من الأيام العادية. في هذا السياق، تنقسم الآراء حول الأسباب التي أدّت إلى تفاقم الأزمة، مع العلم أنه حُكي في الفترة الأخيرة عن عملية بيع أسهم «دار الحياة» إلى «الشركة الدولية للاستثمارات الإعلامية» التي يملكها الإماراتي منصور بن زايد آل نهيان.

تلك الأخبار توقّفت فجأة وسط كلام عن تعثّر المفاوضات لوجود «كيديات سياسية» بين خالد بن سلطان وولي العهد السعودي محمد بن سلمان، وفق ما يقول مصدر لـ«الأخبار». على الضفة نفسها، يلفت بعضهم إلى أن صحيفة «الحياة» الورقية وصلت إلى نهايتها المأساوية، وبات الكلام عن توقف العدد اليومي السعودي والإماراتي قاب قوسين.

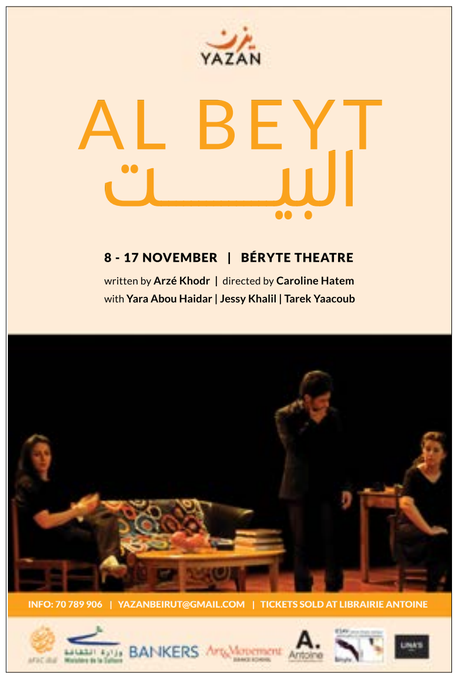

الأخبار
al-akhbar
السبت 17 تشرين الثاني 2018 العدد 3618

صورة وخبر

في عام 2018 ، يحتفل المشهد الفني الفرنسي بأكمله بالفن الياباني. «متحف الفنون التزيينية» ليس استثناءً. لغاية الثالث من آذار (مارس) 2019، يحتضن هذا الصرح الثقافي الباريسي معرضاً بعنوان Japon-Japonismes, 1867-2018 (التأثير الياباني في الفن) يضم قطعاً فنية بارزة، من بين الأهم في اليابان. ومن بين هذه الأعمال الفنية الاستثنائية، مجموعة استعيرت من بلدها الأم مباشرة، لتكون المحصّلة نحو 1500 قطعة، تغطّي مجالات منوّعة، منها: الموضة، والتصميم، والفوتوغرافيا. سيتمكّن الجمهور من الاستمتاع بها في مساحة 2200 متر مربّع، تنقسم إلى خمس ثيمات مختلفة. ويعدّ هذا الحدث جزءاً من موسم Japonisme 2018. (ليونيل بونافينتور ـ أف ب)

تحية إبداعية... إلى «أمّ الشهداء»

زياد عيتاني
ابتسم أنت
في العالم الثالث

في الذكرى الأربعين لوفاة الحاجة آمنة سلامة مغنية، والدة الشهيد عماد مغنية، تنظم بلدية الغبيري، بالتعاون مع جمعية «إبداع»، غداً الأحد «المرسم الفني المفتوح»، تقديراً منهما لـ «تضحيات «أم عماد» الكبرى وعطائها المبارك».
هذه المرّة، يحمل الحدث عنوان «أم الشهداء»، المستوحى من لقب الراحلة التي يخصّص لها هذه المساحة الفنية في قاعة «بلدية الغبيري»، داعياً جميع الراغبين والطلاب من الأعمار كافة للمشاركة، إلى جانب ثلة من الرسامين والموهوبين. تأتي هذه الفعالية، ضمن سلسلة أنشطة تقيمها الجمعية بالتعاون مع البلديات المعنية، لمواكبة مناسبات ومحطات وطنية.

«المرسم الفني المفتوح: أم الشهداء»: غداً الأحد ـ من الساعة التاسعة صباحاً لغاية الثانية عشرة ظهراً ـ قاعة «بلدية الغبيري» (جسر المطار). الدعوة عامة. للاستعلام: 70/901290

بدءاً من 23 تشرين الثاني (نوفمبر)، تنطلق عروض «وما طلّت كوليت» (كتابة زياد عيتاني وخالد صبيح ـ إخراج هشام عدنان) في «مترو المدينة». العمل مقتبس عن الحادثة التي تعرّض لها الممثل اللبناني زياد عيتاني (الصورة) العام الماضي. في إطار كوميدي وموسيقي، تتناول المسرحية «الخفّة التي يتعاطى بها رجل الأمن في العالم الثالث مع الموقوف من دون أي مراعاة لكرامته أو اهتمام بالحقيقة»، مسلّطة الضوء أيضاً على «السعار الإعلامي» من أجل سبق صحافي. إلى جانب عيتاني وصبيح (وقع الموسيقى أيضاً)، يشارك في التمثيل: أحمد الخطيب، وزياد شكرون، وفراس عنداري.

بدءاً من 23 تشرين الثاني ـ 21:30 ـ «مترو المدينة» (الحمرا ـ بيروت). للاستعلام: 76/309363

كلمات

الأخبار al-akhbar

www.al-akhbar.com

السبت 17 تشرين الثاني 2018 العدد 3618

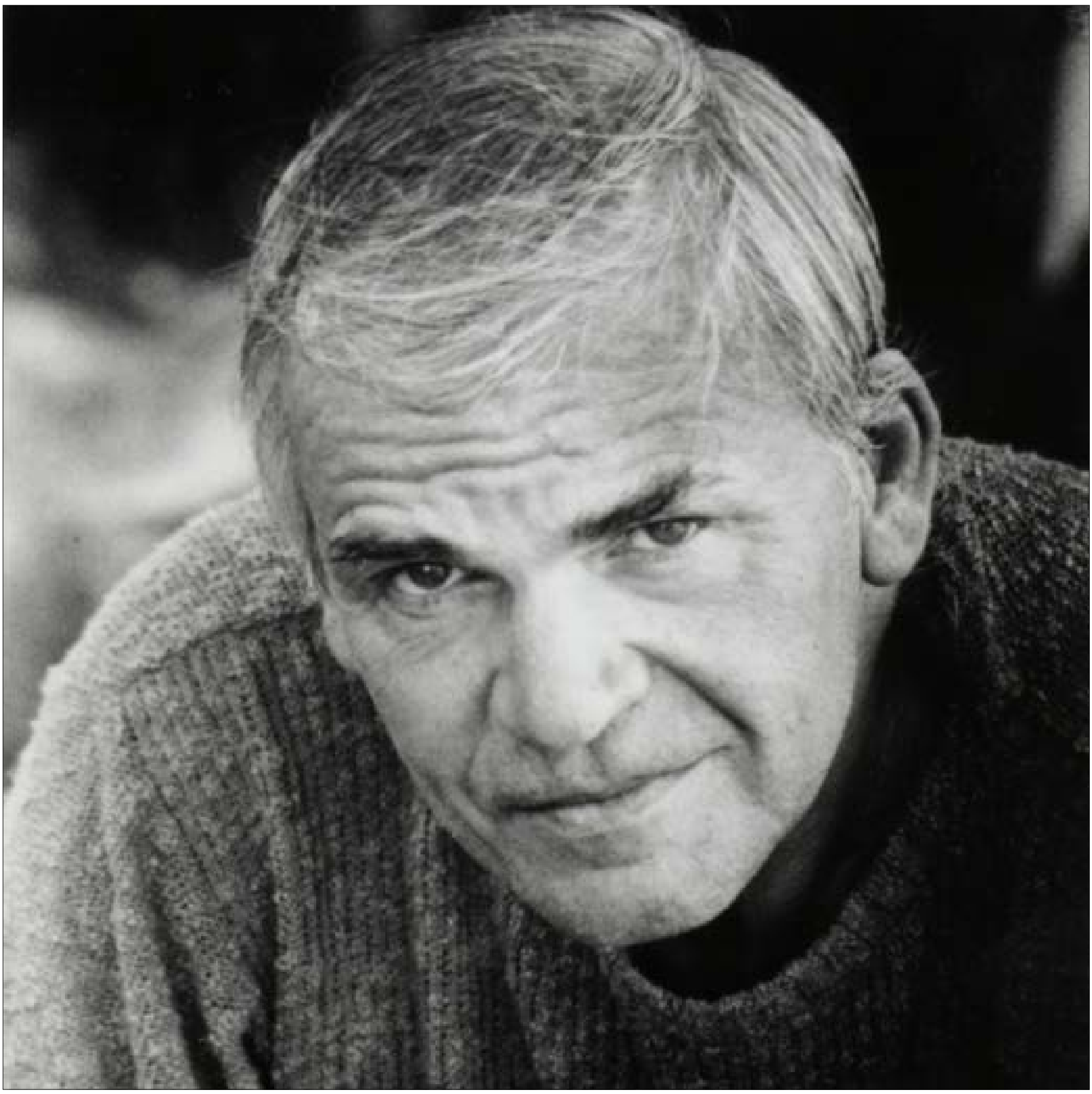

ميلان كونديرا
مصالحة مع الماضي؟

تعود شخصيّات ميلان كونديرا (1929) إلى تشيكيا، لكن هناك ما يظلّ يمنع أي احتمال ببقاء دائم. السنوات الأولى لهجرتهم تشهد على ذلك. كيف تستطيع البلاد أن ترسل في النهار حنيناً لا يحتمل، وفي الليل كوابيس الشرطة السرّية؟ في رواية «الجهل» (2000)، تصبح العودة مرادفاً لمواجهة الذات السابقة، والهرب منها في الوقت نفسه. ترفض صديقات الصبا تناول نبيذ أحضرته معها أيرينا من فرنسا، بينما يبتلعن أكواب البيرة بساديّة، كما لو أنهن يشطبن سنوات طويلة عاشتها في باريس. علاقة جوزيف مع ماضيه خفتت مع الوقت حتى تبدّدت تماماً: «يجب فهم التناقض الرياضي الظاهر للحنين: إنه أقوى في بداية الشباب حين يكون حجم الحياة الماضية ضئيلاً جدّاً». لكن زيارته المتأخرة لتشيكيا ستفاجئه بما هو أكثر قسوة من الرفض أو عدم الاعتراف، ستقابله بالشعور بالخجل مما فعله مع فتاة يعثر على ذكرياته معها في دفتر يوميات قديم. ظلّت تشيكيا، هكذا، كأنها أحد أبطاله أو ديكوراً روائياً يحوي أفكاره ومفاهيمه الفلسفية حول التاريخ والحب والجسد والذاكرة والمنافي، حتى في آخر رواياته «حفلة التفاهة» حول السنوات الستالينيّة. وإذا كانت بوهيميا مكانَ الشباب بالنسبة إلى الكاتب الثمانيني، إلا أن الوطن نفسه، فكرة غامضة جداً كما قال مرّة في مقابلة: «أتساءل إذا كانت أفكارنا عن الجذور، ليست إلا خيالاً نتشبّث به». هكذا، بخلاف أبطاله، لم يرجع كونديرا إلى بلاده حتى بعد سقوط الاتحاد السوفياتي، إلا في بضع زيارات قصيرة. صحيح أنه قبل نيل «الجائزة الوطنية للأدب التشيكي» (2007)، إلا أنه لم يذهب إلى تسلّمها في براغ التي زارها للمرّة الأخيرة قبل أكثر من عقدين. بقي يتفادى بلده وصحافييها ولغتها التي رفض ترجمة رواياته إليها، بعدما ظلّ يكتب بلغتها لفترة طويلة، حتى انتقاله النهائي للكتابة بالفرنسيّة. لكن هذه القطيعة مع بلاده قد تنتهي بعد لقاء كونديرا وزوجته فيرا أخيراً برئيس الوزراء التشيكي أندري بابيش في باريس. إذ دعاهما الأخير إلى زيارة تشيكيا، وعرض عليهما منحهما الجنسيّة مجدّداً بمبادرة رسميّة، بعدما جرّدهما الحكم السوفياتي منها خلال السبعينيات. في ذلك الوقت، كان الشاب الذي تحمّس للشيوعيّة مع بدايات الحكم هناك، قد بدأ يتراجع نحو أمكنة أكثر فردانية في رواياته التي لم تلائم السوفيات. حتى حين هرب بعد ربيع براغ، لاحقته أشباح ماضيه مراراً باستعادة انتمائه السابق تارة، أو باتهامه بالعمل مخبراً للشرطة طوراً.

ملف

ما الذي يأتي برحّالة إنكليزي إلى سوريا وجبل لبنان في منتصف القرن التاسع عشر، ليصرف ثلاث سنوات من عمره، ثم يدوّن وقائع رحلته في كتاب، من دون أن يوقّع اسمه على الغلاف؟! اللافت في كتاب «السوريون المعاصرون» (1844) الذي اكتشفه خالد جبيلي أثناء زيارته مكتبة نيويورك العامة، بحثاً عن كتب دوّنها رحّالة زاروا منطقة الشرق، بقصد ترجمتها إلى العربية، أنه بتوقيع «طالب دراسات شرقية» يتساءل المترجم السوري في تقديمه الكتاب الذي سيصدر قريباً عن «دار نينوى» (دمشق): «إذا كان الهدف من رحلته الاطلاع على أحوال الناس والأوضاع السياسية السائدة في جبل لبنان وسورية عامة، وتدوين ملاحظاته وانطباعاته عنها، فلماذا لم يذكر اسمه لكي يُعترف بفضله، ام كان هدفه تعلم اللغة العربية، ام غير ذلك من الاهداف غير المعلنة للرحّالة؟». ويضيف: «في جميع الاحوال، ستظل هناك اسئلة كثيرة وتكهنات اكثر، ولكن ما يهمنا هو ما دوّنه الكاتب من احداث وانطباعات قد تلقي الاضواء على فترة لم تحظ بالكثير من عناية الباحثين. ولعل الكتاب يوفّر للباحثين والدارسين المهتمين مادة هامة عن تلك الفترة التاريخية». يحمل الكتاب عنواناً فرعياً موحياً «ملاحظات حول المجتمع المحلّي في بيروت ودمشق وحلب وجبل لبنان وجبال الدروز»، وهو ما يكشف المهمة الاساسية من هذه الرحلة الاستطلاعية. عدا اعتناء الرّحالة المجهول الذي حظ في الاسكندرية في طريقه الى بيروت بالتقاليد المحلّية، يركّز اهتمامه على الطوائف والمذاهب والاسر الإقطاعية الحاكمة في المنطقة، كما لا يهمل تفاصيل اخرى بما فيها اصناف الطعام، واحوال الطقس، واعراف مشايخ الحارات، وطريقة تحضير الجنازات، وقوافل الحج، والحفاظات، من خلال وصف دقيق، واسلوب بلاغي رفيع. ولكنه في المقابل، لا يخلو من نبرة استعلائية وتهكمية، في هجاء هذه الطائفة او تلك. هكذا تتكشّف خريطة طريق واضحة عن نمط تفكير المجتمع المحلّي في ظل الخلافة العثمانية للمنطقة، بالإضافة الى اهتمامه بالاطلاع على السجلّات الرسمية في القنصليات البريطانية، والاهواء السياسية المحلّية، يساله احدهم في حلب ان كان رشّاما هندسيا، فيجيبه ساخراً: «انا مؤلف مسرحي، ابحث عن مواقف كوميدية لاد خلها في النص الذي اكتبه». في مفتتح رحلته من رصيف ميناء الاسكندرية للإبحار الى سوريا يقول: «لم يكن بانتظاري سوى جمهرة من الحمير التي كانت تتحشّا والتي كانت ركبها مكسورة، وعيونها دامعة. «الت تمتطي حماري؟» قال احد اصحاب الحمير، «انه حمار جميل يا سيدي، فهو يسير كالسفينة البخارية اللعينة». لكن ما هوية هذا المؤلف المجهول، مستشرق ام جاسوس، ام متخصص في تفكيك الطوائف في المنطقة، لتسهيل العبور الوشيك للاستعمار الاوروبي الذي كان يقف على ابواب للإجهاز على تركة «الرجل المريض»؟ هنا ترجمة خالد جبيلي للفصلين الاول والرابع عشر من الكتاب

تقديم **خليل صويلح**

خالد جبيلي ينقل كتاب «السوريون المعاصرون» إلى العربية

مستكشف إنكليزي في بلاد الشام: طوائف ومذاهب وإقطاع

الفصل الاول *

السفر إلى بيروت من الاسكندرية

بعد سنوات عديدة من الترحال في أرجاء القارة الأوروبية، اعترتني رغبة شديدة لرؤية عجائب الشرق. وفي خضم الدراسات الشرقية التحضيرية، أتيحت لي الفرصة لزيارة منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط، وتمكنت من مشاهدة الكثير من الأشياء الرائعة. وقد أحدث أول مشهد رأيته انطباعاً لا يمكنني أن أنساه ما حييت. فقد دخلت السفينة البخارية الفرنسية التي كنت على متنها ميناء الإسكندرية، الذي كانت ترسو فيه آنذاك الأساطيل المشتركة للسلطان ومحمد علي، التي بلغت خمسين سفينة حربية، منها تسع عشرة سفينة شراعية.

أخذت السفينة البخارية تتباطأ، وبدأت تسير بين صفين من السفن الحربية. وكنت ترى هنا وهناك سفينة ضخمة ذات ثلاث طبقات تجثم بكل ذلك الفخر والبهاء، وروعة الهندسة البحرية. وكنت ترى هناك الحارس واقفاً دون أن يأتي بحركة، جاثماً في مؤخرة السفينة، وحربة بندقيته تلمع تحت أشعة الشمس المائلة للغروب، ولون طربوشه الأحمر يبدو متجانساً مع لون قرص الشمس الغاربة، ووجهه المكفهر الذي يبدو مثل تمثال من الغرانيت الوردي. وما أن رست السفينة حتى غابت الشمس، وبدأت الطبول تقرع من سفينة إلى أخرى، ثم أطلقت المدافع المسائية، وتصاعد خيط رفيع من الدخان متصلاً ستاراً مادياً غطى الأفق الأحمر المتوهج، ورحت أستمع خلال ذلك، ولأول مرة في حياتي، إلى تلك الألحان الجادة والرائعة لأذان الصلاة المنبعث من المآذن على الشاطئ.

ورغم تنوع الموضوع وجاذبيته، فلن أتحدث عن مصر. فلم أمكث فيها سوى الفترة المحددة لي، ثم سرعان ما ودعت النيل والأهرامات ومكتب وكالة باغورن. وفيما كنت أعد نفسي لكي أتوجه إلى رصيف الميناء والإبحار إلى سورية، لم يكن بانتظاري سوى جمهرة من الحمير التي كانت تتحشّا، والتي كانت ركبها مكسورة، وعيونها دامعة.

«ألن تمتطي حماري؟» قال أحد أصحاب الحمير؛ «إنه حمار جميل يا سيدي، فهو يسير كالسفينة البخارية اللعينة». ومن المؤكد، فإنه ليس بمقدورك أن تقارن روبينز الكلاسيكي، وتايرسال العبقري، الذي انتصب برعايته معبد هيجيا إلهة الصحة الأغريقية، في مستنقعات منطقة لينكولنشاير، حيث تصحح الخيول الجامحة والتي لا تتوقف عن الركل لطبقة ولينة العربكة، مع مدرسة الإسكندرية الحديثة.

وخلال الرحلة، لم يكن لدي مورد سوى صحبة زميل مسافر، الذي كان يؤمن بأن القلب الودود والمعدة الدافئة ليسا سوى أمرين متطابقين. إذ كان يزيل المزاج السيئ باحتساء بيرة هوجسون الشقراء، ثم يغسل البيرة بالكثير من البرانديز والماء.

الجامع الاموي الكبير في دمشق في اواخر القرن التاسع عشر ـ تصوير فيليكس بونفيس

وكان جبل وراس الكرمل الشيء الرائع الوحيد في الرحلة، حيث قام صديقي الذي أعلى على نفسه أن ينعش ذاكرتي الجغرافية بلطف، بتعيين موقع الأرض المقدّسة بكل جدية ووقار في أسلوبه. وقد وصلت إلى بيروت في 24 شباط (فبراير) 1841.

تعد بيروت متحفاً شرقياً، مدينة هجينة تضم مجموعة مختلفة من الأشياء. فقد رأيت فيها الكوميديا المرحة للحياة الأوروبية، وغصت بعضاً من الوقت في عاصمة شرقية واسعة، مظلمة الجوانب. ومع ذلك، فهي تعتبر الكنز الدفين للرسامين. إذ كاد المشهد الطبيعي الإيطالي أن يكون قد استهلك. ولا يصعب عليّ أن أتصور أن الفنان لينجلياخ، الذي لم يكن رساماً يعتد به، قد اكتسب شهرته من العبقرية الفطرية للمواضيع التي كان يستقيها من المشرق.

إذ تشمل لوحة المارينا التي رسمها جميع العناصر الرائعة. وهي اسم على غير مسمى لرصيف بحري، يتكون من أعمدة متداعية، ونصب لبيروت القديمة، وتلك القلعة المتداعية المحطمة التي شيدها فخر الدين المعني، التي كانت تتصل ذات يوم بالبابوية بجسر. وعند غروب الشمس، يمكنك أن ترى البحار الذهبية التي رسمها الفنان كلود، ومنحدرات الجبل الهائلة التي كان غاسبار بوسين مولعاً برسمها. ثمّ يا للتنوع في الأشخاص وأنواع الثياب! فالحارس التركي بملابسه الوسخة، والألباني الذي يحمل مسدساً ويرتدي تنورة داخلية، وسائس البغال الجبلي، والرجل الإنكليزي الأنيق من أفراد طاقم المركب الحربي. أما بالنسبة للأشياء الداخلية، فما أجمل ما صوّره Tenirs وOstade عن الخمارة اليونانية التي تشبه الكهف برواداها المشاغبين، أو لوحة دي هوج عن الباحة الخلفية لعائلة مشرقية، حيث تتلاعب أشعة الشمس بقوة على الرصيف الفسيفسائي، وترتد بهدوء إلى الكوة البعيدة، التي تشكّل سحر البيت السوري.

إن نفاد صبري لرؤية البلاد من الداخل جعلني أختصر إقامتي في بيروت، وما هي إلا بضعة أيام حتى أخذت أصعد جبل لبنان باتجاه الماتن. وكان الطريق في بادئ الأمر سلساً متدفقاً، ثم بدأت أصادف منحدرات مختلفة، ثم صخور من جميع الأحجام. وكاد انهماكي في صعود الجبل يجعلني أنسى تعطشي لرؤية مشهد الجبل الذي منحني إياه مشهد رمل الصحراء الليبية ووداعة دلتا النيل. ولم أشعر بأني قد حصلت على مكافأتي لهذا الجهد إلا بعدما تجاوزت عدّة حافات، وأصبح بوسعي أن أنظر إلى صفحة البحر الممتدّة تحتي.

هرعت إلى هضبة مجاورة، وعندها رأيت الشيء الرئيسي في سلسلة جبال لبنان، جبل صنين، الذي تكسو قمته الثلوج. وأخيراً وصلنا إلى أحد الخانات. وربّ سائل ما هو الخان الجبلي؟ وأجيب إنه منزل طويل ذو سقف واطئ؛ وأرضية طينية، وفيه رواق من الخشب الصلب مكسو بأغصان شجر الصنوبر. ولا توجد فيه نافذة ولا مدخنة. وكان ثمة رجل عجوز غير حليق الذقن، يعدّ القهوة للمسافرين في زاوية البيت المظلمة. وكان يبدو في وهج الفحم المشتعل أشبه بخيميائي من العصور الوسطى وهو في مختبره الذي يكسوه السخام بقوة. ويُقدم في تلك الخانات التي تقع على الطريق في لبنان، بيض مسلوق وحليب مخثر، يسميه الأتراك يورت، ويسميه السوريون اللبن، ورغيف مسطح من الخبز الأسمر الخالي من الخميرة. مما يضطر جميع المسافرين الأوروبيين إلى أن يحملوا معهم زوادتهم من الطعام. ولم يكن الدخان في داخل البيت أقل إزعاجاً من الغبار في الخارج؛ وذلك لأن قافلة صغيرة كانت قد وصلت للتو. وكانت الدواب التي أفرغت من حمولتها تجد متعة غريبة في التدحرج على الطريق، وفي حك ظهورها بالأرض ورفس حوافرها في الهواء. وفيما كان السائسون يسقون دوابهم ويعلفونها، اقترب مني بعض الأتراك الجورجيين، الذين قطعوا الطريق من القوقاز سيراً على الأقدام، وأراني أحدهم، بعد أن نزع عمامته، جرحاً جديداً على رأسه أحدثته ضربة بالسيف بالقرب من مدينة حمص، حيث سلبوا كذلك. وقد صدقت ذلك بسهولة؛ وذلك لأن انسحاب عرب الهنادي» من الطريق الذي يصل بين دمشق وحلب جعله عرضة لغزوات من أفراد عشيرة العنيزة، الذين يشغلون المثلث الكبير الذي يشكّله نهر الفرات والحدود الشرقية لسورية وصحراء الجزيرة العربية. إذ إن حكومة السلطان تحظى بشعبية لدى الأعراب أكبر بكثير مما كانت تحظى به حكومة مرة أحد الشيوخ من عرب بني عدوان عن السبب فقال له: «لماذا؟ لأننا الآن نفعل ما نشاء».

كان سائس البغل درزياً؛ ولمّا لم يكن لدي خيمة أبيت فيها، قبلت عرضه عن طيب خاطر بأن أحوّل طريقي وأمضي الليلة في قريته، التي كانت تقع في منطقة الجرد، وتملكها أسرة عبد الملك.

توجهنا جنوباً على طريق دمشق؛ ولدى وصولنا إلى قاع الوادي وجدنا أنفسنا في مكان يشبه القدر، وكنا نسمع صرير طاحونة تبدو بدائية أضافت إلى بؤس المشهد إقفاره: وبعد أن صعدنا بمشقة وصلنا القرية، التي كانت تقع في أرض منبسطة، والكرمة مزروعة على جانبي الطريق.

كانت جميع بيوت القرية مبنية من أحجار مصقولة، يقارب حجم كلّ واحدة منها حوالى قدم مربع، وكانت مرصوصة بعناية من الداخل، ومطلية بالأبيض. ولدى وصولنا إلى منزل مضيفي، أعجبت بنظافته التامة: فقد كانت تكسو الطرف العلوي من البيت سجادة قماشية ذات وبر رمادي، وكان يقبع في إحدى الزوايا مهد طفل رضيع مرصّع باللؤلؤ. وكانت الأرضية مرصوفة بكتل من الأحجار أو الرخام الأسود المنقوشة، يقارب حجم كل منها 18 بوصة مربعة. وكان بجانب إحدى الفتحات المحفورة موقد مبني من أحجار مصقولة، توضع عليه أوعية وقدور عديدة. وكان جزء من القدور معلقاً فوق النار. وكانت المقدمة مخصصة للشواء؛ وكانت هذه الطريقة اقتصادية جداً للتزود بالنار، إذ إنه عندما تسخن الحَجَرة لم تكن هناك ضرورة لإضافة قدر أكبر من الوقود.

بعد أن أفرغنا الحمولة من فوق الدابة التي استأجرتها، ومد مضيفي سجادتي عند الطرف الأعلى من المسكن، بدأت تتوافد مجموعة من الزوار من القرية، فما أن سمعوا بأنني رجل إنكليزي حتى امتلأت الغرفة. وسرعان ما تبين لي أن جميع القرويين يظنون أن الأوروبيين جميعهم على معرفة بفن المعالجة. فقد كانت عين رجل عجوز مصابة بالتهاب شديد، ولم يكن الأمر يتطلب مني مهارة كبيرة لأن أنصحه بأن يبعد عينه بقدر الإمكان عن الشمس. وبالتأكيد فإن العمامة تعد غطاء ممتازاً للرأس في المناطق ذات المناخ الحار، فهي تقي من ضربات الشمس. فكم من أوروبي لقي حتفه لأنه لم يعر أي اهتمام لما أثبتته التجربة العملية بقدر ما يعر الصحراء. وبالإضافة إلى غطاء الرأس، فإن غطاء الجسم، والنطاق الشرقي بطياته الكثيرة، يبعد على الصحة.

لذلك فإننا نقول لكلّ مسافر في مصر وسورية: «ضع حزاماً فوق وسطك» وهي نصيحة «احفظ نفسك من الحمّى والزحار». غير أن العمامة لا تقي، لأنها لا تحمي العينين جيداً. إذ لا بد أن يزداد انتشار الرمد في هذه البلدان، رغم أنه يعزى إلى التعرّض للهواء الليلي، وللرمل الناعم طويل مصر، وللغبار الطباشيري في سورية، وذلك لأن العمامة لا تقي جيداً العينين من أشعة الشمس. ويبدو أن العمامة ذات الحواف العريضة التي يعتمرها اليهود هي أفضل غطاء للرأس قيد الاستخدام في سورية. وبعد هذا الاستطراد نعود إلى الزوار من القرويين. فقد وجدت نفسي مضطراً لأن أجس نبض، وأفحص السنة ما يقرب من عشرين شخصاً. وقد مارست هذه المهزلة بحد كبير لا يمكنني أن أتصوره، وأعقب ذلك مناقشة عامة. وقد انهالت عليّ أسئلة عن إنكلترا؛ وأشار مضيفي إلى بؤس المشهد معلقتين على الحائط، من الواضح أنهما كانتا من طراز براماجيم. «لا جزية بعد الآن، وليحيا الإنكليز!». دوّى صوت في أرجاء البيت.

ورغبة مني في الاطلاع على المنطقة المجاورة قبل أن يحين موعد الغروب، أجّلت الجلسة ومضيت عبر أشجار التوت إلى أحد المنحدرات التي كنت قد وصفتها. وعلى حافة الهوّة الواسعة كانت توجد صخرة هائلة، بدا أنها على وشك، باقل حافز، أن تهوي إلى القاع. إلا أن ما فاجأني هو رؤية العديد من الصبية يلعبون ويقفزون فوقها! وكانوا يتضاحكون وهم يحرّكونها، وللمرة الأولى في حياتي أرى صخرة تتأرجح.

وكما أدركت فيما بعد، فإن رؤية إفرنجي في هذه البقعة النائية من البلاد كانت تكفي لتثير اهتمام الإناث القابعات في الأكواخ المجاورة، وعلى سطوح البيوت القريبة التي تعج بالنساء والأطفال. وكان معظم الشباب يتمتعون بطلعة جميلة؛ وكانت قد اقتربت مني أحدهم وتحدث معي بلغة تركية ركيكة، وكان طويلاً، أسمر وقد اكتسبت ملامح وجهه تقاسيم مخادعة. وكان هذا الشاب قد سبق إلى الجندية، وخدم في الجيش في مصر ومن ثم انتقل إلى ماراش بقيادة إبراهيم باشا؛ وكانت ملاحظاته الماكرة تشبت أن التدريب الذي كان قد تلقاه في المعسكر جعله وغد القرية. قدم لي مضيفي جلسة على العشاء طبقاً من الأرز ودجاجة مشوية مع زبيب، ثم قدم لي القهوة. وبعد الغروب غصّت الغرفة بالقرويين مرة أخرى، وجدّدت معرفتي بالغُقّال. وسُئلت إن كان يوجد غُقّال في إنكلترا؟ فقلت «نعم، يوجد الكثير منهم». «وهل يوجد جُهّال؟» فأجبت «نعم، يوجد الكثير منهم»

الفصل الرابع عشر

انطلاق قافلة الحج

تعتبر دمشق بالنسبة إلى الأوروبيين لؤلؤة الشرق، عقداً من الزمرد، مدينة الصالونات المذهّبة، وخرير نوافير الماء، المحاطة بالأنهار والجداول المتدفقة، وذات الخلوات الظليلة الباردة. وكم من مرة أنساني تغريد الطيور عند الغسق، الذي يدخل السكينة إلى النفس في خمائل دمشق الكثيفة، أهواء وأمزجة الناس العنيفة، ومكائد ودسائس الحكام.

أما بالنسبة للمسلمين، فإن دمشق هي المدينة المقدّسة، المدينة التي تكتسب صفة قدسية أكثر بسبب انطلاق قافلة الحجاج منها إلى الكعبة في مكة المكرمة. ورغم الثورات والاضطرابات التي كانت سورية مسرحاً لها، لم يحدث شيء أبداً أدى إلى تعكير صفو السمات الشرقية والأصيلة لدمشق. فقد وجدت نفسي مضطراً لأن أجس نبض، وأفحص السنة ما يقرب من عشرين شخصاً. وقد مارست هذه المهزلة بحد كبير لا يمكنني أن أتصوره، وأعقب ذلك مناقشة عامة. وقد انهالت عليّ أسئلة عن إنكلترا؛ وأشار مضيفي إلى بؤس المشهد المنطقة، كما لا يهمل تفاصيل اخرى بما فيها اصناف الطعام، واحوال الطقس، واعراف مشايخ الحارات، وطريقة تحضير الجنازات، وقوافل الحج، والحفاظات، من خلال وصف دقيق، واسلوب بلاغي رفيع. ولكنه في المقابل، لا يخلو من نبرة استعلائية وتهكمية، في هجاء هذه الطائفة او تلك. هكذا تتكشّف خريطة طريق واضحة عن نمط تفكير المجتمع المحلّي في ظل الخلافة العثمانية للمنطقة، بالإضافة الى اهتمامه بالاطلاع على السجلّات الرسمية في القنصليات البريطانية، والاهواء السياسية المحلّية، يساله احدهم في حلب ان كان رشّاما هندسيا، فيجيبه ساخراً: «انا مؤلف مسرحي، ابحث عن مواقف كوميدية لاد خلها في النص الذي اكتبه». في مفتتح رحلته من رصيف ميناء الاسكندرية

> بيروت مدينة هجينة رأيت فيها الكوميديا المرحة للحياة الاوروبية وعاصمة شرقية واسعة، مظلمة الجوانب

> رغم الثورات التي كانت سورية مسرحاً لها، لم يحدث شيء أدى إلى تعكير صفو السمات الشرقية والأصيلة لدمشق

إلا أنه لم يكن بوسع أي إفرنجي أن يدخل مسجد بني أمية في دمشق وهو يرتدي زيه الخاص. أما السيد ريتش، فقد كان متخفياً في زي تركي من جورجيا عندما زار المسجد. وبعد انطلاق قافلة الحج إلى مكة المكرمة أعظم يوم في تقويم الدمشقيين. فهو في جميع الأحوال، حدث مميز جداً. وفي حين يسيء سكان القاهرة معاملة المسيحيين والفرنجة الذين يجرؤون وينظرون إلى قافلة انطلاق الحجاج الإفريقيين (رغم أنهم مطبوعون على التسامح من النواحي الأخرى)، فإن الدمشقيين، بخلافهم، يبذلون ما بوسعهم لتشجيع المتفرجين المسيحيين، لتشجيع المتفرجين المسيحيين، بأمل أن يؤدي بهاء وفخامة المشهد إلى إقناعهم باعتناق الإسلام. وفي السنة الأولى من احتلال إبراهيم باشا لسورية، كان المصريون الأكثر تعصبا يسيئون معاملة الكثير من المتفرجين المسيحيين. أما في السنة التالية، فقد أصدر شريف باشا أوامر كفلت الاستمرار في اتباع الأسلوب القديم الأكثر اعتدالاً.

قبل شهر من انطلاق القافلة، تزدحم شوارع دمشق بالجوابين وأبناء السبيل القادمين من البحر الأسود وبحر قزوين وبحر آرال، ومن نسائم القوقاز المنعشة، ومن أبخرة نهر جيحون الضارة، والمناطق الأكثر بعداً من سمرقند. وتكون الدوافع الدينية الحافز الرئيسي للكثيرين، لكن ليس بالنسبة للجميع. وتعد التجارة، بنشاطها ومزاياها، أحد دوافع الحج. إذ يتم تبادل خناجر خراسان بحرائر دمشق. وتعود الجمال التي تنقل إلى مكة الرزّ في رحلتها جنوباً، محملة بنن الموكا. وأثناء فترة الحج تندر الخيول قرش، ويبيعه في الميدان بألف قرش. وفي دمشق تشتدّ الحركة التي تذكّر المرء بمعرض ليبزيك. وترتفع قيمة الغزّي الذهبي، الذي تتراوح قيمته القانونية بين واحد وعشرين وخمسة وعشرين قرشاً، لكن سرعان ما تهبط قيمته حال انطلاق القافلة إلى مكة. ويتحمل الدمشقيون واجبات استضافة الحجاج، دون أن يشكل ذلك عبئاً عليهم، وذلك لأن للمضيف الحقّ في الحصول على نسبة اثنين ونصف في المائة من كل شيء يبيعه أو يشتريه ضيفه الحاجّ. والتجار الإيرانيون هم عادة الأكثر ثراء من بين جميع الحجاج.

بعد وصول قافلة حلب، يُعقد اجتماع يحضره الباشا (الوالي)، وأمير الحج وأمين الصر (أمين خزينة الباب العالي) والقاضي والمفتي وأعيان المدينة، للتباحث في مسألة استئجار الجمال. ولا بعد هذا الأمر مسألة غير ذات أهمية، لأنه بالإضافة إلى الأربعة آلاف حصان، تتطلب قافلة الحج أكثر من ثمانية آلاف جمل. ويبلغ أجر الجمل من دمشق إلى مكة المكرمة عادة ثلاثة آلاف قرش، أما هذه السنة، فقد حُددت الأجرة بمبلغ الفين وخمسمائة قرش بسبب تدني أسعار المؤن. ويبدأ المقيّمون (متعهدو الجمال) الأربعة بطلب ثلاثة آلاف وخمسمائة قرش كأجر للجمل الواحد، ويدوّن الأعيان ذلك على قطعة من الورق، ويسجلون جميع المواد والمؤن التي يتطلبها الجمل - الشعير، والماء، والحداة، والمساعدون، وما إلى ذلك - ويطلبون تخفيض الأجر، ثم يتم التوصل إلى اتفاق وتُعقد الصفقة بعد الاستماع إلى جميع الحجج والمناقشات من كلا الجانبين.

بدأت المراسم التي تسبق انطلاق القافلة يوم الأربعاء. فعند صلاة العصر، حُملت راية النبي الخضراء من القلعة القديمة إلى مسجد سنجقدار، ثم نقلت من هناك إلى السراي بعد الصلاة. وفيما تابعت بعيني هذا الموكب الغريب، وفيما كنت أحدق في المبنى الذي انطلقت منه الراية أولاً، ثم في المكان الذي وضعت فيها أخيراً، رحت أفكّر تلقائياً «بالتقدّم التركي». إذ تذكّر قلعة دمشق التي جلبت منها الراية، ببنائها الضخم وسورها المهيب ذي الفتحات، بالفترة التي قام فيها أتباع سليم وسليمان بتحصين معاقل الفاتحين العرب الأوائل، - بينما يغطي الطلاء والورنيش أبواب السراي الخشبية الرديئة والرقيقة، التي وضعت وفق أسلوب استنبول الهجين، الذي قد تهدمه مجرّد شرارة أو أول نسمة قد تهب عليها، مما ذكّرني بالتركيبة الحالية للقوّة العثمانية.

وعندما اقتربت الراية، هبط أحمد باشا الدرج، وخلع حذاءه، وتقدّم واستلم من السنجقدار الراية المقدّسة، التي قدمّ لها استقبالاً رسمياً. وبعد أن قبّل الراية، حملها على كتفه وصعد الدرج، فيما أطلق المدفع طلقة تحية.

في اليوم التالي، انطلقت قافلة الحج بأبهة عظيمة، وكانت رؤيتها، بلغة ذلك البلد الرنانة، تكفي لتفجير مرارة أسد. والحق يقال، إن اهتمامي بهذا المشهد ينبع من سماته الشرقية التامة، وعدم وجود أي شيء يمكن أن يذكّر المرء بالغرب، سوى الزمرايقة و وبنطال أمير الحج وحاشيته. وعند انبلاج الفجر، كانت المدينة تضج بالحركة بدءاً من الدرويشية وحتى الشارع المستقيم، والطرق الأخرى المؤدية إلى الميدان، التي تكتظ بالمتفرجين وهم يرتدون الملابس التي يرتدونها عادة في أيام عطلهم، وترى الجمال التي تنوء بأحمالها والأشخاص الذين يستأجرونها. وكنت ترى بعض الحجاج يذرفون الدمع وداعاً، إلا أن ارتفاع أصوات الناس الآخرين يظهر أنهم نسوا الغرض الديني لرحلتهم، في نشاط ونفاد الصبر لانطلاقها.

بعد أن حصل السيد وود على إذن باستخدام شرفة تقع على الطريق الذي سيمرّ منه الموكب، قبلت دعوته للانضمام إلى مجموعته، وأمضى يوماً من التسلية والمتعة معهم. وفي الساعة الثامنة غادرنا القنصلية، وكان السيد وود يسير بسبقه ثمانية قواصين يوفرون له الحماية. وقد جعلت خصاله الشخصية، وثقافته الشرقية الدمشقيين يكنّون له مشاعر طيبة.

بدءاً من هذه الساعة وحتى الساعة الحادية عشرة، سار في الشارع صف طويل ومتواصل من الجمال المثقلة بالأحمال، والفرسان غير النظاميين الذين أخذوا يشقون طريقهم بصعوبة. وكان الناس يحتشدون فوق أسطح البيوت والمساجد الكثيرة تماماً كما كانت الأرصفة مكتظة بهم في الأسفل. وفي الحقيقة، لم أر ذلك الشارع الكئيب تغمره البهجة والمرح مثل الآن. وبعد المآء أهم شيء في الشرق. إذ كانت تأتي بين الحين والآخر مجموعة من حاملي الماء. وكانت المدافع التي تعلن بحرها زوج من الجمال، لا تستخدم لشيء سوى حمل أعباء ثقيلة، تدخل السرور إلى نفوس الناس تارة، وتبث الذعر فيهم تارة أخرى عندما تحرن وتجمح وهي سائرة، وحركة سيرها المتعرجة المخيفة تختلف تماماً عن خطواتها المعتادة المدروسة المهيبة. ثم أعقب المدفعية الجنود الأكراد (قوات القوزاق التركية)، برماحهم الطويلة الضخمة، وأرديتهم الهمجية، لكن الرائعة والمزكشة.

تخللت الموكب فجوة. وكان الطقس جميلاً والسماء صافية. واستدرت لأتطلع إلى سلسلة جبال لبنان الشرقية الجرداء بلون الظباء، وقد شطرتها إلى قسمين مئذنة جامع السنانية الخضراء الداكنة المائلة إلى اللون البرونزي، عندها أعلنت مدافع القلعة عن مغادرة أمير الحج والرايات المقدسة. تقدمت فرقة السباهية، ثم لاح شيء ضخم يسير الهوينى: كان ذلك هو المحمل. تصور أضخم جمل في الشرق، جملاً عملاقاً وقد وُضع فوقه صندوق كبير، كسي بقماش من الحرير الأخضر، مطرّز بالذهب والفضة، يكاد يصل حتى حافري الجمل. وكان هذا الغطاء قد صنع في القاهرة في السنة الأولى من الاحتلال المصري، الذي حلّ مكان الغطاء السابق، الذي اختفى بعد الثورة التي قامت ضد محمد سليم باشا. وقد كلّف صنعه ستمائة محفظة، أو شيئاً يقل عن ثلاثة آلاف ليرة. ويبلغ وزن المحمل بكامله ستمائة وستين رطلاً، ثم تلاه السنجق، أو الراية وتلاها أعيان المدينة. وجاء في خاتمة الموكب أمين السر وأمير الحج كارا علي باشا.

وحسب الأعراف المتبعة منذ القدم، هناك ثلاثة أشخاص فقط يمكنهم استخدام البغال لحمل المحفة، أو كما تدعى التختروان، وهم أمير الحج، وكبخياه، وأمين السر الذي يحمل العشرة آلاف محفظة التي ينفق منها السلطان على الحجاج: أما المحفات الأخرى فتعلق بين جملين. وقد أدت السلطانة الثالثة مناسك الحجّ في عربة أوروبية، نظراً لأن الطريق من هنا إلى مكة المكرمة مستو تماماً، ومن المؤكد، فهي أول عربة تذهب إلى مكة المكرمة في التاريخ، وهي العربة الأشهر الإسلامية، فيكون الإعياء مخيفاً. إذ يموت بعض الحجاج في أثناء النهار بسبب ضربات الشمس؛ وبسبب حركة الجمل الغريبة في الليل، يتخيل آخرون وهم في حالة سبات، أنفسهم أنهم في الحمّام، فينزعون ثيابهم التي يستولي عليها البدو في الليل. وقبل وصول القافلة إلى المدينة بثلاثة أيام، يلتقون بقافلة الإغاثة. وليس بإمكاني أن أصف المراسم في مكة؛ ويكفي القول إن الباشا يخلع ثيابه الإفرنجية، ويرتدي الثياب الشرقية قبل دخوله تلك المدينة.

* مقتطفات من كتاب «السوريون المعاصرون» (1844) الذي يصدر قريباً عن «دار نينوى» (دمشق) بترجمة خالد جبيلي

قصائد

رأيتُ غيمةً شاحبةً، سمعتُ مطراً أسودَ

هنادي زرقه *

كانت أمكِ تطبخُ أفضلَ منك،
وكان غسيلها أنصعَ من غسيلك..
كانت حسنةَ التدبير.
لم تستخدم فرشاةَ أسنان،
لكنَّ أسنانها كانت أشدَّ بياضاً من أسنانك..
لم تستخدم كريماتٍ مطريةً لليدين
وكانت يداها أنعمَ من يديكِ.
ينقضي الوقت وهم يعقدون المقارنات بيننا،
أنظرُ إلى دميةٍ متخشّبة في السرير
أدخلُ في تنافسٍ معها.
كيف لامرأةٍ لا تجيد القراءة والكتابة أن تعرف
مقاديرَ ما تضيفه من الملح والبهارات والحُبّ؟
تأكلني الغيرةُ من امرأةٍ لا يعنيها التنافس
ولا تعرف الغيرة!
ماريا التي كان اسمها أمي!

■■■

كلما ماتَ أحدٌ من العائلة
انكسرَ كرسيّ.
هوت شجرةُ العائلة الأمس،
هوت أسماءُ الأسرة المدلّاة من أغصانها.
لم تصدّقني حين قلتُ:
إنَّ الوقتَ قاسٍ
كصوتِ تمزُّقِ جذورِ تلك الشجرة...
تلك الشجرة التي تشبهُ أمي،
أمي التي لا تكفُّ عن شراءِ الكراسي!

■■■

لطالما خبّأت أمي الأحزانَ عنّا في جيوبها كالسكاكر.
كانتْ تزدردُ بعضَها في كلِّ صباح
كبزنا، ولم تفرغْ جيوبُ أمّي.

■■■

تغضبُك أشياءُ كثيرة في الصباح:
الهواءُ الرقيقُ الذي يلامسُ وحدتَك،
العرقُ الخفيفُ في الروح،
صورةُ الميتِ قبالةَ السرير،
موتى العائلةِ على الجدران أنّى نظرتِ،
وتاريخُهم تحمليْنَهُ على ظهرك،
وبيتٌ مقبرة.
كأنك تحرسين الموتَ!
أعدّي القهوة، يأتي الصوتُ الحبيب،
على قيد الحياة أنا!

■■■

سأنجبُ طفلاً، ليس الأمرُ بتلكَ الصعوبة:
أعجنُ الترابَ بدمي،
أنفخُ عليه من روحي،
وأطلقُهُ.
سيكونُ هشّاً لا يحبُّ الحروب،
لكنّه سيحب كثيراً من النساء،
سوف ينادي الموتى جميعاً: يا أمي
لكن طفلي المولودَ من العدم
سوف ينجبُ أطفالاً خضراً،
عيونهم على التجربة
وأقدامهم في العاصفة.

■■■

«مقطوعةٌ من شجرة»
قالت لي متسولةٌ عجوز.
أنظرُ إليها، أتخيلُ ما كان يمكنُ أن تكونه هذه السيدة:
آلةً موسيقية:
عوداً أو كمانـاً...
ونظراً إلى نحولها وبحّة صوتها المحزّنة، كان يمكنُ أن تكونَ ناياً...
وما الذي يمنعُها، بوصفها مقطوعة من شجرة،
من أن تشعلَ حريقاً في نفسها؟
ما الذي يمنعها، كي أكونَ أشدَّ لؤماً، من أن تكون
خازوقاً يخترقُ مؤخرةَ هذا العالم؟

■■■

كبرتُ بما يكفي
حتى غدوتُ أشبهك.
هربتُ سنواتٍ من أسمك،
وحين كانوا يناديونني: بنت الأرملة،
لم يكن يزعجني اللقب... كان لوني أسمرَ
كلون أمي.
لكنهم، مذ تخطيتُ الأربعين،

غويا «ساتورن يلتهم أحد ابنائه» (جداريه ـ 1819-1823)

وهم يحدّقون في وجهي؛
يقولون: لكِ عيناه وفمه،
طويلةٌ مثله،
حتى إنه توفي في مثل سنّك تقريباً.

■■■

بندولُ الساعةِ الذي يتحرّكُ بين الجدارين الخشبيين
يحسبُ أنّه يحرّكُ الزمنَ،
وأنّه مسؤول عن تعاقب الأيام والسنين.
بندولُ الساعة السجينُ في الصندوق
يخبطُ رأسَه بالخشب،
من دون أن ينتبه أحدٌ إلى يأسه من الرتابة...
كم يشبهني!

■■■

أتدرَّبُ على العمى كلَّ يوم.
أحاولُ التعرّفَ على أماكن الأشياء مغمضةً.
في الطريق، أحفظُ الحفر،
مواضعَ حاويات القمامة،
أماكنَ بيع التبغ وسواها.
أخفقُ في تحديد مواقع الحواجز،
لا أرى البنادق
لا أرى الموت
لا أرى المدينة،
أتدرَّبُ على العمى:
ظلّي يستلقي قبالتي على السرير.
كأنّهُ خلايا الجسدِ وهي تتساقطُ تباعاً
مثل شهب.

■■■

نعواتٌ جديدةٌ على الجدران.
لم يتوقّفِ الموتُ إذاً.
يمضي الصباح متثاقلاً على عكّازين،
أحاولُ أن أجمعَ النهارَ المهشّم
أشدُّ عقبَ الثواني من أذنه: توقَّفْ!
يلدغني الوقت ويقرُّ مسرعاً.
أما من عقارٍ مضادٍّ للتقدّم في الموت؟

■■■

هل أبقطعُ أنينَ الجبال؟
الجبالُ الشاهقات
أدواءٌ متشقّقةٌ
جفَّ فيها الحليبُ،
تلدُ الأطفالَ
وتلقي بهم في فم الموت.

■■■

الفتى الجائع على الرصيف
الذي شدَدْتَ من كمِّ قميصك منذ أربع سنواتٍ طالباً منكَ ثمنَ سندويشة فلافل
ليس غير؛
الفتى ذو العينين الخضراوين
الذي تمنيتَ لو كنتَ أمَّهُ
لتلعقي دموعه الساخنة التي بلّلت أصابعك؛
هو الشابُّ نفسه الذي رأيتِ صورته اليوم
على ورقةِ النعي:
ركلتِ الحربُ دموغه،
لم يبقَ سوى الملح على الرصيف.

■■■

نلهو بثلاثة حروف:
باء،
راء،
حاء.
بحر
رحب
حبر
ربح
كم نحن طيبون!
لم نعرف أننا بثلاثة حروف يمكن أن نحرق بلداً برمّته.

■■■

الموتى بأرواحهم العارية
يتدافعون نحو السماء،
الأرواح سيزيف يقارع الصخرة!

■■■

أعرفُ أشياءَ كثيرةً تشبه الحزن:
كأن يتسلّلَ فأرٌ صغيرٌ إلى سريري
فأطيلَ التأملَ فيه
وأفكّرَ: هل أقتُلُهُ،
هذا الذي اكتشفَ سرَّ وحدتي
وسريري المهجور؟
أراقبُ يديَّ الملطّختين بالدم،
أراقبُ وحشيّتي التي ازدادت في السنوات الأخيرة،
ثمَّ أبرزُ لنفسي:
هو حيوانٌ ضارّ
كان سيقرضُ ذكرياتي الحميمة،
ولعلّه كان سيحضر عائلته إلى هذا السرير المهجور!
ولعلّهُ كان سيمعنُ في الثرثرة عليّ!
أرأيتَ أيّ قسوةٍ تعمّدت
حين هجرتَ سريري؟

■■■

لكنتُ أحببتكَ أكثر
لو طرقتَ نافذتي بذاك العنف
الذي طرقَ به المطرُ الخائفُ بابَ البيت.
لكنتُ أحببتكَ أكثر لو كنتَ وحيداً
ومهزوماً
مثل غيمةٍ هاربةٍ من شتاءٍ قاس.
لكنها الحربُ هزمَتْنا جميعاً،
جعلتني أحبُّ كثيرين
لا يتقنون سوى الغياب!

■■■

رأيتُ في الحلم يداً مقطوعةً تلوّح لي:
تعالي!
استيقظتُ،
لم أرَكِ في السرير،
كانت يدكِ آخر ما رأيت.

■■■

أرتدي كنزةً عليها غزلان تعدو،
تتوقف الغزلان عند حافة جسدي،
ترنو إلى السهل القريب،
وأنا أمعنُ النظر إلى الأسد الرابض في جسدك.

■■■

يرمقني بطرف عينه
كي يتأكّدَ من ارتدائي قميصه المفضّل.
تزهر البراعم المرسومة على القميص،
أشجّعهُ بنظرة: مُدَّ يدَك... اقطفِ الأزهار.
يمدُّ يده... ثم يعيدها،
يصير نحلةً تحطُّ فوق القميص،
يتنقّلُ من زهرة إلى أخرى
يمتلئ قميصي بالنفاح
ويسقطُ من فرط الحمل.

■■■

يا لخيبتك، نصبتِ الفخاخ لنساء غيري
ولم يقع فيها أحدٌ سواي.

■■■

كانا والرغبة في السرير
حين وقعتِ الحربُ مثل قذيفة طائشة.
ارتديا ثيابهما على عجلٍ
وفرّا فراراً،
في ما كانت الرغبةُ تلفظُ أنفاسها
وحيدةً.

* سوريا ـ من ديوان بالعنوان نفسه صدر حديثاً عن «دار النهضة العربية»، بيروت، 2018.

سرد

لوذوانّيي زوسو ـ «الحلم» (زيت على قماش ـ 1910 ـ تفصيل)

أحلام

زياد جبيلي *

كانت الرؤيا تقول صوراً عن دمار يليه دمارٌ يليه دمار، وكان أطفالٌ هم أجنّةٌ في بطون أمّهاتهم ولأنها رؤيا صاروا أطفالاً لا يعرفون من الحقيقة سوى البكاء ونقص الحليب والبرد، وكنّ نسوةٌ لا يعرفن من الثياب سوى لونِ أسود باهت من كثرة ما غُسل ثم نُشر ثم لُبس، وكان ارتجافٌ يهزّ برؤوس الآباء فلا يكتمل منامٌ معهم ولا يعرفون ماذا يقولون إذا كبرت الأجنّة وصارت أطفالاً ثم شباباً، وصاروا يسألون آباءهم: «بأي ذنبٍ ولدت».

لكنّ الحكاية ليست هكذا، لا يجب أن تبدأ بـ « كان» مثلاً، يمكن أن أبدأ بفعلٍ حدث في الماضي وما زال مستمراً حتى الإدراك هو التمحيص في أشياء لم تكن تعني شيئاً، وصارت بمجرد بزوغ شعر فوق الشفة العليا وتحت الإبط وفوقَ العانة واضطراباتٍ ليليةٍ ترافقها نساء الحيّ العاريات، صارت الأشياء البلهاء في السابق أشياءَ تعصّر فوقها ويبدأون بالتلويح كلّما التقت العين بالعين ناسين حين يكبرون نفس اليد التي لوحت سابقاً مع فارق الابتسامة أيام ركوب القطار والدمعة حين ينخلع القلب في هذه الأيام.

الخيال يشبه الواقع ولا يكونه، الخيال أجمل، لا يترك للحياة أن تعبث بمفاصل اليوم ولا يسمح لها بكسرنا مرتين فوق بعض في نفس الحلم على الأقل، الخيال لعب الطفل مع أبيه في مدينة الغاب يملكها جدّه، وحكواتيٌّ يخترع حكاياً ليس فيها غيلانٌ ورصاصٌ وصيدٌ وانفجارات وسماءٌ داكنة، الخيال سماؤه دائماً زرقاء، ولأنها زرقاء يحب الصغارُ الصيف.

الحب إدراكٌ وفي الإدراك غوايةُ المعرفة وصوت الرجال وشهوة لم تخطر ببال، الإدراك هو التمحيص في أشياء لم تكن تعني شيئاً، وصارت بمجرد بزوغ شعر فوق الشفة العليا وتحت الإبط وفوقَ العانة واضطراباتٍ ليليةٍ ترافقها نساء الحيّ العاريات، صارت الأشياء البلهاء في السابق أشياءَ تعصّر فوقها مدناً وأحلاماً وحمّى دائمة تشغل الوالدة ولا تدري السبب، الإدراك يكسر الظهر فيستكين بلا حراك، السكون سابقٌ للحركة في أي زمانٍ وأي مكان، إلا هنا، السكون يأتي ثانياً، لا لشيءٍ إلّا لأنّ إدراكك الذي هو حركةٌ بأي حالٍ كسر ظهرك فصرت سكوناً على أبعد تقدير، السكون هو الخيبة من كثرة ما انكسرت أحلامك فصرت تهزّ رأسك كلّما قيل لك: «بكرا أحلى». وكأنّك تسامح من يهزّ بعقلك وبكل ما كُسر فيك، تُسامح فقط حتى لا يُقال: «تغيّرت»، المسامحة هي الصفح ولا تعني الغفران، وربما كانت تعني، ليس لي طاقةٌ لأبحث عنها الآن وأنا أفكّر بصاحب الدكّان الوحيد في الحي حين رفع سعر الحليب وجعل أطفالي نصف جياعٍ فحرمهم النوم بسبب معدةٍ نصفُها ممتلئ، ساخبر طفليّ حين يكبران وأدعهما يستردّان دينهما من أولاده، الصفح لا يعني الغفران أبداً، لي في رقبته ليلةٌ مع زوجتي حرمني منها جوع طفليّ، وعقلي الذي سبق فعلي فكبّله وربطني داخل بيتي حين كان يجب أن أُفلت.

أن تعقل يعني أن تنضج، النضج هو الهدوء في المشي والكلام وردود الفعل واتخاذ القرارات - حتى لو كانت خاطئة -، العقل ألّا تنشغل بالجزئي البسيط المهمل الغائب المغيّب المنسي غير المشاهد، وأن تكون مع الكلّي الكبير الحاضر المذكور المرئي الموجود الدائم، أن تكون مع الكمّ لا مع النوع، مع القدرة لا مع رجفة اليدين أثناء الدعاء، العقل أن تنسى أن لك عقلاً هنا، وتقلّد مجانين مدينتك ثم تتأكد أنها الطريقة الوحيدة لتجاهل ملائكةٍ أهم صفةٍ تجمعها هي البلادة، تراهم في الشوارع والدكاكين والمقاهي والبيوت وغرف النوم ومواقع التواصل الاجتماعية، في مكان آخر سأقرّ أن الشياطينَ ملائكةٌ غابت عنها عين الرقيب، وأحب الملابس التي تُلبس على وجهين وأفضّلها في مواجهة طقس لا يعترف بالتصنيف، ويقرّ بالحرارة المفاجئة والحبوب والماء البارد على الجبين والسهر على حمّى ليست لك وليست لغيرك، هي طارئٌ فقط والطارئ يزول مهما دام بقاؤه، هذا آخر كلام قلتَه قبل أن تذهب في نوم عميق وتترك من تسهر عليه بلا رفيق، في كلّ ذهاب تفكيرٌ باتٍ، وحنينٌ لماضٍ، هذه الثنائية لا يمكن لها أن تزول وفي كل ثنائيةٍ جسدٌ مهدورٌ بين خيارين والشيب وحده من يحصي الخسائر.

في حكايةٍ قديمة كان هناك فتاة تنتظر فارساً على حصانٍ أبيض يأتي ويتزوجها، وكانت تغنّي كل مساء أمام مرآتها كي لا يخطئ العنوان ويحمل جارتها التي تحمل نفس اسمها، ولأن كل الحكايات جميلة لم يُذكر أن صوت الفتاة شابَ من كثرة ما انتظر، والأمير صاحب الحصان مات بطلقة قنّاص، والقصر في الحكاية لم يكن إلا أغنيةً تجفف الوسادة قبل النوم.

لا أعرف كيف أنهي نصاً بدأ بدمارٍ يليه دمارٌ يليه دمار، وأنتهي بزوجةٍ مؤجّلةٍ لم تر زوجها إلا في المنام فصارت أرملة.

الأفضل أن أضع نقطة هنا فقط والآن.

* سوريا

دفتر يوميات كاتالانية

سمر دياب *

فتحت باب الصباح، دخل نهار تائه.
صباح الخير أيها الليل البعيد.

■■■

وجدت علاقة مفاتيح في الشارع فيها حرفا A و M وتحمل مفتاحين. التقطتها وجلست في البار القريب لربما يمر صاحبها وتُحسب لي حسنة. في الأثناء، اخترعت أسماء وسيناريوهات كثيرة وأنا أحدق بها. استقريت أخيراً على متخيّلَين، لدينا هنا البرتو وماريا، يحبان بعضهما ويعيشان سوياً. ماريا تحب النباتات الخضراء في المنزل، والبرتو يعمل مدرب سباحة، أو مهندساً، أو عاطلاً عن العمل الآن، ثم يحدث شيء ما على الطريقة الهوليوودية المعروفة، كأن تصاب ماريا بالجنون حين تبدأ نباتاتها بالحديث معها والغناء ولا يصدقها أحد، ويوقع البرتو مفاتيحه وهو يهرع إليها. وقبل أن أضيف وأحذف في رأسي، وصل صاحب المفاتيح وهو يجول بعينيه في الأرض، كان فتى بائعاً بعينين رماديتين وقد شكرني كثيراً. إلى اللقاء البرتو.

■■■

ربما كان علي أن أدس ورقة في جيبه أخبره فيها أن النباتات حقاً تتحدث مع ماريا.

■■■

لأسلوب هو بيضة القبان في ميزان الأمور وهو قادر على حسم النتائج في أحيان كثيرة، وكما هو في الأحداث والوقائع كذلك في الكتابة لا يقل جوهرية عن الجوهر، إنه شكل عيش الانفعالات والحياة وشكل تقديمها، فنٌ لن يتقنه وهوية أفراد ومجتمعات ونتاجات.

أكتب هذه المقدمة وعيني على أساليب التأنّق في الحفل القذر لأنفسنا المنهارة.

■■■

في مكان آخر ما، تطير الصخور لتتزوج الغيوم/ ثم تمطر تماثيل تطأ الأرض وتتحطم/ هذا المكان كيف أصل إليه؟

■■■

تأتي القوة من مكان غالباً ما يكون نقطة الضعف التي تقضي حياتك وأنت تحاول أن تمحوها وتتجاهلها . هي دائماً الخوف، من المواجهة، من الموت، من الحياة، من المراصير، من الألم، الفشل أو الضمير. اذهب إلى فناء حياتك الخلفي ستجد أكواماً من القوة التي تكاد تصدأ، تكفيك لتستيقظ كل صباح وتعاود كرّة هذا العدم من جديد.

■■■

رؤض الإنسان نفسه بمهارة، ورغم أنه لا يزال يحمل السوط في يلاطه لكنه لا يزال أيضاً يربي الوحوش في قبوه مثلما تربي الفئران صغارها.

لو أن أحد الموتى يعود ويخبرنا ماذا هناك لربما هدأنا، لكننا مرعوبون ونسقي الشر دموعنا، وسنفعل أكثر من هذا بعد.

■■■

سيبدأ الناس بالتجمع تحت شرفتي بعد قليل. المطر الذي لم يتوقف منذ ساعات لا يعني شيئاً هنا. سيعزفون ويغنون ويسكرون ويرقصون مثل كل ليلة سبت. أحياناً أنضم إليهم وأحياناً أكتفي بالوقوف على الشرفة أسمع وأرى، وأحياناً أغلق الباب بإحكام وأضع صوت حيتان في أذني.

لكني الآن لا أحب البحر ولا الزحام. أظنني سأقف الليلة على الشرفة.

انتوني تابييس ـ «الروح الكاتالانية» (مواد مختلفة ـ 1971)

■■■

السماء اليوم غائمة وهائمة على وجهها مثل عبارة «تقنيات الشعر». على ذكر الشعر، فهو لا يستطيع أن ينقرض لأنه شكلٌ جوهري للروح وغيابه يعني شكلاً ميتاً للحياة، لذلك حتى الطغاة والقساة والمجرمون أحبوا الشعر وكتبوه. أنا أيضاً أحب الشعر وأكتبه، إنه أمر يسمح لي بالوحدة متى أشاء على الأقل، وبفضح العالم ونفسي انتقاماً أو حماساً. بالعودة إلى السماء، فالنظر إليها يثير شهية الشعر دائماً ومهما كان حالها. كل هذا الصمت الشاسع فوق رأسي، وطيور جارحة وحيدة هناك، حتى الطائرة تبدو مثل قصيدة. لكن هناك أيضاً سماء الحرب. كان علي ألّا أتذكر سماء الحرب.

* سوريا/ لبنان/ برشلونة

سيرة ذاتية

سحر خليفة: لقد قلت الطيّب والقبيح بالصراحة ذاتها!

نسرين حمود

تنتاب القارئ الحيرة، حين يقع على كتاب سيرة عربي، إذ إنّ البوح من دون ضوابط، وتعرية الذات إلى الحدّ الذي يكشف عن دواخل الكاتب، من دون «روتوش» ليس بأمر سهل في مجتمعات تطول فيها لوائح العيب والحرام. كما أنّ صعوبة الكتابة عن الذات يصدق خالص تتضاعف، حين يكون صاحب السيرة قد بلغ مبلغاً من الشهرة، من دون إغفال حياء بعض الكتاب من مشاركة أسماء أخرين شاركوهم لحظات حميمة في حياتهم. لذا، قلّما يقع القارئ على «صدف سعيدة» او سير فيها من التعرية والحقيقة وفضح الذات، على طريقة جان جاك روسو في الاعترافات: «لقد قلت الطيّب والقبيح بالصراحة ذاتها، فما حذفت شيئاً من القبيح، ولا انتحلت أي طيّب بهتاناً». أضف إلى ما تقدّم أنّ غالبيّة السير العربية انتقائيّة، وتتجاوز مراحل عدّة في حياة كتّابها، ولا سيّما الطفولة. في «روايتي لروايتي» (دار الآداب ـ 2018)، تتفلّت سحر خليفة (1941 . نابلس) من كتابة سيرتها بصورة «كرونولوجيّة» من دون أن تتجاوز البوح الجريء، في إطار سرد سيرة روايات أربع لها، بحيث تغوص في الـ«مايكينغ أوف» لها، وتُعرّج على محطات معجونة بالمرّ والكدّ في حياتها، التي بيّنت لها أن «الكاتب ليس امرءاً ذا قدرات خارقة، بل هو ابن بيئة تهيّئ له أجواء وتوحي له بما يمكنه أن يعيد تصوير الواقع أو تشكيله أو ترميزه».

تستهلّ خليفة سيرتها الأدبيّة من حادثة طلاقها، التي كتبت لها عمراً جديداً. فقد عانت الروائية الأمرّين من زوج مقامر لم يتوان عن تعنيفها، وخرجت من سنوات الزواج الثلاث عشرة، وفي عمر الثلاثين، بابنتين ومستقبل مبهم. زواج مدبّر عرفت خلاله معنى قهر الرجل، ووصلت إلى خلاصات غير منمهجة عن التربية البطريركيّة، حيث العائلات «تتعطر ببول الذكر»، وتوليه الأهميّة القصوى، وتُذلّه وتقنعه أنّه الأرفع شأناً، وتقوم بكلّ الأعمال بدلاً منه، وتوليه صغيراً حكم أخوته البنات.

خليفة سليلة آب وجيه وثري من نابلس كدّ في عمل الميكانيكا، وتزوّج امرأة ثانية في عمر بناته، وأم «مقموعة» لأن بطنها لم تنتج سوى البنات (ثماني بنات عاشت من بينهن ستّ). وحين جاءها الذكر، ومن فرط التدليل، أُصيب في نخاعه الشوكي نتيجة حادث سيّارة فشُلّ، وأمسى قعيد كرسي مدولب.

تكنّ الروائية الامتنان لرجلين أثّرا في مسيرتها الأدبيّة: التشكيلي الفلسطيني الراحل اسماعيل شموط، الذي أعجب برسومها (كانت تمتهن الرسم الحر خلال مراهقتها، ثمّ تخلت عن الأمر بعدما حطّم زوجها الكانفاس مراراً أثناء مشاجراتهما، فلجأت إلى كتابة الشعر فالرواية، حيث أن إخفاء نتاجها الأدبي أسهل وأوفر مادياً). وبعدما استمرّجت رأيه في كتاباتها، نصحها شموط بالبحث عن «ظرف خاص يساعدها في الإنتاج والإبداع وتكوين بوصلة توجهها، حتّى لا تقع في المحظور وتكرّر عادات الجو العام وممارساته». والثاني هو حلمي مراد «مكتشفها» وناشر روايتها الأولى «لم نعد جواري لكم» (1974). وقتها، أرسلت المخطوطة له، حين كانت لا تزال متزوجة، تسكن في ليبيا مع زوجها، فتنبأ لها بأنّها ستمسي «فرخة بكشك»، أي روائية نجمة، علماً أن للروائية عملاً كتبته أثناء سجنها الزوجي في ليبيا وسمّته «بعد الهزيمة» لم يبصر النور، إذ صادره الحاجز الإسرائيلي أثناء محاولتها نشره في عكا.

بعد الرواية الأولى (والطلاق)، تسجّلت في جامعة بيرزيت التي كانت تشهد غلياناً طلابياً. هناك كتبت «الصبّار» (1976) التي تناولت فيها مسألة العاملين الفلسطينيين في المصانع الإسرائيلية، بعدما استصدرت تصريح عمل إسرائيلياً، وتخفّت في ملابس عاملة لتعاين الواقع عن كثب. ثمّ كرّت سبحة الروايات، من «مذكرات امرأة غير واقعية» و«عباد الشمس» وتوظّفت في جامعة بيرزيت، قبل أن تسافر إلى أميركا وتنال الدكتوراه، وتتعرّف إلى حياة الأميركيين العرب، ممّا ألهمها روايتها «المبرات».

تُشرّح روايات خليفة العلاقات بمشرط سوسيولوجي: علاقة المرأة بالرجل، والمرأة بالمرأة، والفلسطينيين بالاحتلال، مع خلاصات لا تتبنّى أي وصفة جاهزة، ولا تتوانى حتّى عن تقصيص أفكار اليسار التقدّمية، التي كانت متاح لطروحاتها التي تتحدى المجتمع. إذ أثارت حكاية امرأة من الطبقة المتوسطة، ذات تعليم متوسط، تعاني انفصاماً بين ما يقال وما يفعل، وبين ما ترجوه من حرية اختيار الزوج في الوقت المناسب والحياة التي يطلبها المجتمع منها.

في الفصل الأخير من «روايتي لروايتي»، تجربة خليفة في الجنوب الأميركي، حيث لبّت دعوة برنامج الكتاب العالمي المنبثق عن «جامعة أيوا» قبل أن تتابع دراساتها العليا في «جامعة شابل هيل» الأميركية، وتتعرّف إلى الحلم الأميركي ببريقه وزيفه، وتترك طوعاً هذه البلاد التي ألهمتها «الميراث» عن الرجل العربي الذي يعرف الترقي الاجتماعي والعلمي والانخراط في المجتمع الأميركي، من دون أن يتخلّى عن التربية الأولى، فالعودة إلى شرنقتها فلسطين مع الانتفاضة الأولى (1987).

جريئة خليفة في الحديث عن تجربتها الزوجية الفاشلة، ووقوعها في الحبّ ثانية، وتشكيكها الدائم في نفسها كروائية. هي تضرب على أوتار حساسة حين تقول إنّ المرأة . وحتّى يحسب لها الحساب ـ عليها أن تهمل مظهرها، وأن تتخلى عن الكثير. هي واضحة في تعويلها على البورجوازية (ثبت أنّ المرأة من أصول بورجوازية صغيرة او متوسطة، وبسبب حصولها على مستوى تعليمي معقول، هي السباقة إلى الوعي بدونيّة وضعها، والتمييز ضدّها بسبب أنوثتها)، وداحضة بالبراهين كل الاتهامات لها بتبنّي الأفكار الليبرالية الغربية الخاصة بتحرير المرأة. صدمة هزيمة 1967 شكّلت وعيها، حين احتكّت بعشرات الألوف من المهجرين الفلسطينيين، وعاينت عن كثب وضع المرأة ومهانتها وكسلها وسوء تقديرها وتبلدها الناتج من ظروفها، التي تعتقد (أي المرأة) أنّها غير قابلة للتحسّن، كما وضع الرجل المثقف الذي يكتفي بالتنظير، من دون أي تصرّف مادي يُعوّل عليه أثناء المحن. وكلمة حق في الزعيم جمال عبد الناصر الذي «كان الأنبل والأخلص، على الرغم من خطئه المغفور لأنه اجتهد ولم يفلح». في انتظار صدور الجزء الثاني من «روايتي لروايتي»، هذه سيرة أدبية جديرة بالاحتفاظ بها في المكتبة.

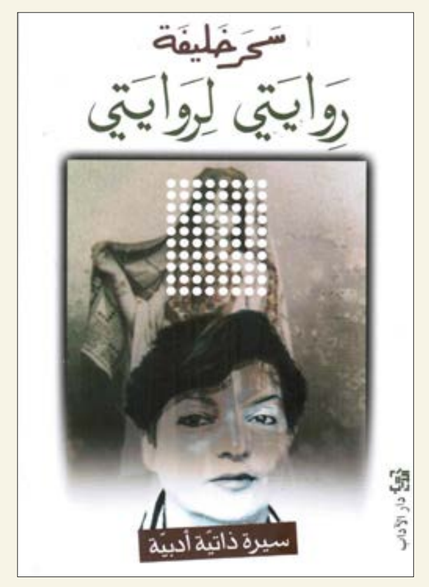

تُشرّح رواياتها العلاقات بمشرط سوسيولوجي

وفي سبيل ترتيب أولويات النضال، تضع حقوق المرأة في مرتبة أدنى من التحرير من الاحتلال الإسرائيلي. تفيد بطلات روايات خليفة بأنّ قلّة من النساء مستعدّة أن تعرف شظف العيش في سبيل التحرّر من علاقاتها الزوجيّة الفاشلة. وفي الروايات أيضاً، هناك نقل لـ«استخفاف» المرأة البروليتارية (سعدية في «عباد الشمس») بالمناضلة النسوية المنتمية إلى البورجوازية الصغيرة أو المتوسطة (رفيف). فالأولى قد تصل إلى الهزء بالثانية، وتصوير لزيف المثقفين الذين لا يعرفون من تحرير المرأة سوى الحرية الجنسية (عادل الكرمي في «عباد الشمس»). وفي الرواية المذكورة التي عرفت نجاحاً، إضاءة على «الشرف» الأنثوي الذي يتحكم بمجتمعاتنا، وكيف أن الغالبية ما زالت تضحي بالشرف الوطني في سبيل الحفاظ على الشرف الأنثوي.

دقّ قلب الروائية للحب ثانية، بعد الطلاق، ممّا ألهمها «مذكرات امرأة غير واقعية» التي أبصرت النور في 1986، بعدما كتبتها سنة 1980، وقد تأخر صدورها جراء صعود نجم الإسلاميين في جامعة بيرزيت، فكان الواقع غير

لمحات

وضّاح شرارة

بعد إسهامات عديدة في نطاقات البحث والنقد السياسيّ، يضم الكاتب والأكاديميّ اللبنانيّ وضّاح شرارة (76 عاماً) إصداراً جديداً إلى رصيده تحت عنوان «أحوال أهل الغيبة: خاتمة الأحزان والمراثي» (الريس ـ 2018). في هذا العمل الذي يضم أبرز مقالاته التوثيقية، يستعيد شرارة عدداً كبيراً من رواد السياسة والفن والصحافة والشعر والأدب، مسلطاً الضوء على مسيرتهم والأواصر الشخصية التي جمعته بهم. متفادياً أساليب الرثاء التقليدية، ينقب في مآثر هؤلاء الراحلين وإنجازاتهم، متوخياً بذلك تفنيد الحقبة الممتدة من مطلع الثمانينات حتى عام 2015.

جورج حجّار

في «الثوري التائه في عالم متحوّل» (دار الفارابي ـ 2018)، ينطلق الكاتب والأكاديميّ اللبنانيّ جورج حجار من تجاربه الشخصية بين كندا وأميركا، كما الكويت والعراق ولبنان، ليدأب من بعدها في تشريح البنى الاجتماعية والاقتصادية التسلطية المتجذرة في الربوع العربية، مقدماً العديد من الرؤى الاستراتيجية والتغييرية في سبيل إحداث انقلاب نوعي في الوعي العربيّ للسير على درب النهوض والتحرير

علي السقّا:

بعد باكورته الروائية «حي السريان» (دار الفارابي ـ 2016)، يعود الصحافي والكاتب اللبناني علي السقا ليطوّع بـ «باب الصخر» (2018) الصادرة عن الدار نفسها. ضمن حبكة مطعّمة بالفانتازيا، ينشغل السقا في تجريد الحب من معيقاته الاجتماعية والعقائدية التقليدية، مؤكداً أن الصلات التي تُضفر بهذا الرابط الإنسانيّ لا يمكن أن يشتتها ظرف ولا رادع.

وإذ تخترق مقادير الحياة والموت سيرورة عشق البطلين (يولس وفاطمة) في محطات متفرقة من القصة، إلّا أن ذلك ليس سوى دلالة على قوة الإعجاز الذي يجمعهما.

خُصيب أيّوب

وافداً من عوالم الكتابة الصحافية، خط صهيب أيوب روايته الأولى «رجل من ساتان» (دار نوفل ـ 2018). مستلهماً أحداثها من الواقع المدينيّ المُعاش، ضمن سياق قصصيّ مثقل بصراعات الهويات الجنسية والحب والخيبة، يرصد أيوب التحولات التاريخية والسياسية والاجتماعية التي طرأت على المجتمع الطرابلسيّ على مر السنين، متوغلاً في حيوات شخصيات جُبلت بأوزار من الشفافية والحرفية. بدهاليزها المكتظة وحكاياها التي لا تنتهي، تواظب المدينة على ترويض قاطنيها وإعادة تكوينهم، من دون أي نية في الانكفاء.

نوتشيو اودرينه

بعدما نُقل إلى خمس عشرة لغة أخرى، ينضمّ كتاب «لوجه ما لا يلزم» (2013) للفيلسوف والأكاديميّ الإيطاليّ نوتشيو أوردينه (60 عاماً) الذي يعد واحداً من أبرز الباحثين في حقبة النهضة الأوروبية، إلى المكتبة العربية عن طريق «دار الجديد» اللبنانية. في المانيفستو الفلسفيّ المصغّر، يركب أوردينه عربة التاريخ متقمصاً شخصية الأكاديميّ الموسوعيّ الشهير جوردانو برونو (1548ـ1600) الذي قُتل بتهمة الهرطقة، ليقرأ في مفاهيم «اللزوم» و«النفل» و«الجدوى» و«اللا جدوى»، مشرحاً معانيها وتأثيراتها على شتى المضامير الإنسانية كالفلسفة والأدب والفن والعلوم.

بوب بيشور وودورد

بعد 44 عاماً على تفجيره فضيحة «واترغيت» التي أطاحت بالرئيس الأميركي السابق ريتشارد نيكسون، عاد الصحافي الاستقصائي بوب بيشور وودورد (75 عاماً) بإسهام جديد تحت مسمى «خوف: ترامب في البيت الأبيض» (شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ـ 2018). العمل الذي يشكل باقة للقاءات ووثائق وملفات ومذكرات تخصّ الحاكم الحالي، يسلط الضوء على سياسات ترامب القومية وعلاقاته بكوريا الشمالية وأفغانستان وإيران والصين وروسيا والشرق الأوسط، كاشفاً النقاب عن معلومات سرية تطال إحدى خططه باغتيال الرئيس السوري بشار الأسد.

مذكرات

إيلاريون كبوجي... مناضل حمل صليب فلسطين وآلام شعبها

منى سكرية

بالعباءة الكهنوتية السوداء، أوفى المطران إيلاريون كبوجي (1922-2017) نذوره الكهنوتية لفلسطين «بما يشبه الوجد الصوفي»، وفق ما جاء في الصفحة 34 من كتاب «المطران إيلاريون كبوجي: ذكرياتي في السجن» للكاتبين سركيس ابو زيد وأنطوان فرنسيس (دار آبعاد ـ 2018). الكتاب ـ الوثيقة شهادة لذكريات حوارية (عام 1979) رواها المطران للكاتبين بعد عامين على خروجه من السجن في إسرائيل بتهمة «تهريب السلاح». ففي 6 تشرين الثاني (نوفمبر) عام 1977، خرج المطران من سجن العدو الإسرائيلي الذي دخله فجر 18 آب (أغسطس) 1974. ثلاث سنوات أمضاها خلف القضبان من أصل 12 سنة، بعدما تدخّل قداسة البابا بولس السادس مباشرة في قضيته.

ولأن من شروط إطلاقه يومها عدم السماح للمطران كبوجي (1922 ـ2017) بالتحدث لأي وسيلة إعلامية عن فلسطين، كان للذكريات ـ الكنز أن تدخل عتمة الأدراج حقبات أربع، بقيت خلالها شمس كبوجي ساطعة كما قولةُ الحق، وكما قولةُ الحق والشهادة به ولأجله، ولأجل فلسطين. أوليس في كلامه ما يختصر كل الكلام، هو الذي قال: «يوم سيامتي الأسقفية، وضع ربُّنا في عنقي أمانة هي فلسطين والفلسطينيين. ويوم الحشر سوف يحاسبنا حساباً صارماً على الأمانة. فعلاوة على عروبتي، إن واجبي وضميري يفرضان عليّ خدمة القضية، والا أكون أخللت بواجبي، والواجب هو الحد الأدنى المطلوب من أي إنسان عنده ذرّة من شرف ودم. ولا فضل لي للقيام في الواجب، وبالتالي لا فضل لي في خدمة قضيتي الفلسطينية كرجل دين وليس كرجل سياسة» (ص399).

ليس في ما نقرأه طيّ صفحات الكتاب مجرد ذكريات، وليس من قال الرواية مجرد شخص حكّاء، أو هاوٍ في تطويع لغة الضاد لغزارة ما يملك من موهبة الكلام. فبين الراوي وروايته فعل قول وعمل عنوانه مقاومة.. سيرة رجل أعطى للمجد تعريفاً مشرقاً منذ مشى بعباءته السوداء أزقة القدس، ومذ أذهله الإجرام الإسرائيلي أيام دراسته في القدس في سنوات ما قبل النكبة عام 48، فـ«كان بداية انخراطي في القضية الفلسطينية»، وتكرس اقتناعي بـ«أن المسيح كان الفدائي الفلسطيني الأول».

وعلى طريق المسيح، حمل صليب القضية وآلام شعبها، ومزج بين عمله الكهنوتي التوعوي، وتقديم الإعانات للمنكوبين، وتعاونَ مع الرهبان والراهبات وبعض السكان على دفن الموتى إثر احتلال العدو للقدس والضفة الغربية عام 1967، و«كنت أصلي على أرواح الشهداء مع أحد المشايخ في أن واحد قبل دفنهم»، وفي حضّه الناس على الصمود والبقاء.

يروي المطران المقاوم، الثائر روحاً وعقلاً وقلباً وغضباً، أن هزيمة الـ67 «بدّلتني من الداخل، وغيّرت مجرى حياتي»، وأن «أسئلة كثيرة تصارعت في داخلي»، لكنني «اخترت الطريق الأصعب، طريق النضال، وسلكت درب المقاومة».

كبوجي المطران على القدس، تسللت إلى أعماق إنسانيته أخبار عمليات المقاومين، «فقررت أن أشارك في المقاومة وأقدّم ما أستطيع من موقعي المحصّن في مطرانية القدس»، كاشفاً عن عقده الاجتماعات في المطرانية، فـ«... أسست أولى خلايا الداخل في مدينة القدس»، و«قررت أن أنقل أسلحة فعّالة من الخارج إلى الداخل لتنشيط العمليات الداخلية»، وقد «قامت الخلية التي أسّستها بعمليات عدة قبل اعتقالي، وكنت على علم بها».

غيض من فيض روح ثائرة ومثابرة على مقاومة الاحتلال الإسرائيلي، «فمددت يدي إلى القضية ووضعت طاقتي في خدمة شباب أبطال أرادوا أن يتصدّوا لمحتل مغتصب»، كاشفاً عن «العنصر الفعّال في العمل المقاوم في الداخل، ويدعى مصطفى أبو فرّاس، وعن التنسيق معه، ثم مع أبو جهاد، وعن عمليات توضيب السلاح في سيارته أثناء وجوده في بيروت لنقله عبر الناقورة إلى الداخل، وعن الثلاثين كيلوغراماً من المتفجرات المخبّأة في داخل غطاء محرك السيارة، وقصة تأخر حضور خبير متفجرات إلى القدس لتفكيكها حسب المتفق عليه في بيروت، لكن...»، هذه الـ«لكن» التي تقضّ أنفسنا غضباً، تجعلنا نطرح التساؤلات التي تقارب الظن الآثم عن مرحلة ثورة اخترقتها الثقوب السوداء بالخيانة والترهل، ولم يكتب عنها بعد نقداً وتقييماً. لكن المطران كبوجي لم يكشف في سياق روايته للكاتبين لماذا لم يحضر الخبير ـ المقاوم؟

يقتصر توصيف المطران وتعليقه على اكتشاف العدو للأسلحة في سيارته صبيحة 8 آب (أغسطس) 1974 بالقول: «أصبت بالدهشة. كان يعرف مكان وجود الأسلحة بالضبط، كأنّ أحداً أخبره، أو كأنه شاهدَ توضيبها بأمّ عينه. حتى هذه الساعة، لا يزال هذا الموضوع سرّاً غامضاً بالنسبة إليّ! وما زلت أتساءل كل يوم: كيف عرف الإسرائيليون مكان وجود السلاح؟ من أخبرَهُم بذلك؟ كلّ هذه الأسئلة لا تزال الغازاً بالنسبة إليّ. وحتى الآن، بعد خروجي من السجن، لم أتوصّل إلى تفسير منطقي كامل لها» (ص 72 و73) واقتادني الإسرائيليون إلى مركز المخابرات وبدأ التحقيق».

كانت مرحلة ثانية ومتلاقة في مسيرة المطران كبوجي: «لقد دخلت السجن عن سابق تصوّر وتصميم» (يا الله!). مرحلة عزم وإرادة وعنفوان، فحاكَمَهُم بدل أن يحاكِمُوه، لكنهم حكموه بصلافة إرهابهم لا أكثر، «فقد كنت أريد أن أجعل من زنزانتي منبراً لقول الحق في وجه الباطل»، وفعلها ابن حلب. فعندما سأله بعتب السفير البابوي كيف أنت المطران، مطران القدس، تفعل ما فعلت وتهرّب أسلحة؟ أجابه بصوت جازم: «بعملها وبعمل أبوها!».

ثمة من أقواله وآرائه ما يجعل من ضمائر من ماتت ضمائرهم فيما لو قرأوها أن يستذكروا أن المطران كبوجي كان أكثر من مطران مقاوم، أو ثائراً لاستيفاء حقوق المظلومين. كان قديساً باعه ـ لا ندري من ورنجو أن نعرف من؟ ـ بثلاثين من فضة. من هذه الأقوال ومن رحم تلك التجربة: «التكتم سر النجاح، الصلاة جهاد، كنت طليعياً في الغضب والهدوء من كرهي أن أكون تابعاً، عندما تم توقيفي عملياً ارتحت، وعندما صدر الحكم لم أنزعج. كنت في حالة نفسية مختلفة تشبه الانخطاف الروحي خارج إطار الواقع المحسوس. لا يدرون مع أي نوع من الرجال يتعاملون. الحقيقة أنني قمتُ بتهريب صواريخ الكاتيوشا إلى القدس. تُهم لم أنكرها، ولماذا أنفي هذه التهم ما دمت لا أشعر بأي ذنب؟ كنت أشعر أني أقوم بواجبي وأعرّي العدو الإسرائيلي من خلال محاكمتي. التضحية بالنسبة إليّ تعني السعادة. كنت في حرب تحدّ بيني وبين أعدائي. لقد بلغتُ درجة من الترفّع عن الجسد جعلتني لا أشعر بالألم، بل على العكس كنت كلما شاهدت نفسي أذوب أشعر بالسعادة أكثر. في السجن فقدت الأمور المادية معانيها، واكتشفت ألواناً جديدة للسعادة يصنعها خيالي وأنسج ضحكاتها من ذكرياتي وأجملها في القدس ولبنان».

إذا كان المطران كما يذكر (لم أعرف ما هي الشروط التي فرضتها إسرائيل على الفاتيكان لإطلاق سراحي. لم أرَ أيّ نص مكتوب. لم أوقّع أيّ تعهّد)، فإننا نعرف ونشهد أن عباءة سوداء جلّلت هذا المقاوم، وتجلّت معه أنوار مقاومة.. إلى اليوم. إلى يوم تحرير كامل تراب فلسطين. تحقيقاً لروح المطران الفدائي!

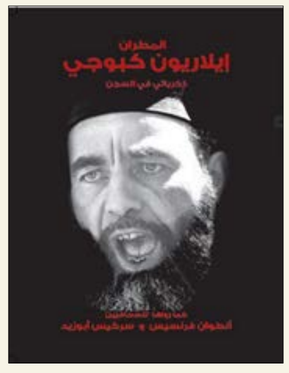

تكرّس اقتناعي بـ«أن المسيح كان الفدائيّ الفلسطينيّ الأول»

رواية

جون بيرجر: الجنس والحرية والجنون

سومر شحادة

يعرض الناقد والروائي البريطاني جون بيرجر (1926ـ 2017) في روايته «جي» (1972) التي انتقلت أخيراً إلى العربية عن «دار المدى» (ترجمة شادي خرماشو)، رؤية كاشفة تُخرج الإنسان من تعقيدات العقائد والأفكار والشرائع، ولا تعيده إلى الغرائز بقدر ما تحرره بالامتثال لها. في الرواية الفائزة بجائزة «بوكر» 1972، يتّخذ جون بيرجر زاوية مغايرة وهامشية لقراءة أحداث كبرى في مطلع القرن العشرين، باستخدام شخصية غير فاعلة ولا متأثرة بما يدور حولها. شخصية ولدت ونشأت في ظروف خاصة، يتخذها الناقد البريطاني أداة كشف عميق لبنى وعلاقات وأشكال اجتماعية ساكنة، أداة تخريب لهذه البنى، وسعي إلى التحرر من منظومة ذكورية تتركّز آثار تشوّهه لدى المرأة، وتجعل من رجل تلك المرأة المشوهة رجلاً مشوهاً بالقدر ذاته، لتنطوي حرية المرأة على حرية شريكها بالضرورة. إلّا أنّ التحرر من هذه المنظومة، لدى بيرجر، يتجسّد في الجنون، في هتك المقدس وتدنيسه. تشهد الرواية لحظات عنيفة وانفعالية. أفكار تولد عن الأفعال وثقافة تُكتسب عبر التحرر. تتحدث الشخوص بمفردات سلوكية، ويبرز الراوي ليحلل سلوكاً جنسياً أو ليوضح موقع بطله من الأحداث المختلفة. إنّ الراوي لا يقود السرد، لا يصف الشخوص بإسهاب ولا يتحدث عنها، وإنّما يظهر رفيقاً لها لا مبتكراً. يساعدها على النمو، يساندها كي تعبر العثرات ويرمم ما يفوتها، يتحدث عن عالمها الداخلي النفسي، ليكون كلّ فعل في الرواية دوراً يؤدي في مسرح للحياة والحب. يذكر بيرجر منطقة السردي ويساعد عبر إشارات عدة في تفكيك ذلك المنطق، إذ يشير إلى أنّ «رغبة الكاتب بالاستمرار حتى النهاية تقتل الحقيقة». لذا نراه يحتال على الوصول إلى نهاية من النوع الذي تتوحّد فيه المصائر، ويبحث عن وحدة أخرى تجمع مسارات السرد. تتركز هذه الوحدة في سلوك «جي». إنّه سلوك مستقر لا ينمو أو يتطور وإنّما يتجلّى في حياة النساء وتغير علاقاتهن. لا ينهي بيرجر أيّاً من مصير الشخصيات النسائية التي عرفها «جي»، يعبرن حياته في انفعال مؤقت، لتمتدّ الصفحات على بطل متجانس ومعزول. إنّ جي تلك الروح المثابرة التي تزرع الشغف في حياة من يعبرها من دون أن يعرف استقراراً أو سكينة، ويجد في الارتحال والتخلي سكينتَهُ.

يمثّل الفعل الجنسي ذروة جميع العلاقات التي يسردها الراوي، سوى أنّه ليس فعلاً مجرداً أو عاطفياً وحسب، وإنّما بدءاً من العلاقة غير الشرعية التي جمعت والدي جي، ثم معرفته الحب لمربيته وهو طفل، وممارسته الحب للمرة الأولى مع خالته، ولاحقاً رؤيتها في جميع النساء اللواتي عرفهن طيفاً يتعزز مع الزمن. إنّ ذلك الفعل الجنسي الذي يظهر غالبة في حياة جي، ما هو سوى وسيلة للقول والرفض والإدانة. يسعى الراوي عبر تعقيبات كثيرة إلى تحليل هذا الفعل وتحميله قضايا فلسفية وموضوعات نفسية، ولا تتوقف آثار تلك النشأة الشاذة التي نشأها جي منحىً خاصاً لصنع إشارة ذاتية. بينما يعتقد الطباريون أنّهم يصنعون التاريخ، يكتفي جي بصناعة متعة طارئة وحقيقية. يدفع بالخادمة إلى إنكار الثقافة التي لا تتوقف عن تكرار أصداء الخطيئة في نفسها. فيما تعلم أنّ عليها الحفاظ على نفسها من أجل خطيبها ووالدتها ومن أجل الرب وبينما الطائرة تحلق، لم تعد الخادمة، أمام جي، تلك المرأة نفسها، وإنّما صارت امرأة تمنح ذاتها لرجل يشعرها بخصوصيتها، لينتهيا من الحب فيما تتحطم الطائرة على أطراف الآلب. تلخّص هذه المرأة مواقف مشابهة في النص مع زوجات أصدقائه أو غرمائه، وسط ثورات الغضب في الشوارع أو أخبار الحروب والهوس بصنع البطولات. لم يتوقف جي عن السعي وراء نساء كثيرات، حيث تقف امرأة واحدة ومعزولة، يشعر بها ويلتمس قرباً منها. بدا بيرجر حريصاً على تحليل العقلية الفصامية لنساء يمتلكن ذاتاً مراقبة وذاتاً مراقَبة، ليبرز منظاراً جنسانياً وذكورياً. يخلّص المرأة من طبيعة صنعها تفكير سلطوي ذكوري، ويعيدها إلى طبائع حرة. إنّه يكتب لامرأة صُنعت من التراب لا من ضلع أحد، ولا يكتفي باستعراض أفكار وعرض نظريات، وإنّما يستغل هذه الحالة الفصامية فنياً ليتدفق النص براما صادقة ومنفعلة وتلقائية.

يبحث جي عن الصمت وسط الثرثرة، يسعى وراء حقائق بدائية وسط قلق التساؤلات النظرية. يمثل مشهده وهو يرقص الفالس مع فتاة منبوذة وسط حشد من النبلاء ذروة ثوريته الاجتماعية، بينما الموسيقى تصدح ودوائر الفالس تتسع وتضيق. لا يتوقف جي عن توجيه الإهانة إلى ثقافة سائدة، عندما يرقص جي الإيطالي مع فتاة سلوفينية، فهو ينبذ عنصرية الإيطاليين، مستخدماً ذاتَهُ الحقيقية في سبل خطيرة ومهلكة، لتتراجع الأفكار مجدداً ويعيد بيرجر للأفعال دلالتها الصاخبة في نَصّ ملهم ومتدفق.

زاوية مغايرة وهامشية لقراءة أحداث كبرى في مطلع القرن العشرين

أوراق

تشينوا اتشيبي الأدب محتفِلاً

هل ثبتت في يوم من الأيام صحة نظرية المركز والأطراف في الأدب والفن والثقافة؟ هل قدم المستَعمِر إلى بلادنا وإلى الأصقاع الأخرى في أميركا الجنوبية وأفريقيا وجزر أوقيانيا والمحيطات، حاملاً إليها الأنوار مع السيوف، والحرف والنغم واللون مقابل ذهبها ونفطها وثرواتها؟ كيف قابلت ثقافات الشعوب المستعمَرة الرجل الأبيض؟ وهل بادلت تشكيكه بإنسانيتها حقداً مضاداً ونزعة ثأرية مدمّرة؟ هل يقبل الرجل الأبيض بـ«مجال أوسع للرؤية» وبالنظر إلى الأمور من زاوية مختلفة لما يظنه الأجمل والأفضل في الحياة والفن والأدب؟ أسئلة كثيرة سيجيب عليها النيجيري تشينوا اتشيبي (1930ـ2013) الذي يعتبر أحد أهم الكتّاب في القرن العشرين. قال عنه نيلسون مانديلا إن «مخالطة كتاباته تسقط جدران السجن». رواية اتشيبي الأولى «أشياء تتداعى» ترجمت إلى أكثر من 50 لغة وتم الاحتفاء بها في العالم أجمع. في كتابه الأخير «تربية الطفل المكلل بالتاج» («آكت سود» الفرنسية ـ 2013)، يجمع اتشيبي ما يشبه المانيفستو من الأقاصيص، والحكايات والمقالات النقدية التي تشكل نصوصاً ممتلئة بالذكاء الحاد والفكاهة تخلط التأملات الفردية بالقضايا السياسية والاقتصادية. يضع اتشيبي قصته الشخصية وتاريخ نيجيريا والقارة السمراء بأسرها ليجيبنا على الأسئلة الصعبة، ويدعو لبناء عالم جديد متنوع ومتنور، يكون فيه للشعوب المستقبل ذاته، وإن لم تتقاسم الماضي القريب والبعيد، وليكون الأدب احتفالاً بكل ما هو إنساني

ترجمة وإعداد **محمد ناصر الدين**

منذ سنوات، كنت من بين عصبة صغيرة من المدعوين من قبل هيئة الفن الإيرلندي للاحتفال بألفية مدينة دبلن. كانت التظاهرة تحمل عنوان «الأدب كاحتفالية». العنوان سبّب مشكلة لبعض الزملاء، أمّا أنا، فقد ناسبني تماماً: لقد لخّص بكلمتين حقيقة بخصوص الفن تتداخل بانسجام تام مع إرثي التقليدي. كما إنه يتلاءم بشدة مع ذوقي الشخصي في هذا المضمار. صبيحة مداخلتي، نشرت صحيفة «آيريش تايمز» مقالة مهمة سمّاني كاتبها المحب بـ «الرَجل الذي اخترع الأدب الأفريقي». استفدتُ من التظاهرة الشعبية التي وفّرَها الاحتفال كي أنفي نفياً قاطعاً هذا الزعم. اليوم، وقبل أن يظن أحدكم أن هذا النفي لم يكن إلا تواضعاً من قِبَلي، أعلنُ أمام الملأ أني لست متواضعاً البتّة. كلا، إن نفيي هو انحناءة غريزية أمام نوع من التابو الخاص بأسلافي، الذين يمنعهم، مخافة أن تحيلهم الآلهة مباشرة إلى العدم، من أن ينسب أحدهم لنفسه ولو جزءاً ضئيلاً من تراث جماعي، أطلق عليه شعب الإيبو الذي أتحدر منه في نيجيريا اسم «مباري». تقليد «مباري» كان احتفالية عبر الفن، بالعالم ومن يسكنه. المشاركون كانوا أعضاء من الجماعة ممن يتعبدون لإلهة هذه الجماعة، المسماة بآنا أو «آلا»، أي إلهة الأرض. كانت «آلا» تلعب دورين رائعين في مجمع آلهة الإيبو، أوّلهما أنها منبع الخَلق فوق الأرض، وثانيهما أنها الحارسة للنظام الأخلاقي في الحياة الإنسانية. من وقت لآخر، وبكثير من السرية، كانت هذه الإلهة تطلب من الجماعة عن طريق النبوءة، أن يبنوا على شَرفِها بيتاً من الصُوَر. كان الكاهن يجوب القرية ليطرق على أبواب من اختارتهم «آلا» لخدمتها. بسرعة، يصبح هؤلاء المصطفَون مباركين وينعزلون عن بقية الجماعة، ثم ينطلقون نحو الغابة. وتحت الحراسة الشديدة والإشراف المباشر لأفضل الحرفيين والفنانين، يشرعون في بناء معبد للفن. من الناحية الهندسية، كان البناء بسيطاً: مسرح مؤلف من جدران ثلاثة كبيرة، تحمل سقفاً مدبّباً. بدل الأرضية، كانت هناك درجات تنطلق من الجدار الجانبي لترتفع حتى تحاذي السقف متكئة على الجدار الخلفي. الأوديتوريوم كان ممتلئاً حتى السقف بالتماثيل المصنوعة من الآجر، والجدران مكسوة بلوحات من ألوان بيضاء وسوداء وصفراء وخضراء. في الصف الأول وعند منتصفه تماماً، كانت تقف الإلهة نفسها، حاملة طفلاً على فخذها الأيسر وسيفاً في يمناها. أنصاب أخرى كانت تمثل شخصيات بشرية، وحيوانات، وشخصيات من الفولكلور والتاريخ، مشاهد من الغابة، مشاهد من القرية والحياة العائلية، وقائع حياتية يومية، أو فضائح مدوية، شذرات من احتفالية «مباري» سابقة، وأشياء تعرض للمرة الأولى... كل ذلك يتزاحم ليجد مكانه كاستجابة لما يستدعي كل الخبرة والخيال للنوع الإنساني. عندما ينتهي العمل، وبعد أشهر وأحياناً سنوات من التحضير، يقوم أولئك المنذورون للاحتفالية ممن اعتزلوا الناس بدعوة القرية بأكملها، ويتم اختيار يوم لتقديم طقس «مباري» الاحتفالي مصحوباً بالرقص والموسيقى والولائم. المشكلة التي طرَحَتها كلمة «احتفالية» للزملاء في ألفية دبلن أظنّها انبثقت من خلل في الرؤية. بالنسبة لي، طقس «مباري» كان يوسع الرؤية ويفتحها على معانٍ تتخطى تذكّر لحظات الفرح البسيطة وبعض الأحداث المبهجة. كانت الاحتفالية تتعمد أن تضم خبرات أخرى، أي كل ما يلاقيه الإنسان من محطات مشبعة بالمعاني أثناء سفره عبر الوجود، وبالأخص منها تلك التي تحمل جديداً، وبالتالي تحمل خطراً محتملاً. وهكذا، مثلاً، حين ظهرت أوروبا وسط شعب الإيبو عبر الحكايات التي كان يرويها المسافرون عن الشخصية الحقيقية والمقلقة لضابط المقاطعة الأبيض، كان فنانو «مباري» يحجزون لهذا الأخير محلّه وسط تماثيل الآجر، دون أن ينسوا الغليون وخوذته المسنّنة. كانوا يتركون أحياناً مكاناً لحصانه الحديدي، أو حتى لدراجته. في عقلية الإيبو، يجب على الفن، في واحدة من وظائفه، أن يروّض كل ما هو متوحش، أن يتصرف ككابح الصواعق حين يشكل سداً أمام القوة المدمرة للكهرباء فيسوقها نحو الأرض ويمنعها من الأذى. يؤمن الإيبو بقوة أن كل قوة نجهلها، نكتمها، نرفض أن نعترف أو نحتفي بها تصبح مصدراً للقلق والتشتت. بالنسبة لهم، الاحتفاء هو الاعتراف، لا الاستضافة، بوجود أو كينونة ما. إنه نوع من اللباقة التي تعطي كل ذي حق حقّه. وهكذا، لم تكن احتفالية «مباري» نوعاً من الإعجاب الأعمى بعالم مثالي أو عادل. كانت اعترافاً بالعالم كما يراه فعلياً سكّانه، في أحلامهم وتخيلاتهم. لم يكن ضابط المقاطعة الأبيض مدعاة للضحك أو الرقص. لكنه كان وحيداً في ذاته،

> **أقترحُ عليكم طقس «مباري» هذا كنموذج لفنّ ما قبل الاستعمار، للفن كاحتفاء بالواقع، للفن في بعده الاجتماعي**

مثل أي ذات أخرى تثير القلق: مثل رجل مغطى من الرأس حتى أخمص القدم ببثور الجدري، المرض الذي كان يثير التوجس ويتم التهامس بكونه «يزيّن ضحاياه». أقترحُ عليكم طقس «مباري» هذا كنموذج لفنّ ما قبل الاستعمار، للفن كاحتفاء بالواقع، للفن في بعده الاجتماعي، للاحتمال الإبداعي في كل منا ولحاجته بأن يمارِس دون انقطاع هذه الطاقة الكامنة فيه بالتعبير الفني وفي تظاهرات جماعية وتشاركية.

الآن يمكنني أن أحدثكم قليلاً عن إرثي الاستعماري. ولأن الحديث عن الاستعمار معقد نوعاً ما، هناك أمر واحد مؤكد: لا يمكننا مصادرة أرض إنسان ما، أو شخصيته، أو تاريخه ثم الجلوس لتأليف وتلحين أناشيد باسمه. من يتصرف كذلك هو مثل قاطع الطريق الذي يستحق أن نسميه باسمه دون مواربة، ما العمل إذن؟ نخترع عندها أعذاراً معقدة لتبرير أفعالنا. نقول مثلاً إن الإنسان الذي استعبدناه لا يساوي شيئاً وأنه غير قادر على إدارة نفسه بنفسه، أو إدارة شؤون بلده. إذا كنتم منشغلين بأشياء ثمينة تسلبونها من أرضه، مثل الذهب والماس، تنهمكون بإثبات أنه لا يمتلك هذه الثروات بالفعل، وأنه صودف وجوده وإياها في المكان ذاته حين وصلتم إليها. وأسوأ من هذا كله، تتجرأون حتى على سؤال أنفسكم إذا كان هذا الشخص هو حقاً، مثلكم، من صنف البشر. ليس هناك إلا برزخ واهن بين رفض الاعتراف بإنسان ما يعيش فوق أرضه وبين وضع إنسانيته موضع التشكيك. من هنا، لم يكن برنامج المستَعمِر ليقيم شيئاً من الاحتفالية بعالم المستَعمر، على العكس تماماً من الاحتفالية الإشكالية والإيجابية التي كانت تقابل بها أفريقيا وجود الرجل الأبيض في طقس «مباري». لقد استخدمتُ لمرات عدة كلمة «وجود». وأؤكد هنا، أنه في القضية الاستعمارية، الوجود كان هو المسألة الحساسة، الكلمة الرمز. من زمن العبيد وحتى اليوم، مروراً بمرحلة الاستعمار، يمكننا إعداد قائمة طويلة وكاتالوغ غني بما قد تم قوله حول الأفارقة، وما لا يملكونه، وما لا يكونونه. لقد طرح رجال الكنيسة في لحظة ما السؤال حول الروح ذاتها. هل يمتلك الأسوَد روحاً؟ أشياء أقل أهمية مثل الثقافة والدين كانت خارج أفريقيا مثاراً لنقاشات عدة كانت دائماً ما تنتهي بصورة سلبية. التاريخ الأفريقي لم يكن متخيلاً، باستثناء مناطق محدودة مثل الحبشة، حيث يحدثنا «جيبون» عن فائض من الحركة مصحوباً ابتداء من القرن السابع بألفية سقط فيها هذا البلد في سبات عميق «جعله ينسى العالم الذي نسيَه بدوره». أريد الآن أن أؤكد الفكرة التي انطلقت منها. الاحتفالية لا تعني المديح أو الموافقة، يمكنها أن تحتمل شيئاً من هذا القبيل، ولكن جزئياً. يكفي أن نتعرف على الأدب الأفريقي المعاصر لكي نعرف ميزتنا الأساسية: نحن لسنا من النوع الذي يتملق الحاكم. المعركة التي تدور في أفريقيا اليوم بين الحاكم والشاعر ليست وليدة الأمس. شعراؤنا من الأسلاف المنشِدين، كانت لهم طريقتهم في التعامل مع هذه الإشكالية، بطرق مستقيمة وأحياناً ملتوية. أُنهي بنسخة قد عدَّلتها قليلاً لأقصوصة من شهب الهاووسا في نيجيريا: رائعة مختصرة، قصة سيف ذي حدَّين: «امتطت الأفعى فخذ الحصان، بطريقتها التقليدية في الالتفاف على نفسها، وحين التقت بضفدع في الطريق، قال الأخير:

. معذرة سيدتي، ولكن هذه ليست بالطريقة المثلى لامتطاء صهوة الجواد.

-. هلا أريتني الطريقة المثالية من فضلك، ردت الأفعى.

نزلت الأفعى وتسلق الضفدع السرج، ليجلس بوضعية متزنة ويصول بالحصان ذهاباً وإياباً.

-. هكذا نمتطي جواداً، قال الضفدع.

- حسناً، انزل من فضلك، أجابت الأفعى.

قفز الضفدع نحو الأرض وصعدت الأفعى على فخذ الجواد ملتفّة على نفسها كما فعلت تماماً في المرة الأولى، ثم التفتت للضفدع الزاحف على الطريق وقالت:

- إنه لمن الحسن أن نعرف ما هو جيد، لكن أن يكون بمتناول يدنا فهذا أحسن. ماذا ينفع الإنسان أن يكون فارساً حاذقاً إذا لم يمتلك جواداً؟

كل من يقرأ هذه القصة البسيطة يمكنه أن يستنتج كيف تسهم القصص في المحافظة على الستاتيكو في مجتمع طبقي. الأفعى تمثل شخصاً يمتلك أحصنة، لكونه أرستقراطياً لا لكونه فارساً، والضفدع يمثل ذلك الفارس الموهوب الذي بعد سنوات من الجهد والكفاح لن يحظى بشرف امتلاك حصان. الهاووسا الذين ألفوا القصة يتحدرون من ثقافة مَلَكية، والعبرة التي نطقتها الأفعى تعبر بأمانة عن العلاقات التي تحكم نظامهم السياسي. لكن الشاعر الذي اخترع في زمن سحيق هذه التحفة الأدبية خبأ ضربة سيف معاكسة في قلب الأقصوصة المرِحة. مع الوقت، القصة ذاتها تفصلها عن طابعها الهجومي في انتقاد ارستقراطية فاسدة وغير كفوءة لن تستثير الضحكات المتسامحة وإنما النقد القاسي.

الأدب الأفريقي القديم كما الجديد يعي تماماً الفرصة المتوفرة له للاحتفاء بالإنساني في عالمنا هذا. هو يعرف تمام المعرفة أن أفُقَنا المعاصر ينفتح أكثر فأكثر على الآفاق الأخرى. تقول إحدى شخصيات الكاتب النيجيري الفذ شيخ حميدو كان للمستعمر الفرنسي في رائعته «المغامرة الغامضة» (1961): «ليس لنا الماضي ذاته، نحن وأنتم، لكن سيكون لنا بالتأكيد نفس المستقبل. زمن المصائر الأحادية قد انقضى». إن تعلّمنا أن نعترف بوجود الآخر وكنا مستعدين لإبداء القدر اللازم من الاحترام الإنساني للجميع، فإن مآل هذه القصص الإنسانية المتفرقة سيأخذ شكل لقاءات غنية ومتناغمة، وإلا سيكون العالم مرتعاً للفوضى والمرارة.

المرجع:

شينوا اتشيبي ـ «تربية الطفل المحمي بالتاج» ـ «منشورات آكت سود»، 2013